

ملف العدد :

العلاقات المحرمة.. واقع وحلول

# رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

٢٧

اقرأ في هذا العدد

العدد السابع والعشرون - السنة السابعة - رجب ١٤٣٢ هـ - يوليو ٢٠١١ م

- ♦ واقع الإختلاط في ميداني الدراسة والعمل
- ♦ العفة القرآنية .. سورة يوسف مثلاً
- ♦ عفاف المرأة في الرسالة العملية
- ♦ الإنحراف الجنسي
- ♦ العاطفة بين الأصدقاء
- ♦ الجهود البحرينية في الإهتمامات القرآنية

Resalat Alqalam



# رسالة القلم

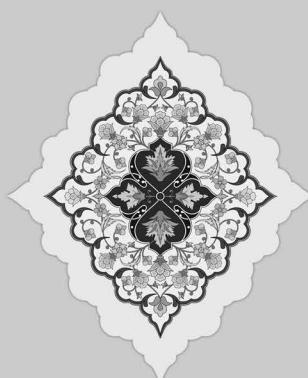
## إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن  
طلاب البحرين في الحوزة العلمية  
بمدينة قم المقدسة

برعاية  
مكتب البيان للمراجعات الدينية

- المشرف العام والمدير المسؤول:  
عبد الله علي الدقاد
- رئيس التحرير:  
عزيز حسن سلمان
- مدير التحرير:  
عبد الرؤوف حسن الريبع
- رئيس هيئة التحرير:  
خازبي عبد الحسن إبراهيم
- هيئة التحرير:  
حسين علي أبو رويس  
حسين فؤاد المرزوقي  
محمد باقر خليل الشيخ  
محمد علي خاتم





## كلمة العدد

٣

رئيس التحرير =

ضعف التدين هدف المستكبرين

٥

حوار مع سماحة الشيخ خالد الغفورري (حفظه الله)

الحصة من منظور الشريعة

## حوار العدد

٢٢

حسين عبد الله الأعرج

واقع الإختلاط في ميداني الدراسة والعمل

٣٤

جعفر علي المالكي

العلة القرآنية .. سورة يوسف مثلاً

٤٥

عزيز حسن الخضران

عفاف المرأة في الرسالة العملية

٦٣

غازي عبد الحسن السماسك

الإنحراف الجنسي

## بحوث ومقالات أخرى:

١٣

عبد الرؤوف حسن الربع

العاطفة بين الأصدقاء

٨٧

قاسم عبد الكريم المزعل

التوبة

٩٧

حسن هلال الزاكبي

الطريق السريع للأئم لتهجران المعاصي والآثام

١٠٩

علي أحمد الكريباوي

مسألة الخلود في الحياة الآخرة

١٢٥

رائد عبد الكريم الخنizi

نصرة الفرج

١٤١

جاسم محمد حسن

الجهود البحريانية في الإهتمامات القرآنية

١٧٤

قصي الشيخ علي العربي

قرأتنا والقواعد الأصولية والفقهية (القسم الثاني)

٢٠٣

علي فاضل الصددي

اعتبار الإيمان في بيئة الطلاق

## نُسخة التطبع نُسخة المستكبرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ صُلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.  
لَا زَالَ النَّاسُ بِشَكْلِ عَامٍ - لَا يَفْقَهُونَ أَسْرَارَ الْإِرْتِبَاطِ بِالدِّينِ  
الْحَقِّ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّ التَّقْيِيدَ الشَّدِيدَ وَالْدِقْيَقَ بِالدِّينِ هُوَ سَبَبُ  
التَّخْلُفِ الْمَادِيِّ الَّذِي يَشْهُدُهُ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنْ  
الْتَّفْكِيرِ هُوَ جَنَاحَةٌ كَبِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ بِحَقِّ الدِّينِ، وَسَبَبُ هَذَا التَّفْكِيرِ  
هُوَ الصُّورَةُ الْمُشَوَّهَةُ عَنِ الدِّينِ وَالَّتِي عَمِلَ أَعْدَاءُ الدِّينِ وَبَعْضُ  
الْمَغْفِلِينَ مِنْ لَمْ يَفْقَهُوا حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ عَلَى تَصْوِيرِهَا بِأَنَّهَا هِيَ  
الَّتِي تَمَثِّلُ الْإِسْلَامَ الصَّحِّيْحَ.

وَيَمْكُنُ اعْتِبَارُ الْحَرْبِ الشَّعُوَّاءِ عَلَى الدِّينِ دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى  
الْقُوَّةِ الْجَبَّارَةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا الدِّينُ فِي طِيَّاتِهِ، وَالَّتِي تَهَدِّدُ مَطَامِعَ  
الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي الْأَرْضِ، وَلَذِكَّرُ مَنْ يَرِيدُ مِنَ الْحَكَامِ أَنْ يَحْكُمُ بِالظُّلْمِ  
وَالْجُحُورِ وَيَسْتَأْثِرُ بِخَيْرَاتِ بَلْدَهُ نَرَاهُ يَعْمَلُ جَاهِدًا عَلَى إِبْعَادِ النَّاسِ عَنْ  
دِينِهِمْ بِوَاسْطَةِ نَشْرِ الْفَسَادِ وَالْتَّسْبِيبِ وَالْدَّعَارَةِ وَاللَّامْبَلاَةِ بِالدِّينِ.  
وَرِبِّاً كَانَ الدِّينُ السُّطْحِيُّ وَغَيْرُ الْوَاعِيِّ هُوَ أَحَدُ أَهْمَّ أَسْبَابِ  
تَسْلِطِ الظَّالِمِينَ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى خَيْرَاتِ الدُّولِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالطَّرِيقُ  
الْوَحِيدُ الَّذِي يَلْكِهُ الْمُسْلِمُونَ فِي إِرْجَاعِ حَقَوْقِهِمُ الْمُسْلُوبَةِ هُوَ  
الْوَعِيُّ الْدِينِيُّ وَالْتَّمَسُّكُ الْوَاضِحُ وَالصَّرِيحُ بِهِبَادِيِّ الدِّينِ الْحَقِّ، وَمَا  
يَؤْلِمُ الْقَلْبَ أَنَّهُ أَصْبَحَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَخْجَلُونَ مِنَ الْجَهْرِ بِدِينِهِمْ  
وَالْتَّصْرِيفُ بِأَنَّهُ هُوَ دَسْتُورُهُمْ فِي كُلِّ مَيَادِينِ الْحَيَاةِ وَيَخْشَوْنَ أَنْ يَرْمُوْا  
بِالْتَّخْلُفِ، وَهَذِهِ أَكْبَرُ مَظْلُومِيَّةٍ تُسْجَلُ لِلَّدِينِ.

ومن يتصور بأنَّ الدول الغربية غير المديدة تعيش السعادة الدنيوية بواسطة النظام الديمقراطي المزعوم فهو مخطئ جداً، وربما تأثر بالدعایات الكاذبة التي يروج لها الغرب، وعليه أنْ يلامس حقيقة ما يعنيه الناس في تلك المجتمعات.

ومن الأدلة على أنَّ الدين هو سبب السعادة في الدنيا والآخرة معًا ما وصلت إليه الجمهورية الإسلامية في إيران من بين الدول الإسلامية وفي فترة زمنية قصيرة جداً من إجازات ضخمة وفي مختلف المجالات، ولذلك هي تُحَارِب من قبل القوى المُسلطة حتى ترجع إلى خلفها التي كانت تعيش فيه قبل انتصار الثورة المباركة.

والأنهم من كل ذلك لو قارنَا بين المناطق المديدة وغير المديدة في العالم في نسبة الجرائم والفساد الأخلاقي والتفكك الاجتماعي لامنا وصدقنا بأنَّ لا بديل عن الدين في الحياة البشرية، هذا في الحياة الدنيا فكيف بيوم القيمة التي هي المستقر الحقيقى للإنسان؟! فليحمد الله من وفق للالتزام بدين الله، وليرى أنه يعيش سعادة حقيقية لو أدرك غير المدينين سرّها لقاتلواه عليها، وحاربوه من أجلها. والحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير

# العَفَّةُ

## من منظور الشريعة

حوار مع سماحة الشيخ خالد الغفورى<sup>(١)</sup> (احفظه الله)

حاوره: محمد باقر خليل الشيخ

### مقدمة

من الأمور التي تيّز الأديان السماوية، والدين الإسلامي الحنيف على المخصوص هو الإهتمام بالبعد المعنوي والجانب الأخلاقي في الإنسان، لكونهما يمثلان الأساس لشخصية الإنسان ولصلاح المجتمع، ومن أهم هذه الأمور هي مسألة العفة سواء كانت عند الرجل أم المرأة، وإن كانت المرأة لأسباب معينة أعطيت الجانب الأكبر من هذا الإهتمام، ونحن هنا في هذا الحوار نسلط الضوء على بعض جوانب هذه المسألة المهمة مع سماحة الشيخ خالد الغفورى حفظه الله، فإليكم نص الحوار.

### \* ما هو موقع العفة في المنظومة الأخلاقية الإسلامية؟ \*

❖ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسلیم على سیدنا وحبيبنا محمد وآلہ الطاهرين، ورضوان الله على السابقین الأولین من الانصار والمهاجرین، والتابعین لهم بإحسان الى يوم الدين، ورحمة الله وبرکاته على عباده الصالحين.

كمقدمة للجواب على هذا السؤال -والذي يعتبر مفتاح للأسئلة والأجوبة

القادمة - نقول: إن لكل مصطلح أو مقوله من المقولات منشأً ومبدأً تعود إليه و تستقي معناها منه؛ فالمصطلح الأصولي يرجع فيه إلى علم الأصول، والمصطلح الفقهي إلى الفقه، والقرآن إلى القرآن وهكذا.

ولما كان من الواضح أن الرجوع إلى المبدأ فرع معرفته ترتب على هاتين المقدمتين سؤالان لابد من الإجابة عليهما قبل الشروع في الإجابة على هذا السؤال هما:

**الأول: إلى أي علم أو فن يعود مصطلح العفة؟**

**الثاني: ما هي حقيقة العفة في ذلك العلم وما هي مرتبتها؟**

أما الإجابة على السؤال الأول فواضحة؛ فإن مصطلح العفة من مصطلحات علم الأخلاق.

وعليه فعلينا الرجوع إلى علماء الأخلاق لكي نتعرف على هذا المصطلح من نبعة ونرى مدى أهميته عندهم، وهذا ما يحتاج إلى تقديم مقدمات:

١ - قسم العلماء قوى النفس إلى قوتين: قوة الإدراك وقوة التحرير.

٢ - وقسموا كلاً من هاتين القوتين إلى شعبتين: فقوه الإدراك تنشعب إلى العقل النظري، وهو مبدأ قبول الصور العلمية، وإلى العقل العملي، وهو مبدأ تحرير البدن في الأمور الخارجية.

وقوه التحرير تنشعب إلى قوه الغضب وهي مبدأ دفع غير الملائم، وإلى قوه الشهوة وهي مبدأ جلب الملائم.

٣ - ثم ذكروا أن اعتدال كل قوة من هذه القوى في وسطيتها بين الإفراط والتفريط؛ فيحصل منها أربع فضائل فمن وسطية العقل النظري يحصل العلم وتتبعه الحكمة، ومن وسطية العقل العملي تحصل العدالة، ومن وسطية الغضبية الحلم وتتبعه الشجاعة، ومن وسطية الشهوية العفة وتتبعه السخاوة. فأجناس

## الفضائل أربع:

- **الحكمة النظرية:** (وهي معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه) وهي التي يكون متعلقها الأمور التي لا يكون وجودها بقدرتنا و اختيارنا.
- **الحكمة العملية:** وهي عين ما تقدم إلا أن متعلقها هو الأمور التي يكون وجودها بقدرتنا و اختيارنا، وتسمى بالعدالة أيضاً فإنها وضع الشيء في موضعه.
- **العفة:** (وهي انقياد القوة الشهوية للقوة العاقلة فيما تدركه من أوامر أو نواهي).
- **الشجاعة:** (وهي إطاعة القوة الغضبية للقوة العاقلة والسير على وفق ما تقلبه).

ويتضح مما تقدم أن أجناس الرذائل ثانية حاصلة من ضرب الأجناس الأربع للفضائل مع ما يقابلها من إفراط وتفريط وهذه الرذائل هي:

- ٤ - ما يقع في طرف الحكمة النظرية وهم:  
١ - (**الجربة**) وهي الواقعة في طرف الإفراط من الحكمة وهو استعمال القوة العاقلة فيما لا ينبغي لها، كالتفكير في الأمور التافهة، أو في بعض الأمور التي لا معنى لها.
- ٢ - (**البله**) وهو الواقع في طرف التفريط منها وهو تعطيل القوة العاقلة وعدم استعمالها في ما ينبغي أن تصرف فيه.
- ٥ - ما يقع في طرف الحكمة العملية وهم:  
١ - (**الظلم**) وهو الواقع في طرف الإفراط من الحكمة العملية، وحقيقة أنه هي التصرف في حقوق الآخرين وأموالهم بدون حق.
- ٢ - (**الانظام**) وهو الواقع في طرف التفريط، وهو تمكين الظالم من الظلم

والانقياد له فيما يريد.

#### ٦- ما يقع في طرف الشجاعة وهم:

١- **التهور:** وهو الواقع في طرف الإفراط وهو الإقدام على الأمر الذي ينبغي الحذر من الإقدام عليه.

٢- **الجن:** وهو الواقع في طرف التفريط وهو الحذر وعدم الإقدام على الأمر الذي ينبغي الإقدام عليه.

#### ٧- ما يقع في طرف العفة وهم:

١- **الشره:** وهو الواقع في طرف الإفراط وهو الاشتغال والانبهاك في اللذات الشهوية.

٢- **الحمود:** وهو الواقع في طرف التفريط وهو خمول النفس وعدم رغبتها في طلب ما هو ضروري للبدن.

فهذه رؤوس الفضائل والرذائل وقد تبين منها مكانة العفة في علم الأخلاق وأهميتها، والمهم من هذه المقدمة بظواها هو استفادة أمور:

**الأول:** إن المستفاد من حقيقة العفة أعمّ بكثير مما هو منصرف في الأذهان من كون متعلق العفة هو خصوص الأمور الجنسية، فقد اتضح أن مفهومها يعمّ كل ما هو طلب شهوي سواء كان في مال أو منصب أو شهرة أو غير هذه الأمور.

**الثاني:** إن فضيلة العفة لا تختص بفرد دون آخر أو مكان دون مكان؛ فالمكلف مطالب بالعفة وغيره أيضاً مطالب بها سواء كان في حياته الفردية أو حياته الاجتماعية، وبتعبير جامع نقول: إن العفة أمر فطري يرتبط بالإنسان بما هو إنسان فما دام الإنسان إنساناً فهو مطالب بالعفة. فليس من الصواب حصر العفة في الشريحة النسوية، بل هي من متطلبات النفوس الإنسانية سواء أكان ذكرأً أم أنثى.



الثالث: ليس من الصحيح حصر العفة في مرحلة عمرية معينة، بل هي أمر مطلوب من الشاب ومن الكهل ومن الشيخ، بل ومن الطفل أيضاً.

#### ❖ ما هي أهمية العفة في بناء الشخصية؟

❖ في الحقيقة يمكننا تصور مدى الأهمية القصوى للعفة من خلال ملاحظة ما يلي:

١- إن الممارسات السلوكية إنما تكون مذمومة ومضرّة فيما إذا كانت مختلّة، وأماماً إذا كانت متزنة فلا عيب فيها، والعفة تُساهم في تحقيق التوازن في النفس.

٢- إذا كانت العفة هي الكفيلة بتحقيق التوازن في السلوك الإنساني، وأيضاً إذا لاحظنا المساحة الواسعة التي تُعطيها، فنستنتج أن تحقيق العفة يُعد أمراً ضرورياً للحياة الإنسانية.

٣- لا شكّ بأن العفة هي قيمة أخلاقية إذا تخلّى بها الفرد في بعض ممارساته، بيد أنها لا تؤتي ثمارها بشكل تام ولا يستطيع الفرد أن يتذوق طعمها الشهي إلا إذا ترجمها في مختلف مناحي حياته.

٤- وهنا نتقدّم خطوة إلى الأمام فنرى أن بعض المشكلات ذات طابع معين لا تبدو أن لها علاقة بالجانب الأخلاقي بالمرة كالمجال الصحي، ولكننا إذا دققنا النظر لوجدنا أن غير واحدة من تلك المشكلات ناشئة من ضعف في قوّة العفة، فالإكثار من الطعام والشراب والشرابه في الأكل ما أكثر ما يُسبّب حالات مرضية ومشكلات صحّية للفرد.

٥- كما أن جملة من المشاكل الاجتماعية -بل والسياسية- منشأها الاختلال في مستوى العفة وعدم توفر الحد الطبيعي في المجتمع، فهذا التهالك على المناصب الإدارية والسياسية والتنافس غير المنضبط على مراكز القوّة كم وكم يُسبّبان للمجتمع من أزمات وصراعات مريرة؟!

٦- وفي ضوء ما بینا یُمکن القول بأننا إذا أردنا تحلیل بعض الظواهر السياسية لرأينا أنها تعود من حيث المنشأ إلى وجود خلل في هذه القيمة الأخلاقية، وهي العفة، فإن بعض القادة السياسيين عندما تخبو عنده حالة العفة يبرز الخلل السلوكی عنده فیتطرّف في طریقة إشباع نهمه فيكون شرهًا في طلب الہیمنة وبسط النفوذ، وكذلك لو أمعنا النظر في ظاهرة الاستعمار والهيمنة الاستکباریة على الشعوب لرأينا أنها ناشئة من حالة فقدان العفة أو ضعفها لبناء نفسها ومستقبلها علميًّا وتوعويًّا ومیدانيًّا.

✿ على ماذا جرى المصطلح القرآني في مفهوم العفة، هل هو بهذه السعة أم أنه يوافق ما هو منصرف في العرف العام؟

❖ في الحقيقة لم استقرَّ موارد الاستعمال القرآني ولكن القرآن استعمل العفة في غير المعنى المنصرف في أذهان العرف كما في قوله تعالى: ﴿لِلْفَقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِعُونَ ضَرَبًا فِي الْأَرْضِ يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءٌ مِّنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> فإن موردها هو العفة المالية كما هو واضح.

كما أنه استعملها في ذات المعنى المنصرف في أذهان العرف في قوله تعالى:

﴿وَلَيَسْتَعْفِفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضْعَنْ شِيَابِهِنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

✿ كيف تعامل الشارع مع مفهوم العفة؟ وما هي الأمور التي يمكن عدّها كضوابط لديه في هذا الشأن؟

❖ طبعاً نحن نتناول العلاقة بين الرجل والمرأة من الزاوية الإنسانية، ولا شأن



لنا بالجهات الأخرى كالعلاقات الاقتصادية أو السياسية أو العلمية أو الإدارية، وهذه العلاقة يمكن حاظتها على مستويين:

**المستوى الأول:** مستوى طبيعة العلاقة وأساسها سواء أكانت علاقة عامة أو شخصية:

أ- ضرورة العلاقة بينهما، وكونهما الأساس في هذا الوجود الإنساني بكل امتداداته التاريخية والجغرافية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاقُكُم﴾<sup>(٥)</sup>.

ب- العلاقة الاجتماعية المسؤولة، والتي تتمثل بعلاقة الدعوة إلى الخير والهدایة والإرشاد، والولاية، أي الرقابة والإصلاح الاجتماعي، والإسهام في بناء المجتمع، وقد دلت عليه نصوص بعضها بالصراحة وبعضها بالإطلاق.

ج- تناسب العلاقة مع الخصائص الواقعية لكل من الجنسين، فرفض الإسلام علاقة الصداقة واتخاذ الأخدان، وقد ورد في هذا الصدد نصان قرآنيان.

د- إيجاد الفضاء المناسب لأداء كل منهما دوره بحرية تامة، بأن تكون المؤسسات النسوية في المجتمع المدني لها نحو من الاستقلال النسبي لكل من الجنسين رغم الاشتراك بينهما، طبعاً إن هذا من المسلمات في الشرعية بحسب الارتكاز الشرعي، ولم يتم حتى الآن بحسب اطلاعني استخراج الوجه الفيّي له والصناعي وتكثيفه فقهياً وفق النصوص والأدلة المعتمدة في صناعة الاستنباط.

أجل، يوجد حكم معروف يقع في هذا السياق، ألا وهو حرمة الخلوة بالأجنبيّة، وعلى الرغم مما يحمل هذا التشريع من مواليل تربوية وأبعاد أخلاقية إلا أنّ هذا لا يمنع من الاختلاط في المحافل العامة وحينما لا يصدق عنوان (الخلوة).

هـ- تقنين العلاقة الشخصية بينهما من أجل الحقوق المادية والمعنوية لكل

من الطرفين، والمحيولة دون تعريضها للضياع أو التضييع، ومن وضعها الشارع ضمن قالب محدد ففي الغالب تتجسد في قالب عقد إنساني، وهو عقد النكاح.

#### المستوى الثاني:- مستوى الممارسات السلوكية:

أ- المحيولة دون وقوع حالة الإرباك في مسار الحياة اليومية حتى في الدوائر المحدودة، ومحاصرة عناصر الإثارة الذي يُساهم في خفض منسوب العفة في المجتمع، ويتجلى هذا في إلزام الشريعة المرأة بارتداء الحجاب.

ب- الوقوف بوجه محاولات الإخلال في المظاهر الاجتماعية العامة، وهذا ما نفهمه من المنع الحاد لممارسة التبرج من قبل المرأة.

ج- ما تقدم يمكن أن نقول عنه إنه تشريع من نوع إعدام المقتضي لأنحراف مسار الحياة، ومضافاً إلى هذا نجد أن الشريعة وضعت ضوابط قاطعة للحيلولة دون تأثير المقتضي لو كان أو لتقليل منه، من خلال الأمر بغض البصر عن النظر إلى الجنس المخالف نظرة طامحة.

لقد اهتم الشارع بهذا الشأن كثيراً لما له من دخالة تامة في صلاح الفرد والمجتمع؛ ولذلك سنلاحظ أن هذه التشريعات توافق الفطرة وما عليه الارتكاز المتشرعى والعقلائى، ومن أهم هذه الأمور التي أكد عليها الشارع على سبيل المثال:

١- منعه للاختلاط بين الجنسين ولو على سبيل الكراهة، وهذه المسألة وإن لم يكن لها دليل واضح من النصوص إلا أن الارتكازات ومذاق الشارع تؤيدتها.

٢- منعه للنظر من الطرفين، فقد ورد المنع عن نظر المرأة للرجل والعكس في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

**فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِّيْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**<sup>(٦)</sup> والمقصود من النظر المنوع هنا هو النظرة التي يترتب عليها ما ينافي العفة، وأماماً مجرد النظرة البريئة فلا، وهذا يفسر لنا الأحاديث الواردة في منع النظر بالنسبة إلى نظرة دون أخرى كتحليل النظرة الأولى وتحريم غيرها أو تحريم أصل النظر من غير تفصيل، فإنها ناظرة إلى كيفية النظر لا كميته فما كان من النظر بريئاً من غير شهوة أو إثارة فلا دليل على حرمته، وأماماً إذا كانت النظرة نظرة ريبة وشهوة فهي حرام سواء كانت هي الأولى أو لا، ولعل في التفصيل بين النظرة الأولى وغيرها إشعار بهذا الأمر؛ فإن النظرة الأولى غالباً ما تكون بريئة بخلاف ما بعدها من تكرر النظر.

٣- منعه لاتخاذ الأخذان كما ورد في قوله تعالى **﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمَنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنَّكُمْ حُوَّهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ إِذَا أَخْصَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**<sup>(٧)</sup> والمقصود من اتخاذ الأخذان هو الصدقة بين الجنسين وعني بالصدقة ما لها من معنى عميق يحمل الانفتاح على الطرف الآخر والأخذ والعطاء بينهما بما ترتفع معه بعض الحاجز ولو لم تؤدي إلى فعل محروم؛ فإن هذا النوع من الصدقة محروم في نفسه، وهذا هو المستظهر من الرواية خلافاً لما عليه أكثر المفسرين من جملها على الاتخاذ بغرض فعل الزنا والسفاح؛ إذ لا وجه لتقييد الآية الكريمة به؛ لكونها مطلقة.

٤- منعه لابتداى لباس المرأة وفرضه الحجاب عليها كما في قوله تعالى: **﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمَنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِّيْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبَدِّيْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا**

لِبُوْلَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُوْلَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُوْلَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهِنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ  
أُولَئِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا  
يَضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِنُ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ<sup>(٨)</sup> وذلك لما لإظهار زينة المرأة من الأثر الذي لا ينكر  
في مضادة العفة وكسرها في الفرد والمجتمع، والمقصود مما ظهر منها هو الأمور  
المتعارف إظهارها عند النساء بحيث لا توصف المرأة إذا لم تستره بالمبتدلة أو غير  
المحجبة؛ باعتبار أنّ المرأة تحتاج إلى أداء بعض الأعمال والى الحركة والتنقل  
داخل المجتمع وإجراء بعض المعاملات مع الآخرين، وهذا الأمر يستلزم بطبيعته  
كشف بعض أجزاء البدن كالوجه أو الكفين كما هو المعروف فتوائياً بين الفقهاء؛  
ولذا لا يقال مثل هذه المرأة أنها متبرجة مثلاً.

٥- فتحه للمجال الفطري والتنفس الطبيعي للإنسان الذي من خلاله  
يعتدل في عفته ألا وهو باب الزواج، فإن الشارع فتح للإنسان هذا الباب بما  
يكفي به عن أيّ أمر آخر يخالف العفة.

هذه الأمور وغيرها يمكن عدّها من الأمور التي ساهم من خلاها الشارع في  
تقنين وتنظيم العفة بالنسبة للفرد والمجتمع معاً.

#### ❖ هل كشف الشارع عن الحكمة في هذه التشريعات وما هي؟

❖ من الواضح وال المسلم عندنا أن أحكام الشارع تتبع المصالح والمفاسد؛ فما  
كان فيه صلاح أمر الشارع بتحصيله، وما كان في مفسدة نهى عن ارتکابه، وهذا  
هو معنى تبعية الأحكام للمصالح والمفاسد، والشارع قد يظهر لنا تلك العلل وقد  
لا يظهرها.

وأما من ناحية صغروية فإنه يكفيانا ما تقدم من بيان لمعنى العفة وكونها من

الأمور الفطرية التي تحاكي إنسانية الإنسان وتنسجم قام الانسجام معه، واللاحظ للتشريعات في هذا الجانب - وقد تقدم بعضها - يلامس هذا الجانب بوضوح ويرى في نفسه التقبل لها من دون حاجة إلى بيان ما وراء هذه التشريعات من مصالح أو مفاسد، وهذا أمر طبيعي.

ورغم ذلك نرى أن الشارع بين لنا بعض ما وراء هذه التشريعات أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكِيَ لَهُمْ﴾<sup>(٩)</sup>؛ فإن الأمر بغض النظر مرجعه إلى تزكية الإنسان وكون الغض راداً من روافد تزكية النفس عند الإنسان.

❖ يدعى البعض أن هذه التشريعات من الشارع إنما هي تشريعات مدنية (بمعنى رجوعها إلى ما تقتضيه طبيعة كل إنسان بلحاظ زمانه ومكانه) وليس أمراً تعبدية غير قابلة للتبدل، ويشهد لهذا البعض بعض التشريعات التي صدرت من الشارع من قبيل عدم فرض الحجاب التام على الأمة دون الحرة ومن قبيل تجويز إظهار نساء البوادي والأرياف ما اعتقدن على إظهاره وغيرها. فكيف نجيب على ذلك؟

❖ أولاًً يجب علينا تحديد المراد من الأمر التعبدية، فما هو المراد من التعبدية في السؤال، هل يراد منه ما لا تعرف علة تشرعه؟ أو يراد منه ما يكون من التشريعات غير قابل للتغيير؟ كما هو ظاهر السؤال.  
فإن أريد الأول فلا يصدق هذا التعريف على ما نحن فيه لما تقدم من بيان في الإجابة السابقة.

وإن أريد الثاني، فإنه غريب جداً صدور هذه الدعوى من إنسان ملتفت إلى فطرته وجلسته التي فطره الله عليها، وذلك لما تقدم من كون العفة ومظاهرها ( بما يشمل تشريعات الشارع) أمراً فطرياً تتناغم مع وجدان الإنسان، وليس أمراً

يصعب تفسيرها على الإنسان بحيث لا يستطيع تمييزها وقييم مواردها، وقد سبق أن قلنا بأن العفة أمر فطري يتعلق بالإنسان بما هو إنسان وأن الإنسان ما دام إنساناً فهو مفظور عليه، نعم من يخرج عن إنسانيته يصح له ادعاء مثل هذه الدعوى؛ إذ لا يبقى موضوع للعفة بالنسبة إليه.

وأما ما ذكر من أمثلة فإنه ينبغي التنبيه أولاً إلى أن معنى الجواز في هذه الموارد ليس هو اللزوم من جهة الإمام على التكشف أو معناه تحجيز التبرج لهن، وكذا الأمر بالنسبة إلى نساء البوادي فإنه يجوز لهن التستر بلا إشكال، ومن جهة أخرى ليس معنى جواز كشفهن لهذه الأماكن هو جواز النظر إليهن بشهوة ورغبة بل هو حرام وإن كان النظر إلى جاد مثلاً.

إذا اتضح ذلك نقول في هذه الأمثلة: إنها لا تخرج بظاهرها عن الإطار العام للتشريعات الإسلامية التي يلاحظ فيها خصوصيات بعض الأفراد والتسهيل في التعامل معهم؛ فإن من الواضح بالنسبة إلى نساء البوادي مثلاً عدم وصول التبليغ الديني لهم في تلك الأعصار كما يصل إلى نساء المدن هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن ما تقتنيه امرأة البدية من ملابس وبحكم مزاولتها لبعض الأعمال في خارج المنزل خصوصاً مثل الرعي والسبقي وما شابههما يفترق كثيراً عن نساء المدن كما هو ملاحظ بوضوح؛ ففرض الحجاب التام على نساء البدية لا يخلو من حرج عليهم ولو نوعاً، خصوصاً مع ملاحظة أحوال أهل البوادي وما كانوا عليه في زمن التشريع. وكذا الحال بالنسبة إلى الأمة؛ فإن قيامها بالخدمة وكثرة خروجها من منازلها بهذا الغرض يعيق من الزامها بالحجاب التام، وكيف ما كان فإن ملاحظة خصوصيات جماعة دون أخرى في التشريعات ليست بعزيزه؛ فمثلها لا يعد خرماً لقاعدة أو قانون شرعي، بحيث يقال كيف يأمر الشارع بالعفة ويحث عليها في حين نراه يتتساهل في أمر العفة مع أفراد من المكلفين؛ وذلك كله لما بيناه

من عدم خروج مثل هذه التشريعات عن حريم العفة ودخولها في حدود التبرج.  
أجل، إذا كان المراد من تغيير اللباس بحسب مقتضيات الزمان ما يرجع إلى  
خصائص اللباس من (الموضة) أو اللون ونحو ذلك فهذا كلام صحيح نقبله، وأمّا  
إذا أردت التغيير بما يشمل موارد عدم صدق الحجاب عليه فلا كما بینا.

❖ ما بين مفهوم العفة ومجتمعاتنا، كيف نقيّم مجتمعاتنا على وفق  
ما تقدم من بيان لمفهوم العفة؟

❖ تقييم المجتمعات وخصوصاً في المسائل التي جنبتها الاجتماعية واسعة قد يكون سهلاً واضحاً من ناحية نظرية، ولكن يبقى بلا قيمة علمية واقعية؛ والسرّ في ذلك هو أن مثل هذا التقييم لكي يكتسب قيمته العلمية لا بد وأن يكون خاضعاً للدراسات الميدانية التي تلامس الواقع وتستطيع وضع اليد بدقة على مواضع القوة في سيرة المجتمع ومواضع الضعف والمرض عنده، هذه الدراسات الميدانية هي التي تكشف لنا المجتمع على حقيقته فيكون تقييمنا له ذا قيمة علمية بحثية، وإلا ف مجرد التنظير أمر سهل.

والذي أود إلقاء النظر إليه هنا هو أن مناشئ الخلل في السلوك الاجتماعي متعددة؛ إذ قد يتصور أن منشأه دائماً هو التسامح والتساهل من أفراد المجتمع في تطبيق المفاهيم على الواقع الخارجي، أو أن منشأه الابتعاد عن مفاهيم الدين والتدين، هذه أسباب واقعية وأساسية ولكن هناك أسباب قد لا تقل عنها في الأهمية، من قبيل: التعتنّ والتطرف في تطبيق بعض الأحكام، ومنع الآخرين من ممارسة ما يقع في دائرة المباح والترخيص لا الإلزام.

ومن قبيل: التقصير في أمور نشر هذه المفاهيم سواء كان هذا التقصير ناشئ من قصور المبلغ (بالكسر) في إيصاله لتلك المفاهيم لجهله هو أساساً بهذه المفاهيم وتطبيقاتها أو لقصصها في أدائها على ما ينبغي، أو يكون منشأه هو القصور في

المبلغ (بالفتح) في تلقيه لهذه المفاهيم وتطبيقاتها.

### ❖ الفرد والمجتمع، على أيِّ منهما تقع مسؤولية إشاعة العفة؟

❖ المسؤولية مسؤولية الجميع بلا استثناء، وقد ذكرنا سابقاً إن العفة مطلوبة من الجميع حتى غير المكلف، والمسؤولية متبادلة بين الفرد والمجتمع؛ فالفرد بالتزامه بالعفة يسهم في الارتقاء الأخلاقي للمجتمع والمجتمع بفرضه للرقابة الاجتماعية يسهم في رقي الفرد الأخلاقي، وهكذا فهي علاقة تفاعلية بينهما. نعم ترك المجتمع لوظيفته من خلال أفراده أو مؤسساته لا يكون مسوغاً لترك الفرد لها، والعكس بالعكس، فترك الأفراد لوظائفهم الأخلاقية لا يسوغ ترك المجتمع لمسؤولياته تجاههم.

### ❖ تبرز بين الحين والأخر دعوات بعنوانين رنانة كمسألة حقوق المرأة التي تتجاوز حقوقها الاجتماعية والأخلاقية وتصل إلى حقوقها في لبسها وهيئتها، كيف نتعامل مع هذه الدعوات مع ما تفرضه علينا أخلاقنا؟

❖ لا أريد الخوض في مدى صحة أو سقم مثل هذه العناوين فقد كاد بطلانها يقرّ به حتى من يرفع هذه الشعارات، كيف وأصحاب هذه الشعارات هم أول من ناقصوا أنفسهم في تفعيلها، فأين حقوق المرأة عندما تعرض المرأة كسلعة يتلقفها أصحاب الشره، أين حقوق المرأة عندما لا تجد الاستقرار في أحضان زوجها، عندما تفقد أنوثتها تفقد أمومتها، أين حقوق المرأة من هذه الحالات التي تعانيها المرأة بسبب هذه الشعارات، أين هم الدعاة لهذه العناوين ورافعو يافطاتها من المرأة بعدما حققوا مآربهم السياسية من هذه الشعارات؟؟؟ هذه دعاوى باطلة وسخيفة يبطلها ويستخف بها نفس الواقع.

نحن لدينا رصيد قوي وحصن منيع في منابع أخلاقنا ومفاهيمنا، قوانينا

تفوق على كل القوانين بل لا مقارنة بينها وبين غيرها مهما كان مؤسسها ومشروعها؛ ذلك لأنّا نتلقى قوانينا ومفاهيمنا من لدن علىٰ خبير، نتلقاها من لدن خالقنا العالم بجميع ما يكتنه أن يقربنا نحو الفضيلة ويبعدنا عن الرذيلة، خالقنا الخيط بخفايا ما تحويه نفوسنا؛ فلا شك لدينا بعد ذلك في عدم مقاييس تشريعاتنا وما تحمله من خير للبشرية مع تشريعات الآخرين، وأيّ قياس بين ما يصدر من الخالق وما يصدر من المخلوق؟؟!

وأمّا على صعيد الواقع العملي فإنه لا بد أن يعلم بأنّ منسوب العفة في مجتمعاتنا لا تُقارن بالمجتمعات غير الإسلامية، لكن هذا ليس معناه أنّ مجتمعاتنا بالغة المستوى المطلوب، بل عندنا مجموعة من الإشكاليات بهذا الشأن، منها:

١- إشكالية الجهل بالصيغة الإسلامية في كيفية التعامل مع المرأة إسلامياً.  
٢- إشكالية الخلط بين الموروث الاجتماعي وبين الصورة الإسلامية النموذجية.

٣- إشكالية عدم تنقيف المرأة بحقوقها وواجباتها إسلامياً.  
٤- إشكالية الإجحاف الفاحش بحقوق المرأة تحت ستار حفظ العفة، كمنعها من ممارسة حقوقها السياسية كالمشاركة في الانتخابات أو حرمانها من ممارسة بعض أنشطتها الحياتية.

#### ❖ ما هي وظيفة طلبة العلم في تفعيل هذه المفاهيم؟

❖ سبق وأن قلنا بأن هذه الوظيفة لا تقتصر على بعض دون بعض بل هي مسؤولية الجميع وعلى الجميع التكاتف في تفعيل هذه المفاهيم والمساهمة في نشر الفضيلة في مجتمعاتنا، ولكن طلبة العلوم الدينية بما لهم من تأثير في المجتمع ودور قيادي في صياغة مفاهيمه لا بد لهم من جعل هذا الأمر نصب أعينهم وهو كيفية الارتقاء بالمجتمع، فكل واحد منّا يجب أن يسائل نفسه، ما هي إمكانياتي في تبليغ

هذه المفاهيم؟؟ ما هي الأمور التي تساعدني على إيصالها؟؟ ما هي الأفكار التي أبدأ بطرحها؟؟ ما مدى قابلية المجتمع لتلقي أفكار جديدة قد تختلف ما هو المأثور عنده؟؟ فمثلاً لماذا لا يكون هناك تخصيص في الأماكن العامة وعملية فرز للجنسين يتلافى من خلالها كثير من المحدودات الشرعية؟ لماذا لا يكون هناك تفكير جاد في الفصل بين الجنسين في الدراسة على جميع المستويات الدراسية؟ لماذا لا تكون هناك أماكن خاصة للتسوق بالنسبة للنساء؟؟

قد تكون بعض هذه الأفكار خارجة عن المأثور، وقد يتحسس البعض منها، ولكن هذه هي مسؤوليتنا وهذا هو طموحنا، وبالجد والتفاؤل نصل إلى أفضل النتائج إن شاء الله.

#### ✿ كلمة ختامية ✿

❖ أشكركم على إتاحة هذه الفرصة لي في مشاركتكم في هذه المجلة القيمة التي أسأل الله أن يديم توفيق القائمين عليها ويبارك في جهودهم المساهمة في نشر المعارف الإسلامية.

والحمد لله رب العالمين.

#### المواهش:

(١) هو سماحة الشيخ خالد جبار غفورى، من مواليد العراق ١٩٦٠م، درس في جامعة بغداد، وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران هاجر إلى سوريا فكانت بداية دراسته الموزوية، ثم هاجر إلى إيران لإكمال دراسة المقدمات والسطوح، حيث أكمل مرحلة السطوح سنة ١٩٨٤م، ومن أساتذته في بحث الخارج: آية الله العظمى السيد كاظم الحائرى، وآية الله العظمى السيد محمود الهاشمى الشاهرودى.

لديه شهادة الماجستير من جامعة المصطفى عليه السلام العالمية، وهو مشغول بتدوين رسالة الدكتوراه.

شغل كثيراً من المسؤوليات العلمية، منها رئاسة تحرير مجلة (فقه أهل البيت عليهما السلام) إلى الآن، وكان مديرأً لمدرسة الشهيدة بنت الهدى، وهو عضو في الجمعية العمومية لكل من المجمع العالمي لأهل البيت عليهما السلام، والمجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية، وقد حقق كثيراً من الكتب والرسائل العلمية، وله مجموعة من المؤلفات والمقالات الفقهية.

(٢) البقرة: ٢٧٣.

(٣) النور: ٣٣.

(٤) النور: ٦٠.

(٥) الحجرات: ١٣.

(٦) النور: ٣٠ - ٣١.

(٧) النساء: ٢٥.

(٨) النور: ٣١.

(٩) النور: ٣٠.





# واقع الإختلاط في ميداني الدراسة والعمل

## حسين عبد الله الأعرج

الحمدُ لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين، اللهم إني أـسألك أن تصلـي على محمد نـبـي رـحـمـتكـ، وكـلـمة نـورـكـ، وأن تـمـلـأ قـلـبي نـورـ اليـقـينـ، وصـدـري نـورـ الإـيمـانـ، وفـكـري نـورـ النـيـاتـ، وعـزـمي نـورـ العـلـمـ.

تمهيد

هـذا المـقال عـبـارـة عن توـصـيف وـتـحلـيل لـبعـض ما يـجـري في مـيـادـين الحـيـاة من اختـلاـط وـعـلـاقـات وـصـدـاقـات بـيـن جـنـسـ الرـجـالـ وـالـنسـاءـ، يـسـتـهـدـف إـلـقاء نـظـرـة فـاحـصـة لـلـوـاقـع المـعاشـ الـيـوـمـ.

والكلامُ مُوجَّهٌ لاثنين من أهمِّ ميادِين الحياة وهمَا ميدَانا (الدِّرَاسَة) و(العَمَل)، ولا يختلف اثنان على كونهما ذوي حَيْوَيَةٍ ومَحْلٌ لِبتَلاءٍ مثل تلك العلاقات المشبوهة أو المحرَّمة، ومن واقع التجربة يُسْلِطُ الضوء على عدَّة نقاط تَصَفُّ وتحلِّلُ الوضع المُجاري والله المستعان.

وقبل سَرْدِ الحديث نُقول: يُوجَدُ اختِلاطٌ مَذْمُومٌ وآخرٌ غير مَذْمُومٌ<sup>(١)</sup>، وكُلُّ ذلك بِلِحَاظِ الآثَرِ المُتَرَوِّكِ والنَّتيجةُ الحاصلَةُ من هَذِين النَّوَاعِينِ جَرَأَهُ وجُودُ الاختِلاطِ.

فالأولُ هو ما قَصَدَناهُ منَ المَقالِ، فالذِّي يُمِيزُهُ هو احتِواهُ على المُخالَفَاتِ الشَّرِيعَيَّةِ، والخُروجُ عنِ الْأَحْكَامِ والْمُحْدُودِ الإِسْلَامِيَّةِ، والإِتِيَانُ بِالْمَفَاسِدِ وَالْمُسَاوِيِّ الْأَخْلَاقِيِّةِ وَغَيْرُ ذَلِكِ مَا يَقُوْمُ فِي دَائِرَةِ مَا يُغضِبُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ. وجُودُهُ مُتَكَثِّرٌ بِتَعْدُدِ مَيادِينِ الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، وَوَقْوَعُهُ مُتَكَرِّرٌ بِتَجَدُّدِ لَقَاءِ الْجِنِّيَّنِ فِي مُخْتَلَفِ الْبَقَعِ وَالْأَماَنِ، وَظَهُورُهُ مُطَرِّدٌ لِلانتِفَاحِ الْحاَصِلِ وَالشَّلَاقِيِّ الْكَبِيرِ بَيْنِ الرَّجُلِ وَالمرْأَةِ فِي شَتَّى الدُّرُوبِ. وَالْعَالَمُ الْيَوْمَ يَعْجُبُ بِهِ فِي مَسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ جَدًّا مِنَ الْحَيَاةِ.

وَأَمَّا الثَّانِي (غير المذموم) فلا كلامٌ بِخُصُوصِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِالتِّزَامِ أَفْرَادِهِ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ الْمُقدَّسِ وَالضَّوَابِطِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالشَّوَاهِدُ عَلَى ذَلِكِ غَيْرُ قَلِيلَةٍ، فَالقَرِيبُ مِنْ ذَلِكِ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذَلِكِ وَيَحْمُدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ. لَوْجُودُ مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْرَادِ وَالشَّخَصِيَّاتِ الْمُلتَزَمَةِ وَالْمُؤْمِنَةِ الَّتِي يَفْتَخِرُ بِهَا الإِسْلَامُ لِكَوْنِهَا مُجَتَهِدَةً عِلْمًا وَعَمَلاً مَعَ التَّدْبِينِ وَالْتِزَامِ، فَتُعَتَّبُ تِلْكَ شَخَصِيَّاتُ تِنَافِسُ الْآخَرِينَ وَتُتَرَجِّمُ لَهُ عُلُوَّ الدِّينِ وَرُفْعَتِهِ بِالشَّقِيقِ بِمَا هُوَ وَاجِبٌ فِي مُحيطِ التَّعْلِيمِ وَالْعَمَلِ.

يُقَالُ بِأَنَّ بُؤْرَ الاختِلاطِ مِنَ مَظَانٍ بُرُوزِ الإِيمَانِ وَالثَّقَوَى، لِأَنَّهُ

مَعْهُودٌ بَيْنَ السَّالِكِينَ الْعَارِفِينَ أَنَّهُ كُلُّمَا وُجِدَتِ النَّفْسُ فِي مَحَلٍ امْتِحَانَ وَالْابْتِلاءِ نَلْحَظُهَا تَسْمُو دَرَجَاتٍ فَدَرَجَاتٍ، طَبَعًا فِي حَالِ سَعْيِ النَّفْسِ لِلوقوفِ عِنْدِ الشَّبَهَاتِ وَالْأَخْذِ بِالْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحْرَمَاتِ، فَبُقْعَةُ الْاِخْتِلاَطِ (الْمَذْمُومُ) مَكَانٌ لِانْخِطَاطِ النَّفْسِ أَوْ سُمُونَهَا بِتَحْصِيلِ الْمَلَكَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ مِثْلِ الصَّبَرِ عَلَى غَضْبِ النَّظَرِ وَإِمْسَاكِ اللِّسَانِ عَنِ الْهَذَرِ وَفُضُولِ الْكَلَامِ.

### أولاً: مَيْدَانُ الدِّرَاسَةِ وَالْتَّعْلِيمِ

ابْتَدَأَتُ الْكَلَامَ فِي مَيْدَانِ الدِّرَاسَةِ بِجُوكُمْ كَوْنِيهِ يَسْبُقُ مَيْدَانَ الْعَمَلِ غالباً، وَلَعَلَّهُ فِي أَكْثَرِ الْبُلدَانِ الْعَرَبِيَّةِ يَشْرَعُ الْوَلَدُ وَالْبَنْتُ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ فِي مَدَارِسِ مُسْتَقْلَةٍ لِكُلِّ مِنَ الْجِنْسَيْنِ، وَهَذَا يُعْطِي فُرْصَةً كَبِيرَةً لِبِنَاءِ الْعَالَقَاتِ وَرَوَابِطِ الْمَعَارِفِ بِشَكْلٍ وَاسِعٍ، حَيْثُ أَنَّ الْوَلَدَ يُصَادِقُ مِنْ جِنْسِهِ الْذُكُورُ وَهَكُذا بِالنِّسْبَةِ لِلْبَنْتِ، فَيَنْتَفِي الْاحْتِرَازُ الشَّدِيدُ وَالْاحْتِيَاطُ فِي الْعَالَقَاتِ تَقْرِيباً -الْكَلَامُ هُنَا يَخْصُّ دَائِرَةَ الْعَالَقَاتِ الإِيمَانِيَّةِ- لَكِنَّ الْمُشَكِّلَةَ تَكْمُنُ بَعْدَ أَنْ يَتَخَطَّى الْوَلَدُ وَالْبَنْتُ الدِّرَاسَةَ فِي الْمَدَارِسِ وَيَلْتَحِقُ الْاِثْنَانِ بِالجَامِعَاتِ وَالْمَعَاهِدِ التَّعْلِيمِيَّةِ، لِأَنَّ جَوَّ التَّعْلِيمِ مُخْتَلِطٌ (co-education) فِي الْأَعْمَمِ الْأَغْلَبُ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْكُلُّ كَذَلِكَ.

فِي الْحَالَةِ العَادِيَّةِ يُعْثِلُ اقْتِرَابُ مَقَاعِدِ الدِّرَاسَةِ بَيْنِ الْجِنْسَيْنِ فِي الجَامِعَاتِ وَالْمَعَاهِدِ أَمْرًا جَدِيدًا وَمُرْبِكًا لَهُدُّدَ بَعِيدٍ، فَنَصَوَرُ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْوَلَدُ مَعَ الْوَلَدِ وَالْبَنْتُ مَعَ الْبَنْتِ فِي عَالَقَاتِهِمْ وَأَحَادِيثِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَإِذَا بِحِيطِ درَاسِيٍّ يَجْمَعُ الْوَلَدَ وَالْبَنْتَ فِي صَفٍّ درَاسِيٍّ وَمَا لَازَمَ ذَلِكَ، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ الْجِنْسَانَ درَاسَةً أَصْبَحَ صَرْحُ الجَامِعَةِ وَالْمَعَهَدِ مَحَلًا لِبُرُوزِ

المسكّلات والمخالفات الشرعية كمَا وكيفاً ونوعاً، من نظرةٍ ولمسةٍ وجلسةٍ وضحكةٍ وعلاقةٍ وما خفي أدهى، فهذا الطالب أو الطالبة إذا كان يقضى عدّة ساعات يومياً لتحصيل العلم في مثل هذه الأجنحة يجدُ أنْ يكون وضعه في حالة استنفار وانتباه دائمين لما يدور حوله، فلا الغفلة والتسامح يجديان ولا التهاون والتسويف ينجيَان؛ لأنَّ ما يجري اليوم في غاية الخطورة حيث أنَّ الوضع مؤلمٌ حقيقةً، وذلك لغياب الأخلاق والقيم والتدليل ظهور المفاسد في كلِّ حدبٍ وصوبٍ بزيف القبول والرضا بالواقع، واعتبار المخالفات الدينية أمراً عادياً يتطلبه حال الدارس في هذه الصُّروح المختلطة.

الخوفُ كلُّ الخوف هو من تصلُّب الرأي المُساهم في خلقِ أجواء الاختلاط وحيثياته، ومن اتساع رقعة هذا الاتجاه في التفكير، لأنَّ له الأثر البالغ في تصعيب قبول الموعظة والتصح والإرشاد الديني على هذه الأجيال واللاحق منها، وبالتالي تُستهجن طرائق التربية الدينية والقيود الشرعية الملزمة للوقوف على ما يُرضي ربَّ المُتعال، فعنَ أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أصعبُ السياساتِ نقلُ العادات»<sup>(٢)</sup>.

الانضمام إلى الجامعات يعني الكون تحت سقف يُقيد النَّظر بعد إطلاقه، يُحدُّ من الحديث بعد كثريته ويُتحرّز من العلاقات ومحاولاته ضبطها من النَّاحية الشرعية، وأيضاً هناك أمور أخرى يجب الالتفات إليها، أجمعها بهذه الكلمة، أنَّ الجوَّ الجامعي يتطلب إعادة صياغة شخصية وأفكار، وصقل سلوك وأخلاق، وتحصيل صبر وحزم، والتزام بشرع ودين، وعقد ثبات وتوكل على الله عزوجل في كُلِّ شبر من الجامعة والمعهد).

مَنْ كَانَ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ مُحِيطِ أَجْوَاءِ الْاِخْتِلاطِ الدِّرْاسِيَّةِ يَعْلَمُ بِمَدِي تَدْهُورِ الْأَوْضَاعِ وَتَأْزِمَّهَا، وَيَعْلَمُ كَمْ هِي تِلْكَ الْمُلَاحَظَاتُ وَالْمُؤَخَّذَاتُ عَلَى السُّلُوكَيَّاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَتَمَرُّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَرَكَاتِ مَا هُوَ مَشْبُوْهُ أَوْ مُحَرَّمٌ، وَيَلْتَفِتُ لِمَا يَجْرِي فِي الْفَعَالِيَّاتِ مِنْ تَدْنٌ أَخْلَاقِيٌّ، وَكُلُّ هَذِهِ الْقَضَائِيَّاتِ تَحْصُلُ بِعُشَرَاتِ الْمُرَّاتِ مِمَّا يُعْطِيهَا طَابِعًا يُجَذِّرُهَا وَيُؤَصِّلُهَا فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَالْوَاقِعِ.

الْتَّغَافُلُ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْاِخْتِلاطِ وَمَا يُحَدِّثُهُ مِنْ تَقَاعُسٍ عَنِ الْأَمْرِ بِالدِّينِ، وَالْعَمَلُ الْفَرْدِيُّ وَالسُّلُوكُ الصَّادِرُ مِنْ جَهَّةِ وَاحِدَةٍ لَا يُقَاسُ وَيُجَابَهُ بِهَذَا الْجُوُّ الْخَطِيرِ، إِذَا يَحْتَاجُ ذَلِكَ لِحَرْكَةِ جَامِعَةٍ شَامِلَةٍ تَقْفِي فِي وَجْهِ هَذِهِ الْمُخَالَفَاتِ، وَالْاسْتِمْرَارُ وَالْدَوَامُ دَفَاعًا عَنْ مَا أَتَى بِهِ الْإِسْلَامُ مِنْ حَشْمَةٍ وَعَفَافٍ وَأَخْلَاقٍ يَتَحَمَّلُهُنَا، فَعِنْدَ التَّفَشِيِّ وَالْانْفِلَاتِ يَكُونُ الضَّبْطُ صَعِبًا.

حَدِيثٌ مُتَبَادِلٌ بِلَا قَيْدٍ وَلَا شَرْطٍ، ضَحَّكَاتٌ وَقَهْقَهَاتٌ تُدْوِي الْمُمْرَاتِ وَالصُّفُوفَ، مَوَاعِيدٌ وَانْقَاقَاتٌ لِعَقْدِ جَلَسَاتٍ وَأَحَادِيثٍ، تَرَصُّدٌ وَتَرْقُبٌ لِلنَّظَرَاتِ وَاللَّقَاءَاتِ، وَأَمْرُورٌ أَخْرَى تُعْدُّ مَظَاهِرًا لِلْاِخْتِلاطِ، وَهُنَاكَ مَظَاهِرٌ عَدِيدةٌ لِهِ تَخْتَلِفُ فِي خَفْفَتِهَا وَشَدَّدَتِهَا وَنَوْعَيْتِهَا أَيْضًا، طَبَعًا مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ بَعْضَ الْمَظَاهِرِ تُؤَثِّرُ عَلَى الْدِرْسَةِ فِي حَالٍ إِذَا مَا اسْتَشْرِطَتْ وَتَفَحَّلَتْ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ، وَلَكِنَّ تَبَقِّيَ الْعَاقِبَةُ وَالْمُسْؤُلِيَّةُ شَخْصِيَّةٌ لَحَدِّ مَا، لِكِنَّ مَا يَتَأْسَفُ الرَّءُوْسُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ هُوَ انْعِكَاسُ مَظَاهِرِ الْاِخْتِلاطِ الْمُرِيبِ لِيُضْرِبَ عَلَى أَوْتَارِ أَخْرَى وَنَوَافِعٌ مُخْتَلِفةٌ مِثْلُ (الْأَسْرَةِ) وَ(الْعَائِلَةِ) بِشَكْلٍ خَاصٍّ وَالْمَجَتمِعِ الْخَارِجِيِّ بِشَكْلِ عَامٍ.

تَشَبَّعُ الْفِكْرُ وَالسُّلُوكُ بِالْعَادَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلَّدِيْنِ فِي الْبَيْئَةِ الْدِرْاسِيَّةِ

بالنظر لطُول المُدَّةِ التي يَقضِيهَا الطَّالبُ والطَّالبةُ في دراستِهما الجامعيةِ من سَنَوَاتٍ تَصلُّ في الْمُتوسِّطِ لِخَمْسٍ، هَذِهِ الْفَتَرَةُ لِيُسْتَبِّنَ بَسِيَّةً فِيمَا كَانَتْ أَنْ تُرْبِّي فَرِداً وَتُغَذِّيَ بِمَشَارِبَ مُمْتَنَوَّةً - مَعَ غَضَّ النَّظرِ عَنِ السَّلِيمِ وَالْفَاسِدِ مِنْهَا - وَتَشَبَّثُ بِأَحَدِ مَظَاهِرِ الْاِخْتِلاَطِ وَلَوْ صَغِيرًا يَضْفِي عَلَى النَّفْسِ نَوْعًا مِنِ الْانْجِمَاسِ وَالرُّكُونِ وَالْإِسْلَامِ مَا يَجْرِيُ، وَيُحْسِسُ الشَّخْصُ الْمُتَعَلِّقُ بِهَا بِنَحْوِ عُلَقَةٍ وَتَعْلُقٍ بِمَا يَكْتَسِبُهُ وَيُدَامُ عَلَى فِعلِهِ أَوْ تَرْكِهِ، مُتَوَهِّمٌ مَنْ يَقُولُ أَنَّهُ - أَيِ التَّعْلُقُ بِالْاِخْتِلاَطِ - مُجَرَّدُ حَالَاتٍ تَزُولُ بِزِوالِ الْمُقْتَضِيِّ بِلَهُ يُوقَعُ فِيمَا يَنْدُرُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ، الْمَقَامُ هُنَا لَيْسُ فَقَطَ وَفَقَطَ مَوْقِفُ حَالٍ، بِلَ أَفْعَالُ مُؤْسِسَةٍ لِفَكِيرٍ وَتَيَارٍ وَتَوْجِهٍ يَنْصُبُ الْحَرَبَ لِمُواجهَةِ مَبَادِئِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَنِيفِ.

هَذِهِ الْمَظَاهِرُ تَحْتَاجُ لِدِرْسَةٍ وَتَحْلِيلٍ، لِلسِّيَطَرَةِ عَلَى زَمَانِ الْأَمْوَارِ وَالْأَخْذِ بِيَدِهَا لِمَا يَصْبُو إِلَيْهِ الدِّينُ وَالشَّرِيعَةُ، مَظَاهِرٌ تَسْتَجِدُ عَالِمَ الدِّينِ وَالْمُفْكِرِ الْمُؤْمِنِ لِمُلَابَعَةِ الْأَمْرِ وَبِتَرْهِ بِأَفْكَارِ الإِسْلَامِ النَّيِّرةِ، وَبِأَحْكَامِ الشَّرْعِ الْمُقْدَسِ، مَظَاهِرٌ تَنْتَظِرُ الْبَدِيلِ الْإِسْلَامِيِّ لِمَا يَحْتَاجُهُ طَالِبٌ هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الْمُخْتَلَطَةِ وَتَوْفِيرُ الْمُرَادِ لِلْفَرَدِ الْلَّاهِثِ وَرَاءَ زَيْفِ الْاِخْتِلاَطِ، مَظَاهِرٌ تَنْتَظِرُ الرَّدَّ الْمُحْكَمَ وَالْوُقُوفَ ضَدَّهَا بِكُلِّ بَسَالَةٍ وَشَجَاعَةٍ بِالْنُّطُقِ وَالْدِلَّلِ وَبِتَنْظِيمٍ أَكْثَرَ دِقَّةً وَتَرْتِيبٍ أَكْثَرَ ضَبْطًا، خَاصَّةً فِي الْفَعَالِيَاتِ وَالْمُنَاسِبَاتِ وَاللِّقَاءَاتِ الَّتِي عَادَةً مَا يَخْتَلِطُ فِيهَا الْمَابِلُ بِالْمَابِلِ.

مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ مَا يَقْعُدُ فِي أَجْوَاءِ الْجَامِعَةِ أَمْرٌ مُنْفَلَتٌ وَمَسْكُوتٌ عَنِهِ، لَا عَلَى الْأَقْلَلِ مِنَ الشَّخْصِ نَفْسُهُ، فَمَا الدَّاعِيُ لِإِطَالَةِ الْحَدِيثِ خَارِجُ وَقْتِ الدَّرْسِ بَيْنَ الْجَنْسَيْنِ؟ وَلِمَا تَنْتَشِرُ الْأَحَادِيثُ الْوَدَيَّةُ الْغَيْرُ لائِقَةُ

بَيْنَ الشَّابِ وَالشَّابَةِ؟ (خُصوصاً فِيمَا إِذَا كَانَ أَحَدُ الْطَّرْفَيْنِ مُرْتَبِطًا بِعَقْدِ زَوْجٍ أَوْ كُلِّيْهِمَا كَذَلِكَ، فَهَذِهِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى)، مَا السَّبِبُ وَرَاءِ التَّقْرُبِ وَاللوَدِ الصَّادِرُ مِنَ الْوَلَدِ وَالْبَنْتِ؟

وَهَذَا الْأَمْرُ لَيْسَ بِخَفِيٍّ؛ لَأَنَّ شَوَاهِدَهُ تَمُرُّ كَثِيرًا، وَأَسْئِلَةُ كَثِيرَةٍ تَنْبَثِقُ وَتَبَرُّزُ إِلَى السَّطْحِ بِخُصُوصِ الْإِخْتِلاَطِ.

إِنَّ الْانجِذابَ الْحاَصِلَ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ فِطْرَىٰ، لَمَا يَتَرَبَّ عَلَيْهِ مِنْ رِبَاطٍ مُقدَّسٍ وَثِيقٍ، وَلَكِنْ يَحْتَاجُ لِتَوْجِيهٍ وِإِدَارَةٍ إِلَى حِيثُ يَقْبَلُهُ دِينُ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَا مَلَامَةَ لِمَنْ يَحْصُلُ مِنْ مَيْلٍ قَهْرًا خَارِجٍ عَنِ إِرَادَةِ الْطَّرْفَيْنِ، وَإِنَّمَا الْمُشْكِلُ عِنْدَمَا يُوَظَّفُ الْانجِذابُ وَالْمَيْلُ لِمَلِءِ الْفَرَاغِ وَالتَّسْلِيَةِ وَتَحْصِيلِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ الْمُحَرَّمَةِ، فَالكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ لِهِ ادْعَاءُهُ وَتَعْلِيَّاتُهُ حَوْلَ الْإِخْتِلاَطِ وَيَكُونُ مِنَ الْمُسَاهِمِينَ فِي هَذِهِ الظَّاهِرَةِ بِوجُودِهِ وَسُكُونِهِ أَوْ رِضَاَهُ وَتَأْيِيْدِهِ.

حَالَةُ تَشْبِهِ الْفَرْزَعَةِ تُصَيِّبُ الطَّالِبَ حَالَمَا يَنْخَرِطُ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى فِي الْمُحيطِ الْمُخْتَلَطِ بِالجَامِعَةِ، وَهُوَ فِي مَرْحَلَةِ شَبَابٍ لَيْسَ بِغَرِيبٍ عَلَيْهَا إِذَا مَا تَعَذَّرَ الشَّابَ بِ(حُجَّةِ الْانْفِتَاحِ وَالشُّجُّرَةِ وَالْمُحْرِيَّةِ) فِي بَنَاءِ الْعَالَمَاتِ مَعَ الْجِنْسِ الْآخَرِ، لَحَقَّاً تِلْكَ مُسْتَمْسَكَاتِ وَاهِيَّةٍ لِضَعْفِ مَا يَبْتَنِي عَلَيْهِ هَذِهِ الرَّأْيِ، وَلَعَلَّ الْبَعْضَ يَشْمَئِزُ مِنْ كَثْرَةِ الْقُيُودِ الدِّينِيَّةِ، وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ هَذِهِ ضَوَابِطُ لِسَعَادَةِ الإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَيَاتِهِ، لَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَصْلَحةَ هَذَا الْمُخْلُوقِ إِلَّا خَالِقُهُ يَهْرُكُونَ.

الْبَعْضُ يَشْعُرُ بِالصَّدَمةِ لِعَظِيمِ فَعْلِهِ عِنْدَمَا يُبَنَّهُ بِ(الْأَمْرِ بِالْمُعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ)؛ لَأَنَّهُ يُوجَدُ أَفْرَادٌ تَغْيِبُ عَنْهُمْ أَحْكَامُ الدِّينِ الْبَدِيْهِيَّةِ فِي مَجَالَاتِ مِنَ الْحَيَاةِ، وَيَتَصَوَّرُونَ أَنَّ مَسِيرَهُمْ فِي الطَّرِيقِ

الصَّحِيفَ، وَكُمْ هِيَ الْأَمْثَلَةُ عَلَى ذَلِكَ حِيثُ أَنَّ الْبَعْضَ يَجْهَلُ بـ (وُجُوبِ سَرِيرِ الْمَرْأَةِ لِكَامِلِ جِسْمِهِ إِلَّا الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ) وَيَعْتَقِدُ بِجُوازِ كَشْفِ الْقَدْمَيْنِ! وَهَذَا كُلُّهُ نَتْيَاجَةُ الْوُلُوجِ وَالذُّوبَانِ فِي جَوَّ الْاِخْتِلاطِ وَالتَّشْبِيهِ بِهِ وَالْانْقِيَادِ لِمَظَاهِرِهِ وَالْتَّصْدِيقِ بِتَقْوِيلَتِهِ الَّتِي لَا تُغْنِي وَلَا تُسْمِنُ مِنْ جُوْعِ.

وَيَعْزُزُ السَّبَبُ وَرَاءَ عَدَمِ عَزْلِ الطُّلَابِ وَالْطَّالِبَاتِ فِي جَامِعَاتِهِنَّ الْمُسْتَقْلَةِ إِلَى ضَعْفِ الْإِمْكَانِيَّاتِ وَالْمِيزَانِيَّاتِ، حِيثُ يَقْصُرُ ذَلِكُ عنْ تَهْيَةِ جَامِعَاتٍ خَاصَّةٍ لِأَنَّ ثُنَّ ذَلِكَ مُكْلِفٌ وَبَاهِظٌ، وَقَدْ يَتَصَدَّرُ السَّبَبُ خَلْفَ ذَلِكَ هُوَ قَصْدٌ وَعَمْدٌ مِنَ الْأَنْظَمَةِ الْحاِكِمَةِ لِتَدْمِيرِ القيَمِ وَالْأَخْلَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي ضِمْنِ تَلْكَ الأَجْوَاءِ لِيَسْهُلُ تَقْيِيمَ الْجِيلِ الشَّبَابِيِّ المَعْدُودِ لِقِيَادَةِ الْمُسْتَقْبَلِ وَتَصَدُّرِ الْمَكَانِ الرِّيَادِيِّ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، وَبِالْتَّالِي تُرَرُّ رَغْبَاتُ الْحُكَّامِ وَالسَّلَاطِينِ لِتَخْدِيرِ الشُّعُوبِ وَالتَّسْلُطِ عَلَى عُقُولِ النَّاسِ وَنَزَواتِهِمْ لِيَخْلُوُهُمُ الْوَضْعُ لِيَفْعَلُوا مَا يَحْلُوُهُمْ.

### ثَانِيًّا: مَيْدَانُ الْعَمَلِ وَالْمِهَنَةِ

إِنَّ مَيَادِينَ الْعَمَلِ كَثِيرَةٌ، وَتَخَلَّفُ بِاِختِلَافِ طَبَيْعَةِ الْوَظِيفَةِ وَالْمِهَنَةِ الْمُلْقَاهُ عَلَى عَاتِقِ الْعَامِلِ، فَمِنْهَا مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ جَوَّ الْاِخْتِلاطِ وَمِنْهَا مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنَ ذَلِكَ، فَلَا كَلَامٌ لِمَا هُوَ بَعِيدٌ، بَلْ أَحْصَى الْحَدِيثُ عَمَّا هُوَ مُبْتَلَى بِعِسْكَلَةِ الْاِخْتِلاطِ وَالْعَالَقَاتِ الْمُحرَّمةِ.

يَزَعُمُ الْبَعْضُ عَلَى أَنَّ (جَوَّ الدِّرْسَةِ) الْجَامِعِيَّةِ يُفْسِدُ الْكَثِيرَ مِنَ الشَّبَابِ وَالشَّابَاتِ لِأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَامِعَةِ فِي مُقْتَبِلِ الْعُمُرِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ هُوَ أَكْثَرُ حُطُورَةٍ مِنْ (جَوَّ الْعَمَلِ) الَّذِي عَادَةً مَا يَنْضُمُ لِهِ الْفَرَدُ بَعْدَ تَجْرِيَةِ الْحَيَاةِ، وَغَالِبًاً مَا يَكُونُ الْفَرَدُ مُرْتَبَطًا بِأَسْرَةٍ تَبْعُدُهُ عَنِ التَّأْثِيرِ

والسَّيِّر وراء حِيثِيَّات الاختلاط. لكن الواقع المعاش يُدَلِّل على عَكْس ذلك، حيث نَجِد نوعيَّة في العلاقات المشبُوحة واختلاطاً غَرِيباً في مُحيط العمل يُفُوق مُحيط الدراسة بِرَبَّات، ومن المؤكَّد وراء ذلك سَبَب وعَلَّة. من الأسباب هُوَ كَون العَامل عَلَى درَجَة كَبِيرَة من القُرب من الجنس الآخر، لالتزامه بِعَمَل ما مُقَابِل الأَجْر المَحْصُول، فَلَا يَسْتَطِيع العَامل التَّسْبِيب من العَمل المُوجَّه إِلَيْهِ، حتَّى لو ارْتَبَط بِعَمَله جِنْسُ آخر، فَنَجِد في (جَوَّ العمل) تَقييداً بالتعامل مع الجنس الآخر -عَلَى فَرْض كَون الْقِسْم أو الدَّائِرَة تَحْوي عَامِلِين من الجنسين- لِتَخلِّص مُعَالَمة أو عَمَل. ومن الأسباب هُوَ طُول المِدَة التي يَقْضِيهَا العَامل في عَمَله مُشْتَغِلاً بِا عَلَيْهِ في ظَرْف يَفْرِضُ عَلَيْهِ الْأَخْذَ والرَّدَّ مع الجنس الآخر. أيضاً يُوجَد سبُّ لِذلك، وَهُوَ وجُود ضَبابِيَّة وَعدَم التَّوْجُّه لِما هُوَ مِن ضِمن العَمل وَمَا هُوَ خَارِج عَنْهُ، فَعَدْدٌ مِن العَامِلِين يَحْسَبُ أَنَّ كُلَّ شيء دَاخِلٌ في العَمل وَمُحَاسَبٌ عَلَيْهِ، حتَّى أَنَّهُ يَعْتَقِد أَنَّ تَكُونِ عَالِمَات في رِحْلَة لِمُوظَّفي الْقِسْم مِنْ (الْعَمَل)!، أو حتَّى هَذِه الْقَهْقَهَة مَعَ الزَّبُون يُفَكِّرُ أَنَّهَا (عَمَل)!.

الاختلاط له أثر ينبع في سلامة بناء الأسرة والمجتمع، لأنَّه يتصوَّر أنَّ الهدف من تشكيل الأسرة هو الاستقرار النفسي والجسدي المؤدي لالتفات الفرد إلى الصالح والشُّقُور والصِّيورة في طريق الاستقامة أكثر من بقية مراحل عمره، فما النتيجة عندما نرى قمة الاختلاط بين الجنسين المرتبطين (المتزوجين) في العمل؟ وكم له التأثير السُّلبي على سُكُون النفس داخل الأسرة وإخلاصها للشريك، فطبعيٌّ من له علاقاته المشبوهة في العمل يكون تعامله أقلَّ صفاءً وإخلاصاً وحبًا

لأنسرته، لكن في المقابل نجد المُتَشَرِّعَ بِدِينِ اللهِ الْعَزِيزِ والمحاط في تعامله في محيط العمل أكثر قدرةً على التَّعَاطي بروحيةٍ هادئةٍ مُسْتَقِرَّةٍ ومُتَزَنَّةٍ داخل العشِّ الزَّوْجِي.

قد يكون السبب وراء تأثير الزوج لدى بعض النساء وعنوسهن نَتْبِعَةُ الْاسْتِرْسَالِ فِي الْكَلَامِ مَعَ الْأَجْنبِيِّ وَعَقْدِ الْجَلَسَاتِ خَلَفِ الْجَلَسَاتِ فِي مَيْدَانِ الْعَمَلِ، وَيَحْصُلُ بِأَنْ تَلَكَّ الْمَرْأَةَ بَعْدَئِذٍ لَا يَرْغُبُ فِيهَا أَحَدٌ، وَلَا تَجِدُ مَنْ يَتَقَدَّمُ لِخُطْبَتِهَا تَأْثِيرًا بِمَا دَارَ أَيَّامَ عُزُوبَتِهَا مِنْ عَلَاقَاتٍ مَشْبُوْهَةٍ مَعَ هَذَا وَذَاكَ، وَإِنْصافَهَا بِمَا هُوَ مُشِينٌ لِشَخْصِيَّتِهَا وَحَيَاءِهَا، وَالْمَعْضِلَةُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُنَّ يَجْهَلُنَّ ذَلِكَ وَيَسْتَهْلِكُنَّ الْقَضِيَّةَ وَيَرُونَهَا بِمَرَدٍّ أَحَادِيثِ عَمَلٍ!

وَالْمُلْاحَظُ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ اسْتِسْلَامُ الْمَرْأَةِ بِشَكْلٍ عَامٍ بَنَحْوِ مَا لِكُلٍّ مَنْ يَتَوَدَّدُ وَيَتَحَبَّبُ وَيَتَقْرَبُ إِلَيْهَا وَيُظْهِرُ نِيَّةَ الْمُصَاحَّةِ وَالْمُرْفَقَةِ فِي أَرْوَاقِهِ دَوَائِرِ الْمُؤَسَّسَةِ أَوِ الشَّرِّكَةِ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ، فِي حِينٍ أَتَتَنَا فَهْمَ أَنَّ الرَّجُلَ فِي كَثِيرٍ مِنِ الْأَحْيَانِ يَكُونُ الْعَلَاقَاتُ الْمَشْبُوْهَةُ هَادِفًا تَسْلِيَّةً وَمَا أَتَبَعَهَا، وَعِنْدَمَا تَتَدَاوِلُ الْأَيَّامُ نَجْدَهُ يَرْمِي بِمِنْ كَانَ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهَا لِيَتَعَلَّقَ بِغَيْرِهَا وَهَكَذَا دَوَالِيكَ، فَمَا حَالُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ؟ تَعْتَقِدُ بِصَدْقِ الْمُتَوَدَّدِ وَتَعْطِيهِ وَقْتَهَا وَإِذَا هُوَ كَاذِبٌ فِي نَوَايَاهَا وَعَلَيْهِ تَنَفَّذُ الْأَيَّامُ وَيَضِيقُ الْعُمُرُ وَيَكِبِّرُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَجِدُ نَفْسَهُ إِلَّا وَيَحْنُّ نَدَامَةً عَلَى الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ الْمَنْقَضِيَّةِ فِي اللَّهِ وَاللَّعْبِ.

الازدواجُ فِي الشَّخْصِيَّةِ يُعْتَبَرُ مِنْ أَمْرَاضِ بِيَّةِ الْاِخْتِلاَطِ فِي مَيَادِينِ الْعَمَلِ وَالْمِهَنِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ بِأَجْلَى صُورِهِ وَمَصَادِيقِهِ، وَيُفْسِرُ ذَلِكَ تَجَاوِزُ خُطُوطِ الدِّينِ دَاخِلَ الْعَمَلِ، وَخَارِجَهُ نَجْدَ التَّلْبِيسِ بِخِلَافِ ذَلِكَ مِنْ زِيَّ

وَحَدِيثٌ، وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ (نَرَى الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ يَفْكَّانِ الْقُيُودَ الشَّرْعِيَّةَ لِيَسْتَرِسْلاً فِي الْمُشْبُوهِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْحَرَكَاتِ دَاخِلَ صَرْحِ الْعَمَلِ بِلَا حَيَاءً، وَنَجْدَهُمَا فِي الْمُحيطِ الْعَائِلِيِّ كَمْ يَتَحرَّزَا فِي عَلَاقَاتِهِمَا مَعَ الْأَجْنبَى وَالْأَجْنبِيَّةِ فِي ضِمْنِ الْعَائِلَةِ الْوَاحِدَةِ)، فَالْحَالُ وَاضِحٌ بِوُجُودِ الْاِزْدِوَاجِ فِي الشَّخْصِيَّةِ.

فَهَذَا الْاِزْدِوَاجُ يَفْصُمُ شَخْصِيَّةَ الْفَرَدِ وَيَجْعَلُهَا رِكْيَةً هَشَّةً، وَقَابَلَةً لِتَرَاكُمِ النَّظَرَاتِ خِدْهَا، وَالَّتِي مِنْ شَأنِهَا أَنْ تُقلِّلَ مِنْ مَكَانَةِ الْفَرَدِ وَمَنْزِلَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ، لِأَنَّ التَّعَامِلَ بِوْجَهِيْنِ وَبِقَالَبَيْنِ لَا يَدُومُ وَيَجْعَلُ الْمَرءَ غَيْرَ مُتَّزَنٍ فِي التَّصْرِيفَاتِ وَالسُّلُوكَيَّاتِ، وَيَحْصُلُ لَهُ التَّشَاهُفُ وَالْمَهْفَوَاتُ الَّتِي تُقلِّلُ مِنْ شَأنِهِ كِإِنْسَانٍ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ كَوْحَدَةً مِنَ الْانْسِجَامِ وَالانتِظَامِ فِي السُّرُّ وَالْعَلَنِ، فِي الْعَمَلِ وَخَارِجِهِ، فِي الْقِيَاسِ لِعَظَمِ وَكُشْرَةِ النَّوَاحِي الَّتِي يَصْبَحُ فِيهَا الْخَلَلُ نَتْيَاجَةً لِالْاِخْتِلاَطِ، نَقُولُ بِعَبَارَةِ صَرِيقَةٍ: (أَنَّ الْاِخْتِلاَطَ تَيَارٌ مُدْمِرٌ يَسِيرٌ بِجَلَاءِ مِنْ حَيْثِ الْمَظَهَرِ وَيَخْفِي الدَّوَاهِيِّ فِي جُعْبَتِهِ).

#### الخاتمة

يَسْتَحْقُّ مَيْدَانًا (الدُّرْسَةُ) وَ(الْعَمَلُ) اهْتِمَاماً أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمَا لِكَوْنِهِمَا يَتَمَيِّزُانِ بِأَنَّ مُشَكِّلَةَ الْاِخْتِلاَطِ فِيهِمَا يَوْمِيَّةٌ بِخَلَافِ بَعْضِ الْمَيَادِينِ الَّتِي يَرْتَبِطُ بِهَا الْاِخْتِلاَطُ فِي مَوَاسِيمِ وَأَيَّامِ مُعَيَّنةٍ مِنَ الدَّهْرِ، طَبَّعاً يَبْدأُ الْاِهْتِمَامُ مِنْ نَفْسِ الْفَرَدِ وَوَلِيِّهِ وَالْمَسْؤُلِ عَنْهُ، وَمِنْ ثُمَّ عَلَى الْمُسْتَغْلِلِينَ بِأَمْورِ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ لِعَمَلِ التَّوْجِيهِ وَالْإِرْشَادِ، وَيَنْتَهِي بِالْجَمَعَ الصَّالِحِ الَّذِي يَدْعُو لِطَردِ شَوَّاذِ الْأَفْعَالِ مِنْ تَسِيْجِهِ الْإِسْلَامِيِّ وَمُحاوَلَةِ التَّجَلِّبِ بِكُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ عَفِيفٍ.

هَذِهِ صُورَةٌ عُكِسَتْ لِتَقْرِيبِ الْمَثَلَرِ لِمَنْ هُمْ يَنْتَوْنَ عَنْ هَذِهِ الْمَوَارِدِ،  
آمِلِينَ بِأَنَّهُ أَسْتَطَاعَ الْهَدَفُ تَقْدِيمُ خِدْمَةٍ لِمَنْ هُمْ يُعَايِشُونَ أَمْرَ التَّبَلِيجِ  
وَالنُّصْحِ الدِّينِيِّ عَلَّهُ يُظْلَانَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ وَعَطْفِهِ. غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ  
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً مِنْهُ وَبَرَكَاتٍ.

### المواهش:

(١) المقصود من الإختلاط غير المذوم هو الإختلاط المباح الذي لا رجحان فيه بحسب الحكم الأولى، والتقسيم المذكور لا يتضمن الحث على هذا النوع من الإختلاط وإن لم يكن محظياً بذاته، إلا أنه مكره ومرجوح بحسب ما ذهب إليه بعض الفقهاء، أو لا أقل، هو غير راجح إن لم نقل بمرجوحيته.

(٢) كنز العمال .٢٩٦٩





## العفة القرآنية

### سورة يوسف مثالاً

# جسر على المalki

مقدمة

يُعتبر القرآن الكريم هو المقياس الأسمى في دقة التعبير والاستفادة من الألفاظ بقدرٍ يفي بالغرض وهو إيصال الحقيقة المتمثلة في الواقع التي يذكرها، أو في الأحكام التي ينبع إليها الإنسان، وذلك لترشده في حياته، وتُسّير حياة الإنسان إلى أسمى حياة مرجوة، ومن جانب آخر فلا تجد منه زلةً في تعبير أو فحشاً في قول، بل تجده يعبر عن الأمور الحساسة والتي تثير غريزة القارئ بتعابير تحفظ حقيقة تلك الواقع وتوصلها للقارئ بأدقّ التعبير والتى لا يمكن للقارئ أن يتّحسّس منها شيئاً يثيره أو حتى يحرك فكره باتجاهٍ لا يقصده القرآن.

إنَّ كتاباً ضخماً يحوي قصصاً وعبرًا ودستوراً شاملاً مع دقةٍ بلاعنة لا تقارن، وهذه الدقة لا يمكن لأي شخصٍ منَّا أنْ يأتي بمثلها دون أن يجرح مشاعرَ قومٍ أو أن ينال من آخرين أو أن يذكرَ أموراً قد لا تتقبلها الفطرة السلمية، بينما نجد على العكس تماماً أنَّ ذلك الدستور الضخم قد أمتلأ قداسةً وعفةً، فلم يذكر أيَّ موقفٍ إلا ووافق الذوق السليم، فأيُّ كتابٍ هذا! فمن عجائبِ القرآن وواحدةٍ من أدلةِ الإعجاز، أَنَّه لا يوجد في تعبيره ركبةٌ وابتذالٌ وعدم العفةٌ و ما إلى ذلك، كما أَنَّه لا يتناسب مع أسلوب الفرد العادي الأُمِّي الذي تربى في محيطِ الجahليَّة، مع أنَّ حديثَ كلِّ أحدٍ يتناسب مع محطيه وأفكاره! أليس هذا الكتاب بأعفِ الكتب، وما حواه من فكرٍ وأفكارٍ تنم عن عفةٍ وحياءٍ.

من مواعظ الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ : «ما من شيءٍ أحب إلى الله بعد معرفته من عفة بطن وفرج، وما من شيءٍ أحب إلى الله من أنْ يُسأل»<sup>(١)</sup>.

السبب الذي من أجله ذكر الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ أنَّ أَحَبَّ الأمور عند الله بِعْدَ عِلْمِهِ أنَّ عفَّةَ البطن والفرج، ولم يذكر شيئاً آخر من سائر الواجبات والعبادات كالصلاه مثلاً، هو أنَّ العفة مانعة من وجود السبب المزاحم، والسبب المزاحم أشدُّ تأثيراً من السبب المعد دائمًا. فمثلاً الإنسان الذي يتناول الطعام المقوي والمفيد ولكنه في نفس الوقت يدخل السمَّ أو الميكروب إلى بدنَه بنحو منتظم، فمن البديهي أن لا يكون للغذاء أيَّ أثر.

وفي الأمور المعنوية كذلك، فإنَّ الإنسان الذي يأتي بالعبادات كثيراً ولكنَّه في نفس الوقت يُدخل على قلبهِ وروحِه ميكروبَ الذنب والمعصية فهنا لن يكون لعباداته أيَّ أثر. بخلاف ما إذا لم يكدرْ مرآة القلب شيءٌ من أقدار الذنوب؛ فإنَّ فطرته الإلهية سوف تهديه إلى الرشد والكمال. إذن فترك الذنب أَهْمُ من فعل العبادة، ولذا فإنَّ الشيطان أكثر عمله هو الوسوسَة للإنسان بارتكاب الذنب لا



ترك العبادة، لأن الذنب حينما يسيطر على الإنسان لا تكون عبادته حينئذ موجبة للتقرّب لله تعالى. وعليه فأحب الأعمال والأمور والأشياء لله تعالى هي ترك هذين الذنبين: أحدهما البطن وما يرتبط به من طلب الدنيا وجمع المال والأطماء. والآخر الشهوات الجنسية<sup>(٢)</sup>.

### تعريف العفة

لم يتفق المفسرون على تعريف خاص بالعفة، فصاحب الأمثل<sup>(٣)</sup> ذكر أنَّ العفة تطلق على مفهومين عام وخاص، فالمفهوم العام هو ضبط النفس في مقابل الرغبات والميول النفسانية والإفراط في اتباعها، وأمّا المفهوم الخاص هو ضبط النفس في مقابل متطلبات الغريزة الجنسية والتحلل الأخلاقي.

وذكر آخر أنَّ العفة: "هي انتقاد قوة الشهوة للعقل في الإقدام على ما يأمرها به من المأكل والمنكح كمَا وكيفًا والاجتناب عمّا ينهاها عنه"<sup>(٤)</sup>. وليس المراد منها حرمان النفس من أشواقها ورغائبه المشروعة، في المطعم والجنس<sup>(٥)</sup> إنما الغرض منها هو الاقتصاد والاعتدال في تعاطيها وممارستها، إذ كل إفراط أو تفريط مضر بالإنسان، وما أعنيه بالعفة القرآنية هو تَرُفُّ القرآن عن ذكر أمور تخدش حياء المستمع أو القارئ، أو حتى مُخالفة العُرُفِ بذكره ألفاظاً يستهجنُها الناسُ.

### هل في القرآن تعابير جافية؟<sup>(٦)</sup>

زعم البعض أنَّ في القرآن تعابير جافية لا تناسب وأدب الولي الرفيع؛ وذلك في مثل التعبير بالفرج وهو اسم لسوء الإنسان. والتعبير بالخيانة بشأن أزواج أنبياء الله، وهو فضح امرأة تكون في حصانة زوجٍ كريم. والتعبير بـ(أحسوا) والتشبيه بالحمار والكلب، وكذا سائر التعابير الغليظة الجافة في مثل ﴿تبت﴾<sup>(٧)</sup> و﴿أمرأته حالة الحطب﴾<sup>(٨)</sup> و﴿قاتلهم الله﴾<sup>(٩)</sup>. ومن أمثل هذا القبيل

لکنهُ زعمٌ فاسدٌ ناشیٰ عن الجهل بعطلح اللغة في ذلك العهد وخلط القديم بالجديد من الأعراف. وتفصيل ذلك:

"التي أحصنت فرجها"

جاء هذا التعبير في القرآن في موضعين<sup>(١٠)</sup> فعابوا عليه التصرّيف بسوء المرأة! لكنه تعبير كنائي وليس بتصريح، حيث المراد من الفرج هنا هو خصوص جيب القميص وهو خرقٌ مطوقٌ في أسفله.

قال ابن فارس: "الفاء والراء والجيم. أصلٌ صحيحٌ يدل على تفتح في الشيء".  
 من ذلك: الفُرْجة في الحائط وغيره والشقّ. والفروج: الثغور التي بين مواضع  
 المخافة"<sup>(١١)</sup>. قال: "والجِبَب، جِبَبُ الْقَمِيص"<sup>(١٢)</sup>، وهو خرق مستطيل في قدامه. يقال:  
 جِبَبُ الْقَمِيص، قَوَّرَتْ جِبَبَه، وهو خرقٌ مِنْ وَسْطِه خُرْقاً مُسْتَدِيرًا. وفي القرآن  
 ﴿وَلَيَضِرُّنَّ بَعْمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾<sup>(١٣)</sup> وهو خرق في صدر القميص. ويقال:  
 فلانُ ناصح الجِبَب أي أمينه<sup>(١٤)</sup>. ويقال: طَاهُرُ الْجِبَب أي نَزِيهُه.

فالفرج في هكذا تعبير هي فُرجة القميص أي جيبيه، وهو عبارة عن خرق مطوق في أسفله، حسب العادة في قِمْصان العرب. فإحصان الفرج عبارة عن طهارة الذيل أي نزاهته عن دنس الفحشاء<sup>(١٥)</sup>.

وهو استعمال على الأصل العربي القديم والذي جرى عليه القرآن الكريم على المصطلح الأول، أمّا أخيراً فغلب استعماله في سوءة المرأة وهو استعمال مستحدث، لا يُحمل القرآن عليه. قال تعالى: ﴿وَالْمَحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾<sup>(١٦)</sup> وقال أيضاً جلَّ وعلا: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ... وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾<sup>(١٧)</sup> كل ذلك كناية عن التحفظ على نزاهة الذيل عن دنس الفحشاء،

وليس اسمًا خاصًا للسوءة ولا سيما سوء المرأة.

### "فخانتاهما"

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٌ وَامْرَأَةٌ لُّوطٌ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدِينَ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا ﴾<sup>(١٨)</sup>، فعابوا على القرآن فضح أمرتين هما زوجان لعبدين صالحين! لكن التعبير بالخيانة هنا لا يراد بها ارتكاب الفاحشة، كلا! وإنما هو مجرد مخالفة الزوج وإنكار رسالته، قال الفيض الكاشاني: "فخانتاهما بالنفاق والظهور على الرسلين"<sup>(١٩)</sup>.

### سورة يوسف

من العبر الكثيرة في القرآن الكريم، أحببنا التوقف قليلاً مع سورة يوسف لأن بها أبلغ مثال على العفة التي يتسم بها كتاب الله جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ تَقْسِيمِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مُتَوَاعِي إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ \* وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهَمَ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُحْلِصِينَ ﴾<sup>(٢٠)</sup>.

مقدمة لا بد منها:

إن الآية الكريمة كانت ولا زالت موضوع بحث المفسرين والمحققين لما تشتمل عليه من نكات علمية وعملية على عصمة الأنبياء بشكل عام وعصمة النبي الله يوسف عليه السلام بشكل خاص. وخصوصاً أن الآية تصف الخلوة بين يوسف عليه السلام وزوجة العزيز بوصف دقيق حيث حكم الباري عليه السلام رغبة كل شخص منهم وبما خالج فكر كل منهما. إن الخلوة التي تصفها الآية الكريمة، والتي يظهر من قيودها شدة رغبة زوجة العزيز على فعلها، فكما ذكر اللغويون أن لفظة **رأودته** أي

راودته على الأمر مراودة ورواداً من باب قاتل: طلبت منه فعله، ”وكأنَّ في المراودة معنى المخادعة لأنَّ الطالب يُتطلَّف في طلبه بلطاف المخادع ويحرص حرصه“<sup>(٢١)</sup>. وأيضاً ذكروا أنَّ لفظة **﴿غلقتِ﴾** تفيد المبالغة والتشديد في غلق الأبواب أي إطباقي الباب بما يعسر فتحه، ولم يختص التغليق -شدة الغلق- بباب واحد بل عمَّ جميع الأبواب بدليل الجمع الحالى باللام<sup>(٢٢)</sup>، و**﴿هيَتَ لَكَ﴾** اسم فعل بمعنى هلُمَ أو أقبل<sup>(٢٣)</sup>، و**﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾** أي أعوذ بالله معاذاً فهو مفعول مطلق قائم مقام فعله<sup>(٢٤)</sup>.

والمسائل التي تسترعي الانتباه في هذه القصَّة ما يلى:

١- كلمة (راود) تستعمل في مكان يطلب فيه أحدٌ من الآخر شيئاً بإصرارٍ ممزوجاً بالترغيب واللين، لكن ما الذي أرادته امرأة العزيز من يوسف؟! بما أنه كان واضحاً فقد اكتفى القرآن بالكنایة والتلميح دون التصريح! إذ أنَّ الهدف والمقصود قد اتضح للعيان، فيصبح من المعيب على القرآن -في حال التصريح- أنْ يأتي بوضحاً لما قد اتضح سابقاً، حيث تكفلت هذه الكلمة ببيانه، فيكون بيانه الآخر من باب تحصيل ما هو حاصل.

٢- إنَّ القرآن هنا لم يعبر عن امرأة العزيز تعبيراً مباشراً، بل قال: **﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾** ليقترب من بيان العفة وإسدال الحجاب، حيث الملك والسلطان والأمر والنهي بيدها، ففي هذا المقطع نفهم أنَّها كانت مسيطرةً على الوضع ولا يمكن ليوسف عليه السلام إلا الامتثال -حسب اعتقادها وفق الوضع الحاصل آنذاك-، كما جسَّد القرآن معرفة يوسف للحق وجسَّد مشاكل يوسف أيضاً في عدم التسليم إزاء من كانت حياته في قبضتها.

٣- **﴿غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾** التي تدلُّ على المبالغة وأنَّ الأبواب جميعاً أوصدت بشدَّة، حيث أشرنا إلى قضية التشديد في غلق جميع الأبواب.

٤- جملة **﴿هَيَتَ لَكَ﴾** تشرح آخر كلام امرأة العزيز للبلوغ إلى وصالٍ

يوسف، و لكنّها في عبارة متينة ذات مغزى كبير وليس فيها ما يشير إلى تعبير سبيئ.

٥- ﴿مَعَذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ التي قالها يوسف لتلك المرأة، معناها كما يقول أكثر المفسّرين: أي التجئ إلى الله فإنّ عزيز مصر صاحب وسيدي وهو يجعلني ويحترمني ويعتمد عليّ، فكيف أخونه؟! وهذا العمل خيانة وظلم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ وبهذا توضّح الآية سعي يوسف إلى إيقاظ العواطف الإنسانية في امرأة العزيز.

٦- جملة ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ترسم من جهة - تلك الخلوة بدقة، بحيث لو أنّ يوسف لم يكن لديه مقام العصمة أو العقل أو الإياع لكان قد وقع في (الفخ). ومن جهة أخرى ترسم انتصار يوسف أخيراً في هذه الظروف على شيطان الشهوة الطاغي بأسلوب رائع، كما سنشير إليه لاحقاً. الطريق هنا أنّ الآية استعملت كلمة (هم) فحسب، أي أنّ امرأة العزيز صممت من جهتها على الفعل ولو لم يرّ يوسف برهان ربّه - أي لولا عصمه - لصمم من جهته أيضاً، ترى هل توجد كلمة أكثر متانة للتعبير عن (القصد والتصميم) أفضل من هذه؟! وكما ذكر أصحاب اللغة فإنّ (لولا) حرف امتناع لوجود، أي عندما تقول لشخص: لولا زيارتك لي لزرتُك. أي أنه امتنع مني زيارتك وذلك لوجود زيارتك لي، فالآلية الشريفة عندما تصف هذه الحقيقة ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أي أنّ الهم قد حصل من جانبها بيد أنّ يوسف لولا أن رأى برهان ربّه - أي لولا عصمه - هم بشيء. ولكن كما قلنا أنّ لولا حرف امتناع لوجود فإذا قد امتنع الهم من يوسف لوجود العصمة. فتأمل!

وأيضاً فالبعض قد توهّم أنّ نبي الله عليه السلام قد هم بالمعصية وذلك لوجود

العطف بين هم وهمها وذلك إذا قرأنا الآية بهذا النحو ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهَمَ بِهَا﴾ بلا فاصلة بين المقطعين، وأمّا إذا قرأناها بهذا النحو ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ - بِهَا﴾ بـ وجود الفاصلة هنا - وَهَمَ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فلا يكون للتوهم السابق وجہ. وربما يُقال أنَّ النحاة منعوا تقدم جزاء لولا عليها<sup>(٢٦)</sup> ، إلَّا أنه يمكن حمل ﴿وَهَمَ بِهَا﴾ على أنها ليست بجزء لـ لولا وإنما هو مقسم به بالعطف على ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ﴾ وهو في معنى الجزاء فاستغنيَّ به عن ذكر الجزاء<sup>(٢٧)</sup>.

دليل آخر من الآية: قوله تعالى ﴿... كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾.

هذا التعبير الجميل والرائع في هذا المقطع من هذه الآية يشير بشكلٍ راقٍ عن العفة، فالآية نصت على: لنصرف عنه السوء والفحشاء ، ولم تعبّر بجملة: نصرفه عن السوء والفحشاء، فهل هناك فرق بين هذين التعبيرين؟

الحقيقة أن هناك فرقاً كبيراً، لأننا تارة نقول: صرف زيداً عن اللعب، وأخرى نقول: صرفت اللعب عن زيد. وذلك لأن المفهوم من التعبير الأول هو أنَّ زيداً يمتلك الإرادة لأن يلعب ويوجد لديه ميل للقيام بهذا العمل ولكنك صرفت زيداً عنه. بعبارة أخرى، يدلُّ التعبير الأول على وجود المقتضي للقيام باللعب عند زيد، إلَّا أنَّ المانع هو السبب في عدم وقوعه.

أما الصيغة في التعبير الثاني فهي بخلاف ذلك، إذ المفهوم منه هو عدم وجود المقتضي للعب عند زيد أصلاً. لأجل أن يضع القرآن الكريم أيدينا على هذه الحقيقة المتمثلة بعدم وجود الميل النفسي للسوء والفحشاء في نفس يوسف عليه السلام أصلاً، فقد عبرت الآية الكريمة بجملة: ﴿... كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ ولم تقل: (لنصرفه عن السوء والفحشاء)<sup>(٢٨)</sup>.

اسم عزيز مصر

ما يستجلب النظر في آيات هذه السورة المباركة أنَّ اسم عزيز مصر لم يُذكر

فيها، وإنما ورد التعبير عنه بـ ﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾<sup>(٢٩)</sup> لكن من هو هذا العزيز، حيث لم يصرّح في القرآن الكريم به إلا بالتدرج، فمثلاً نقرأ بعض الآيات نجد الإشارات له تتواتي دون التصريح باسمه، فيقول الباري في آية أخرى ﴿وَالْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾<sup>(٣٠)</sup> وحين نتجاوز هذه الآية نواجه التعبير عن زوجته ﴿امْرَأُ الْعَزِيزِ﴾<sup>(٣١)</sup>.

وهذا البيان التدريجي إنما لأن القرآن يتحدث -حسب طريقته- بالمقدار اللازم، وهذا دليل من أدلة الفصاحة والبلاغة، أو لأنّه حين يبدأ بالقصة، يبدأ بها من نقطة غامضة ليتحرك الإحساس في الباحث، وليلفت نظره نحو القصة<sup>(٣٢)</sup>.

وهذا دليل على أنّ القرآن قد لا يصرّح بأشياء لا تغنى ولا تسمن من جوع، بينما يعطي إشارات راقية للعفة قد تخفي عن قارئ تلك الآيات إلا بالتمعن والدقة. قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَةِ فَاعْلَوْنَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾<sup>(٣٣)</sup>.

هذه الآية تتحدث عن الصفات البارزة للمؤمنين حيث يذكرها القرآن الكريم بعباراتٍ قصيرةٍ ومليدةٍ بمعنى ضمن بيان قسم مهم من صفات المؤمنين ويذكر صفة العفة والطهارة بأنها إحدى الصفات والحصول الممتازة لهؤلاء المؤمنين، وللملفت للنظر أنّ القرآن الكريم يذكر من ضمن الصفات الممتازة للمؤمنين صفة العفة بعد الصلاة والزكاة والامتناع من اللغو حتى أنه يذكرها قبل صفة الأمانة والوفاء بالعهد أيضاً.

### الخلاصة مما أردنا بيانه

هذه القصة تتحدث عن عشق امرأة والله ذات أهواء جامحة لشاب جميل ظاهر القلب. فأصحاب المقالات والكتاب حين يواجهون مثل هذا الأمر، إنما أن

يتحدّثوا عن أبطال القصّة بأن يطلقوا للقلم أو اللسان العنان، حتّى تظهر في (البيان) تعبيراتٍ مثيره وغیر أخلاقية كثيرة. وإنما أن يحافظوا على العفة والزاهة في القلم واللسان ويقتصرُوا في جانب آخر، فيحولوا القصّة إلى القراء أو السامعين بشكلٍ غامضٍ ومهمّهم. فالكاتب أو صاحب المقال مهما كان ماهرًا سيبتلي بواحد من هذين الإشكاليين، ترى هل يعقل أن فرداً لم يدرس يرسم رسماً دقيقاً وكاملاً لفصول مثل هذا العشق المثير، دون أن يستعمل أقلّ تعبير مثير وبعيد عن العفة؟! ولكن القرآن يمزج في رسم هذه الميادين الحساسة من هذه القصّة بأسلوب فريدٍ في الدقة في البيان مع المتانة والعفة، دون أن يغضّ الطرف عن ذكر الواقع، أو أن يُظهر العجز، وقد استعمل جميع الأصول الأخلاقية والأمور الخاصة بالعفة.

## المواهش:

- (١) تحف العقول : ٢٨٢
- (٢) كلمات مضيئة من نفحات الإمام القائد السيد الخامنئي (العفة) : ٣٠٢
- (٣) الأخلاق في القرآن ج ٢ : ٢٥٩
- (٤) جامع السعادات للنراقي ج ١ : ٣٦٣
- (٥) كما قد يتوهّم من حديث الرسول الأكرم عليه السلام: «أكثـر ما تلـج به أمـيـةـ النـارـ، الأـجـوفـانـ الـبـطـنـ وـالـفـرـجـ» بـحارـ الـأـنـوارـ جـ ٧١ـ: صـ ٢٦٩ـ
- (٦) الإشكالات مقتبسة من شبهات وردود حول القرآن الكريم " محمد هادي معرفة " : ٢٤١ - ٢٤٢
- (٧) المسد: ١
- (٨) المسد: ٤
- (٩) التوبية: ٣٠ ، المنافقون: ٤
- (١٠) الأنبياء: ٩١ ﴿وَالَّتِي أَخْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ . التحريم: ١٢ ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَخْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ .

- (١١) معجم مقاييس اللغة ج ٤: ٤٩٨.
- (١٢) معجم مقاييس اللغة ج ١: ٤٩١ و ٤٩٧.
- (١٣) النور : ٣١.
- (١٤) لسان العرب ج ١ : ٢٨٨.
- (١٥) ونظيره جاء التعبير في الفارسية " پاکی دامن ".
- (١٦) الأحزاب : ٣٥.
- (١٧) النور : ٣٠ و ٣١.
- (١٨) التحرير : ١٠.
- (١٩) تفسير الصافي ج ٢ : ٧٢٠.
- (٢٠) يوسف : ٢٣ - ٢٤.
- (٢١) مجمع البحرين ج ٣ - ٤ : ٣٧.
- (٢٢) تفسير الميزان ج ١٢ : ١٢٧.
- (٢٣) إرشاد الأذهان الى تفسير القرآن ج ١ : ص ٢٤٣.
- (٢٤) تفسير الميزان ج ١٢ : ١٢٢.
- (٢٥) تفسير الأمثل ج ٦ : ٢٧٢ ، مع التصرف.
- (٢٦) وإن وُجِدَ من أجاز تقدم جزءٍ لولا عليها، راجع التبيان في تفسير القرآن ج ٦ : ١٢٢.
- (٢٧) كما ذكر السيد العلامة في تفسير الميزان ج ١٢ : ١٣١.
- (٢٨) عصمة الأنبياء في القرآن، سيد كمال الحيدري : ٩٠.
- (٢٩) يوسف : ٢١.
- (٣٠) يوسف : ٢٥.
- (٣١) يوسف : ٣٠.
- (٣٢) تفسير الأمثل ج ٦ : ٢٥٨.
- (٣٣) المؤمنون : ٧ - ٥.



## عفاف المرأة في الرسالة العملية

### عزيز حسن الخزان

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآلـه الأطـيـبـيـنـ الـأـنـجـبـيـنـ. خـلـقـ اللهـ الـبـشـرـ صـنـفـيـنـ؛ ذـكـرـاـ وـأـنـثـىـ، فـأـوـجـدـ فـيـهـمـاـ فـوـارـقـ جـسـدـيـةـ وـنـفـسـيـةـ لـحـكـمـةـ أـرـادـهـاـ بـعـدـ إـرـبـاعـاـ، كـمـاـ أـنـ حـكـمـتـهـ عـزـيزـاـ اـقـتـضـتـ أـنـ يـخـصـ كلـ صـنـفـ مـنـهـمـاـ بـأـحـكـامـ مـعـيـنـةـ، مـعـ اـشـتـراـكـهـمـاـ فـيـ أـغـلـبـ الأـحـكـامـ الـأـسـاسـيـةـ، وـهـذـاـ كـلـهـ فـيـ الجـانـبـ الـفـقـهـيـ، وـأـمـاـ الجـانـبـ الـعـقـائـديـ وـالـثـوـابـ وـالـعـقـابـ فـلـاـ فـرـقـ بـيـنـ الرـجـلـ وـالـمـرـأـةـ.

وـحـقـ تـكـونـ الـعـلـاقـةـ سـلـيـمـةـ بـيـنـ الرـجـلـ وـالـمـرـأـةـ وـلـاـ تـنـحرـفـ فـيـفـسـدـ الـجـمـعـ وـيـنـقـضـ الـغـرـضـ الـذـيـ مـنـ أـجـلـهـ مـيـزـ بـيـنـهـاـ فـيـ الـخـلـقـةـ، وـضـعـتـ الشـرـيـعـةـ الـغـرـاءـ

ضوابط لكل منها، ولم تترك لها الاختيار المطلق في هذه العلاقة؛ وذلك لأنّه لو فتح الباب على مصراعيه لحصل الفساد العظيم، كما هو حاصل فعلًا في المجتمعات غير المتدينة. وبما أن للمرأة الدور الأكبر في هذا المجال كما هو ظاهر للوتجدان، اهتمَ الشارعُ المقدّس بعفاف المرأة؛ لأجل الحفاظ على حرمتها أولاً، ومن ثم للحفاظ على المجتمع، وهناك أحكام شرعية كثيرة في مختلف الأبواب الفقهية خُصّت بها المرأة لأجل العفة، سنذكر بعضها بما يناسب هذا المقال المختصر.

وليعلم أن ذلك ليس للتضييق على المرأة والتقليل من شأنها، وهذا ما تؤمن به المرأة المؤمنة المسلمة لربها، فإن الله الرحيم الحكيم هو الذي وضع هذه الأحكام، وما يذكره الفقهاء في رسائلهم العملية ليس من عند أنفسهم كما يريد أن يصوره الحاقدون على الإسلام، وما تلك الدعوات التي تنطلق من هنا وهناك باسم حقوق المرأة والدفاع عنها إلا وسيلة لجعل المرأة لعبة وأداة رخيصة لتمرير أهدافهم المشؤومة، ونحن نرى بأنهم يريدون أن يستفيدوا من ذلك في أهداف سياسية بل واقتصادية أيضًا. فلنا أن نسألَ ماذا حقّ هؤلاء للمرأة؟ فهل من الإنصاف والعدل عندهم مثلاً أن يكون لباسُ الرجل محتشمًا أكثر من النساء؟ وهل مقتضى حقوق المرأة أن يُستغل عرضها لجلب الأموال؟ وهل يناسب مكانة المرأة أن تكون موضعاً لقضاء شهوة كل طامع؟! لن تجد المرأة العاقلة المريضة على نفسها ومكانتها نظامًا وقانونًا يقر بحقوقها ويحافظ على كرامتها أفضل من القانون والنظام الإسلامي العظيم. ونحن هنا سنذكر بعض هذه الأحكام التي ذكرها الفقهاء، والتي لو التزمت بها المرأة وأعطتها الأهمية المناسبة لزالت كثير من المشاكل الأخلاقية التي ابتليت بها مجتمعاتنا الإسلامية.

### التصدي للمرجعية

من المسائل المعروفة بين الفقهاء هو اشتراط الرجلة في الفقيه المرجع، فلا

يجوز تقليد المرأة، فما هو السبب في ذلك؟ هل المرأة غير مؤهلة لهذا المنصب كما قد يصوره بعض المغرضين؟ أم أنَّ هناك سبب آخر؟

كثير من الأحكام الشرعية التي يُقدَّم فيها الرجل، وتنبع منها المرأة، يتخذها المغرضون والمعادون للدين ذريعة لتشويه الإسلام، منها هذه المسألة، ولكنَّ المؤمن والمؤمنة يعلمان ويتيقنان بأنَّ الأحكام الشرعية تدور مدار الحكمة الإلهية التي قد تغيب عنا ولا نعلم الهدف والحكمة منها، ونحن نقطع بأنَّ السبب هنا في عدم تجويز تقليد المرأة ليس استخفافاً لمقام المرأة وأهليتها لذلك، والدليل على ذلك أنَّ النبوة والإمامية وهما مقامان أعظم من مقام مرجعية الفقهاء لم يعطِ اللهُ تعالى لأي امرأة هذان المنصبان مع أنه قد ثبت وجود نساءٍ هنَّ أفضل من الرجال بما فيهم الأنبياء عليهما السلام، كما هو الحال بالنسبة للزهراء عليها السلام كما نعتقد، وكما في السيدة مريم عليها السلام، ومع ذلك لم ينقص من شأنهن شيئاً ولم يعترضن على ذلك.

ويحتمل أنَّ السبب لذلك هو أنَّ مقام النبوة والإمامية وكذلك المرجعية تحتاج من صاحبها أن يخالط الناس ليبلغهم دين الله، وهذا يعرض المرأة لخالطة الرجال، وهو خلاف ما يريده الشرع من المرأة. يقول السيد الخوئي عليه السلام: "والصحيح أنَّ المقلد يعتبر فيه الرجولية، ولا يسوغ تقليد المرأة بوجهه، وذلك لأنَّا قد استفدنا من مذاق الشارع أن الوظيفة المرغوبة من النساء إنما هي التحجب والتستر، وتصدي الأمور البيتية. دون التدخل فيما ينافي تلك الأمور. ومن الظاهر أن التصدي للإفتاء - بحسب العادة - جعل للنفس في معرض الرجوع والسؤال؛ لأنهما مقتضى الرئاسة للمسلمين، ولا يرضى الشارع بجعل المرأة نفسها معرضة لذلك أبداً، كيف ولم يرض بإمامتها للرجال في صلاة الجمعة فما ظنك بكونها قائمة بأمورهم ومديرة لشؤون المجتمع ومتصدية للزعامة الكبرى للمسلمين. وبهذا الأمر المرتكز القطعي في أذهان المشرعة يقيد الإطلاق، ويردع عن السيرة العقلائية الجارية على رجوع الجاهل إلى

العالم مطلقاً رجل كان أو امرأة<sup>(١)</sup>.

## خروج المرأة ومشاركتها الرجال

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ بِالْجَمَاعَةِ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: النِّسَاءُ عَيْ وَعُورَةُ، فَاسْتَرُوا الْعُورَاتِ بِالْبَيْوَتِ، وَاسْتَرُوا الْعَيْ بِالسُّكُوتِ»<sup>(٢)</sup>. ويقول صاحب العروة: "يكره اختلاط النساء بالرجال، ويكره لهن حضور الجمعة والجماعات إلا للعجائز"<sup>(٣)</sup>.

موارد كثيرة في الفقه يفضل فيها للمرأة عدم المشاركة، بل تبقى في بيتها بعيداً عن مزاجة الرجال، لما يمثله الاختلاط من فتن، وبعض الفتن قد تكون صغيرة، ولكنها يمكن أن تتردّج فتكبر إلى أن يعم الفساد في المجتمع، نذكر بعض هذه الموارد:

### ١-كراهة مشاركة المرأة في تشيع الجنازة:

هناك حثٌ وترغيبٌ كبير في الروايات لتشيع الجنازة؛ لما فيها من فوائد كثيرة، منها تذكر الموت، وإكرام الميت المؤمن، ومواساة أهل الميت، وغيرها من الفوائد، وجعل الله ثواباً عظيماً للمشيعين، فعن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ بِالْجَمَاعَةِ قَالَ: «مَنْ شَيَعَ مِيتاً حَتَّى يَصْلِيَ عَلَيْهِ، كَانَ لَهُ قِيراطٌ مِّنَ الْأَجْرِ، وَمَنْ بَلَغَ مَعَهُ إِلَى قَبْرِهِ حَتَّى يُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيراطٌ مِّنَ الْأَجْرِ، وَالْقِيراطُ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ». وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ بِالْجَمَاعَةِ قَالَ: «مَنْ شَيَعَ جَنَازَةً مُؤْمِنًا حَتَّى يُدْفَنَ فِي قَبْرِهِ وَكُلَّ اللَّهِ عَزَّ ذِيَّلَهُ بِهِ سَبْعِينَ مَلَكًا مِنَ الْمَشِيعِينَ يُشَيِّعُونَهُ وَيُسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ إِلَى الْمَوْقِفِ»<sup>(٤)</sup>.

ولكن ذكر الفقهاء كراهة مشاركة المرأة في التشيع، وقد يكون السبب هو عدم رغبة الشارع المقدس في المخالطة بين الرجال والنساء، يقول صاحب العروة: "يكره أمور:... الرابع: تشيع النساء الجنازة، وإن كانت للنساء". وفي الكلمة التقوى ٧٥٧: "يكره... أن تشيع النساء الجنازة - وإن كان الميت امرأة -".

## ٢- أفضلية الصلاة في البيت:

لا يخفى ما في الصلاة في المساجد من ثواب عظيم، وما الثواب العظيم لمن بنى مسجداً إلا للحث على إحياء المساجد بالعبادة، وهناك روايات توبخ من يترك المساجد والذهب إليها، وفي الحديث المعروف: «لا صلاة بخار المسجد إلا في المسجد».

كلمة التقوى: "المأساة ٢٢٤: تستحب الصلاة في المسجد وقد ورد الحث في ذلك عن أئمة الهدى عليهما السلام، واستفاضت أحاديثهم في بيان فضلها، وقد ورد عنهم عليهما السلام: «إن الصلاة في المسجد الجامع في البلد تعد ثواب مائة صلاة في غير المسجد، وإن الصلاة في مسجد القبيلة تعد ثواب خمس وعشرين صلاة، وإن الصلاة في مسجد السوق تعد ثواب اثنتي عشرة صلاة».

ولكن يفضل للمرأة أن تختار بيتها، فالصلاحة فيه أفضل من الصلاة في المسجد، قال الصادق عليه السلام: «خير مساجد نسائكم البيوت»<sup>(٥)</sup>. يقول صاحب العروة: "صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد"<sup>(٦)</sup>. وفي المسائل المنتخبة للسيد السيستاني عليه السلام مسألة ٢٢١: "تستحب الصلاة في المساجد للرجال والنساء، وإن كان الأفضل للمرأة أن تختار الصلاة في المكان الأستر حتى في بيتها". وظاهر العبارة أن المناط عند السيد السيستاني عليه السلام هو الأسترية، فإذا كان الذهب للمسجد لا يعرض المرأة للرجال فالمسجد أفضل لها، وإلا فلا.

وأما زين الدين جنكيز في كلمة التقوى م ٢٣٨ فيقول: "صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها، وعلى هذا فتكون صلاتها في البيت أفضل من أي مسجد تزيد الخروج إلى الصلاة فيه وإن كان هو المسجد الحرام أو أحد المساجد المعظمة الأخرى، أو أحد مشاهد المعصومين، والمراد من بيتها هو البيت الذي تأوي إليه وإن كانت مسافرة".

### ٣- كراهة حضور الجمعة على النساء:

ومن المعروف أن من يستثنى من وجوب حضور صلاة الجمعة عند اكتمال شروطها النساء، فلا يجب على المرأة حضور الجمعة حتى في زمن المعصوم عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ، بل ذكر كراهة حضورهن للجمع والجماعات، قال صاحب العروة: "ويكره لهن حضور الجمعة والجماعات إلا للعجائز"<sup>(٧)</sup>.

### ٤- لا جهاد على المرأة:

للجهاد فضل عظيم، وحثّ كبير في الروايات منها قول الأمير عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: «أما بعد، فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وسوغهم كرامته منه لهم ونعمته ذخرها، والجهاد هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقه، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء»<sup>(٨)</sup>. ومن المعروف عند الفقهاء أَنَّه ليس على المرأة جهاد، إلا في بعض الموارد ذكروها في الكتب الفقهية، ولكن للمرأة جهاد آخر ذكر في الأحاديث، كقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: «كتب الله الجهاد على الرجال والنساء، فجهاد الرجل بذل ماله ونفسه حتى يقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيره». وفي حديث آخر «جهاد المرأة حسن التبع»<sup>(٩)</sup>.

وفي الحديث: إنَّ النساء قلن لرسول الله عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَامٍ: يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله، فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله، قال رسول الله عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَامٍ: «مهنة إحداكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله»<sup>(١٠)</sup>. وعنه عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَامٍ أيضاً: «إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم الجاهد بنفسه وما له في سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا يدرى أحد ما هو لعظمته، فإذا أرضعت كان لها بكل مصة كعدل عتق محمر من ولد إسماعيل، فإذا فرغت من رضاعه ضرب ملك كريم على جنبها وقال: استأنفي العمل فقد غفر لك»<sup>(١١)</sup>. وقد يكون سقوط الجهاد عن المرأة علل أخرى.

وفي حديث الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: «لِيْسَ عَلَى النِّسَاءِ جَهْرٌ بِالْتَّلِيلِ وَلَا اسْتِلَامٌ  
الْحَجَرُ وَلَا دُخُولُ الْبَيْتِ وَلَا سَعِيٌ بَيْن الصَّفَافِ وَالْمَرْوَةِ -يعني المروة-»<sup>(١٢)</sup>. فاستلام  
الحجر مستحب، وبما أنه موجب لدافعة المسلمين للحجر كما نراه، فلا يستحب  
للمرأة الاستلام. وبعد هذا نقول إذا كان الشارع يهتم بإبعاد المرأة عن مخالطة  
الرجال حتى في الأمور العبادية المهمة، فكيف بغيرها من الموارد الأخرى كمزاجة  
الرجال في الأسواق وما شابه ذلك؟

وهنا يأتي دور الرجل الغيور على أهله؛ حيث تقتضي الغيرة أن لا يسمح  
لأهلها مزاجة الرجال من غير ضرورة ملحة، كما هو الحال عندنا في كثير من  
بلداننا الإسلامية؛ حيث المرأة في كل مكان، سواء كانت هناك حاجة أم لا،  
ولأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ كلمة يحرك فيها غيرة الرجل ويوجهه حيث يقول: «يا أهل  
العراق نُبَشِّتُ أَنَّ نِسَاءَكُمْ يَدْافِعُونَ الرَّجُلَ فِي الطَّرِيقِ أَمَا تَسْتَحِيْونَ؟» وفي حديث  
عنه عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: «أَمَا تَسْتَحِيْونَ وَلَا تَغَارُونَ؟ نِسَاءَكُمْ يَخْرُجُنَّ إِلَى الْأَسْوَاقِ وَيَزَاحِمُنَّ  
الْعَلُوجَ»<sup>(١٣)</sup>.

### صوت المرأة

مسألة صوت المرأة فيه كلام عند الفقهاء، في أنه هل هو عورة أو ليس  
بعورة؟ قال في الحدائق في مسألة الاكتفاء بأذان المرأة: "وَبِالْجَمْلَةِ فَالْمَسْأَلَةُ مُبْنَيةٌ  
عَنْهُمْ عَلَى تَحْرِيمِ إِسْمَاعِ الْمَرْأَةِ صَوْتَهَا الرَّجُلُ وَهُوَ مُشْهُورٌ عَنْهُمْ"<sup>(١٤)</sup>. وقال في  
مورد آخر: "المشهور بين الأصحاب تحريم سماع صوت المرأة الأجنبية، مبصراً كان  
السامع أو أعمى، وإطلاق كلامهم شامل، لما أوجب السماع، التلذذ والفتنة ألم لا، ولا  
يخلو من إشكال"<sup>(١٥)</sup>.

ولكن الكثير -ومنهم صاحب الحدائق- خصوصاً المعاصرين من الفقهاء،  
ذهبوا إلى عدم كون صوت المرأة عورة، ولكن كون صوتها ليس عورة لا ينبغي

أن يفهم منه مطلوبية سماع صوتها، وكونه لا إشكال فيه أصلاً، لأنَّ هناك من الناس من يحاول أنْ يساوي بين جواز الشيء وبين مطلوبيته شرعاً، وهذا خطأ كبير، وعدم فهم للمسائل الفقهية، وعند مراجعة الفتاوى الفقهية والروايات كذلك سوف نرى حرص الشارع المقدس على صيانة المرأة أولاً، وصيانة المجتمع ثانياً من خلال إبعاد صوت المرأة عن الرجل، وهذا ما نلمسه من عدة مسائل فقهية، نذكر منها:

### ١- رفع الصوت بالأذان:

ذكر في كلمة التقوى: المسألة ٣٢٠ أنه: "يستحب في الأذان وضع الإصبعين في الأذنين ورفع الصوت فيه بقدر الإمكان إذا كان المؤذن ذكراً". فهنا قيد رفع الصوت بالرجل. وقال في الحدائق بعد أن استدل على عدم حرمة إسماع المرأة صوتها للأجنبي: "إلا أنه ينبغي التوقف فيه (الاكتفاء بأذان المرأة) من جهة أخرى، وهو أن الأذان الإعلامي عبادة شرعية مبنية على التوفيق، ولم يرد عنهم عليهم السلام الأذان النساء في ذلك، ولا وقوعه من النساء في زمانهم، ولا الإشارة إلى شيء من ذلك في أخبارهم" <sup>(١٦)</sup>.

وذهب كثير أو أكثر المعاصرين إلى عدم سقوط الأذان (في الموارد التي يسقط فيها الأذان) لمن سمع أذان المرأة <sup>(١٧)</sup>.

وقال التراقي في أذان المرأة: "بل يستحب لهنَ الإسرار به، لفتوى بعضهم، وأنه أنساب إلى العباء والستر المطلوبين منهم" <sup>(١٨)</sup>.

### ٢- رفع الصوت بالتلبية في الإحرام:

ذكر الفقهاء استحباب رفع الصوت بالتلبية لخصوص الرجال، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ليس على النساء جهر بالتلبية» <sup>(١٩)</sup>. والظاهر أنَّ السبب هو المحافظة على المرأة بعدم إسماع صوتها للرجال، خصوصاً أن المذكور أن المرأة لا



تجهر بالتلبية لا أنها لا تلبى.

### ٣- الصلوات الجهرية:

وجوب الجهر في الصلوات الجهرية خاص بالرجل كما هو واضح، وأما المرأة فهي مخيرة فيها، قال في العروة: "لا يجب الجهر على النساء في الصلوات الجهرية، بل يتخيرن بينه وبين الإخفاء مع عدم سماع الأجنبي وأما معه فالأحوط إخفاؤهن، وأما في الإخفائية فيجب عليهن الإخفاء كالرجال، ويعذرن فيما يعذرون فيه" <sup>(٢٠)</sup>.

وفي كلمة التقوى م ٤٤٦: "تخيير المرأة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإخفاء وإن سمعها الأجنبي إلا إذا كان في مقام الريبة والتلذذ".

### ٤- سلام الرجل على المرأة:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة، ولعل الذاهبين إلى الحرمة قد بنوا فتواهم على مسألة أن صوت المرأة عورة، وبالتالي لا يجوز سماع صوتها، يقول المحقق الحلبي: "الأعمى لا يجوز له سماع صوت المرأة الأجنبية، لأنها عورة. ولا يجوز للمرأة النظر إليه، لأنه يساوي المبصر في تناول النهي" <sup>(٢١)</sup>. وقال العلامة الحلبي: "لا يجوز للأعمى سماع صوت المرأة الأجنبية، ولا يجوز للمرأة النظر إليه، لأن ابن أم مكتوم دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعنه عائشة وحفصة قلم تحتجبا عنه، فلما خرج، أنكر عليهما، فقالت: إنه أعمى، فقال: أفعماواه أنتما" <sup>(٢٢)</sup>.

ومنهم من ذهب إلى الكراهة قال في العروة: "يكره للرجل ابتداء النساء بالسلام، ودعاؤهن إلى الطعام، وتأكد الكراهة في الشابة" <sup>(٢٣)</sup>.

ولكن الجواز مشروط بأن لا يُخاف من ذلك الفتنة والتلذذ المحرم، يقول الشيخ زين الدين رحمه الله في كلمة التقوى م ٧٠٢: "يجوز للرجل أن يسلم على المرأة الأجنبية عنه، ويجوز لها أن تسلم عليه ما لم يكن خوف فتنة أو ريبة أو تلذذ محرم". وشرط الجواز هنا هو عدم خوف الوقوع في الفتنة أو التلذذ لا إحراراً ذلك كما

هو واضح. وقال في الحدائق: "نعم لا بأس بتخصيص الحكم (الحرمة)، بما إذا أوجب التلذذ والشهوة".

وقال الميرزا القمي: "قيل: يحرم سلام المرأة على الأجنبي بناء على أن صوتها عورة، والأظهر عدمه، إلا إذا كان مظنة الريبة كما أشرنا سابقاً. ويظهر من ذلك وجوب الرد عليها لو سلم عليها أحد. نعم يكره السلام على الشابة منهن حذرا من الريبة والشهوة كما رواه الكليني في الحسن كالصحيح" <sup>(٢٤)</sup>.

ووردت روایات تنهی عن کلام المرأة مع الرجل، حملها بعض الجوزین على الكراهة، منها عن الصادق علیه السلام عن النبي ﷺ قال: «ونهى أن تتكلم المرأة عند غير زوجها وغير ذي حرم منها، أكثر من خمس كلمات، مما لا بد لها منه». وعن علیه السلام أيضاً: «أربع يمتن القلب، الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء يعني محادثهن، وعارة الأحمق يقول وتقول: ولا يؤل إلى خير» <sup>(٢٥)</sup>.

وعن أبي عبد الله الصادق علیه السلام قال: «كان رسول الله علیه السلام يسلم على النساء ويرددن عليه، وكان أمير المؤمنين علیه السلام يسلم على النساء، وكان يكره أن يسلم على الشابة منهن» <sup>(٢٦)</sup>.

## ٥- ترقيق المرأة صوتها وتليينه:

اتفق الفقهاء على حرمة كل ما يوجب الريبة والشهوة، ومنه ترقيق المرأة صوتها للرجل: يقول صاحب العروة: "لا بأس بسماع صوت الأجنبية، ما لم يكن تلذذ ولا ريبة، من غير فرق بين الأعمى والبصير، وإن كان الأحوط الترك في غير مقام الضرورة، ويحرم عليها إسماع الصوت الذي فيه تهيج للسامع بتحسينه وترقيقه، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقُولِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾" <sup>(٢٧)</sup>.

ويقول الشيخ محمد علي الانصاري: "صرح كثير من الفقهاء بحرمة ترقيق المرأة صوتها وتليينه بحيث يستلزم إثارة الشهوة في السامع، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَلَا

تَخْضُنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ<sup>٢٨</sup>) والخطاب وإن كان لنساء النبي ﷺ لكن الحكم عام<sup>٢٩</sup>.

وقال الشهيد الثاني: "ينبغي لها(المرأة) أن تجib المخاطب وقارع الباب بصوت خليظ ولا ترخم صوتها. وفي قوله تعالى خطاباً لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فَلَا تَخْضُنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)<sup>٣٠</sup>".

وقال صاحب الجواهر: "نعم ينبغي للمتدينة منهن اجتناب إسماع الصوت الذي فيه تهيج للسامع وتحسينه وترقيقه حسبما أوصى إليه الله تعالى شأنه بقوله: (فَلَا تَخْضُنَ بِالْقَوْلِ)<sup>٣١</sup> إلى آخره، كما أنه ينبغي للمتدينين ترك سماع صوت الشابة الذي هو مثار الفتنة".

## النظر

للنظر أحکام كثيرة في الفقه، وذلك لكون النظر مفتاحاً لكثير من المشاكل الأخلاقية، فعن رسول الله ﷺ: «يا علي لك أول نظرة، والثانية عليك ولا لك»، وعن الصادق ع: «النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة»، وعن ع: «النظرة سهم من سهام إبليس مسحوم، من تركها الله عزوجل لا لغيره أعقبه الله إيماناً يجد طعمه»<sup>٣٢</sup>.

وما ورد في الفقه من أحکام للنظر الحرم أو المكروه إنما جاء لعلاج هذه المسألة الابتلاوية، ولا يوجد قانون آخر من القوانين الأرضية قد تعرض لشيء من هذه المسألة، ونحن هنا لا نريد أن نذكر الأحكام المعروفة للنظر كحرمة النظر إلى جسد المرأة مثلاً، ولكن نذكر بعض المسائل التي تدل على مطلوبية إخفاء المرأة لفاتتها في الموارد التي تكون فيها في معرض النظر، ولا بد من التذكير بأن الأفضل للمرأة عدم مخالطة الرجال قدر الإمكان، ولكن إذا اختارت الخروج أو اضطرت لذلك، فإن لذلك أحکام ذكرها الفقهاء:

## ١- الحجاب الشرعي:

المقصود من الحجاب في الشرع هو ما يجب ستره، فيشمل كل البدن ما عدا الوجه والكفين على خلاف فيما سيأتي، بالإضافة إلى عدم كون اللباس مما يعد زينة، وأن لا يكون مفصلاً لجسد المرأة.

والتسلسل في الحجاب الشرعي عند كثير من النساء هو السبب في نشوء المشاكل الأخلاقية التي يضج بها المجتمع الإسلامي فضلاً عن المجتمعات الأخرى، فكل امرأة مؤمنة تتسلسل في ذلك فإنها تساهم في نشر الفساد، وتعرض المجتمع للانحطاط والدمار، وتعرض نفسها لمقت الله وغضبه، وتهين بذلك كرامتها التي أرادها الله لها.

## ٢- بعض أحكام الصلاة:

- من المسائل الفقهية المتسال عليها عدم جواز إمام المرأة للرجل في الصلاة، ولعل الحكمة من ذلك واضحة؛ إذ يلزم منه أن تكون المرأة أمّاً الرجل أو جنبه مع إتيانها بأفعال الصلاة التي منها الركوع والسجود، وذلك من أعظم موارد الفتنة والريبة، ولذلك يجوز لها الإمامة للنساء لعدم المذور.
- ويشترط في المأمور الرجل أن لا يكون بينه وبين الإمام حائل وساتر، بخلاف المرأة فيجوز لها ذلك، وهذا يشعر أيضاً بطلوبية إبعاد المرأة نفسها عن الرجال.
- وكذلك لا يجوز في الصلاة الفردية أن تتقدم المرأة على الرجل أو تتحاذيه، بل تتأخر عنه، إلا أن يكون هناك ساتر وفاصل بينهما.
- ويقول صاحب العروة: "ذكر بعض العلماء أنه يكفي في رکوع المرأة الانحناء بمقدار يمكن معه إيصال يديها إلى فخذيها فوق ركبتيها، بل قيل باستحباب ذلك والأحوط كونها كالرجل في المقدار الواجب من الانحناء، نعم الأولى لها عدم الزيادة

في الانحناء لثلا ترتفع عجيزتها<sup>(٣٢)</sup>.

وفي الرواية في بيان كيفية صلاة المرأة عن زراره قال: «إذا قامت المرأة في الصلاة جمعت بين قدميها، ولا تفرج بينهما، وتضم يديها إلى صدرها لمكان ثديها، فإذا ركعت وضع يديها فوق ركبتيها على فخذيها لثلا طاطاً كثيراً فترتفع عجيزتها، فإذا جلست فعلى أليتها ليس كما يقعد الرجل، وإذا سقطت للسجود بدأت بالقعود بالركبتين قبل اليدين، ثم تسجد لاطنة (أي لازقة) بالأرض، فإذا كانت في جلوسها ضمت فخذيها ورفعت ركبتيها من الأرض، وإذا نهضت انسلا لا ترفع عجيزتها أولاً»<sup>(٣٣)</sup>. ومضمون هذه الرواية موجودة في الكتب الفقهية القدية والحديثة.

فهذا الاهتمام الكبير من الشارع المقدس في تفصيل كيفية صلاة المرأة والحاولة الحثيثة لإيجاد الطرق التي تحافظ على عفافها وسترها يدل بشكل واضح على أهمية مسألة العفاف وخطورتها.

### ٣- في الحج:

في الحج أحكام كثيرة أيضاً تفرق فيها بين أعمال المرأة والرجل، وما يرتبط بكلامنا هنا عدة أحكام، منها ما في الحديث المتقدم عن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس على النساء جهر بالتلبية ولا استلام الحجر ولا دخول البيت ولا سعي بين الصفا والمروة -يعني المرولة-. فالمرولة مستحبة في الموضع المعروف في السعي للرجال فقط، وأما المرأة فلا يناسبها أن تهرب أمام أنظار الرجال كما هو واضح.

### ٤- وجه المرأة وكفيها:

المعروف بين الفقهاء وجوب سترا المرأة بدنها ما عدا الوجه والكفاف، والسيد الحوئي عليه السلام لديه احتياط وجوي بالستر للوجه والكفاف أيضاً، والشيخ زين الدين عليه السلام يحث على استحبابه<sup>(٣٤)</sup>.

ولا يجوز للرجل أن ينظر إلى بدن الأجنبية ولو لم يكن بريبة وشهوة، وأما الوجه والكفان فقد اختلفوا في جواز النظر إليها، فمنهم من حرم ذلك ومنهم من جوز ومنهم من فصل بين النظرة الأولى فيجوز والثانية فلا يجوز، وبعضهم احتاط استحباباً بعدم النظر، يقول في كلمة التقوى (الصلة) م:٩٣: "وقد استثنى من ذلك(حرمة النظر) جماعة وجه المرأة الأجنبية وكفيها، فجוזوا النظر إليها إذا كان بغير ريبة ولا تلذذ محروم، وهذا القول لا يخلو من قوة، وإن كان الأحوط الاجتناب".

وقال السيد الإمام عليه السلام: "لا إشكال في عدم جواز نظر الرجل إلى ما عدا الوجه والكفاف من المرأة الأجنبية من شعرها وسائر جسدها، سواء كان فيه تلذذ وريبة أم لا، وكذلك الوجه والكفاف إذا كان بتلذذ وريبة ، وأما بدونها ففيه قولان بل أقوال: الجواز مطلقاً ، وعدهم مطلقاً ، والتفصيل بين نظرة واحدة فالأول(إي الجواز)، وتكرار النظر فالثاني(الحرمة)، وأحوط الأقوال أوسطها(الحرمة مطلقاً)"<sup>(٣٥)</sup>.

وقال صاحب العروة: لا يجوز النظر إلى الأجنبية ولا للمرأة النظر إلى الأجنبية من غير ضرورة، واستثنى جماعة الوجه والكفاف فقالوا بالجواز فيهما مع عدم الريبة والتلذذ، وقيل بالجواز فيهما مرة ولا يجوز تكرار النظر. والأحوط المنع مطلقاً"<sup>(٣٦)</sup>.

#### ٥- المشي في الطريق:

قد تضطر المرأة للخروج من البيت، إما لحاجة ملحة، أو للدراسة، أو للعمل... الخ؛ فتكون في معرض نظر الأجنبي، فعليها بالإضافة إلى الستر الكامل، أن تراعي طريقة المشي، بل ومكان المشي، كما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ليس للنساء من سروات الطريق (أي ظهر الطريق ووسطه) شيءٌ، ولكنها تمشي في جانب الحائط والطريق»<sup>(٣٧)</sup>. ولا شك أن كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهدف إلى رعاية المرأة لغافتها وستر نفسها قدر الإمكان عن الرجال.

ومن واجب الرجل أن يغض النظر عن النساء، خصوصاً المحتشمات منهن،

وعدم إشباع النظر لأجسادهن، وقد جاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ حَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ قال: «قال لها شعيب: يا بنت هذا قوي برفع الصخرة، الأمين من أين عرفته؟ قالت: يا أبتي إني مشيت قدامه، فقال: امشي من خلفي فإن ضللت فأرشدبني إلى الطريق، فإنما قوم لا نظر إلى أدبار النساء»<sup>(٣٨)</sup>.

وهناك تحذير من بعض الروايات من أنَّ من ينظر للنساء فإنه لا يأمن من نظر الآخرين إلى أهله، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما يأمن الدينون في أدبار النساء أن ينظر بذلك في نسائهم». وعن أبي بصير، أنه قال للصادق عليه السلام: الرجل تر به المرأة فینظر إلى خلفها ، قال: «أيسر أحدكم أن ينظر إلى أهله وذات قرابته؟» قلت : لا ، قال : «فارض للناس ما ترضاه لنفسك»<sup>(٣٩)</sup>.

## دور الزوج والزوجة

لكل من الرجل والمرأة تأثير على عفة الآخر، -بالإضافة لما تقدم؛ حيث أن المرأة إذا تقيد بأحكام الشرع فإن ذلك سيحد من الفساد بين الرجال قبل النساء، فإن لعفة الرجل كزوج تأثير على عفة الزوجة، وللمرأة كزوجة تأثير على عفة الزوج، وقد يكون هذا هو أحد أهم أسباب تشريع الزواج واستحبابه.

أما الزوج فقد ذكرت روايات تشير لهذا المعنى، فعن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «تزوجوا إلى آل فلان فإنهم عفوا فعفتم نساؤهم، ولا تزوجوا إلى آل فلان فإنهم بغوا بفجوت نساؤهم»، وقال صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مكتوب في التوراة: أنا الله قاتل القاتلين، ومفتر الزانين، أيها الناس لا تزنوا فتنزي نساؤكم، كما تدين تدان»، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «برروا آبائكم يبركم أبناءكم، وغفروا عن نساء الناس تعف نساؤكم»<sup>(٤٠)</sup>، ولعل السبب واضح، وذلك لأن الزوج غير العفيف هو الذي يشبع رغباته الجنسية من غير الزوجة، وهذا يعني أنه ربما يستغنى عن زوجته، فلا يعطيها حقها، وهذا ما يؤدي

بالزوجة للاخراج. ولذلك ورد عن الأمير عثيمان في حق العفيف قوله: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجرا من قدر فعف، لكاد العفيف أن يكون ملكا من الملائكة»<sup>(٤١)</sup>.

وأما بالنسبة للمرأة فمن الأمور الواضحة فقهياً هو وجوب طاعة الزوج عند طلب العاشرة، وهذا ما يشكل مناعة للزوج من الوقع في الحرام، وعن النبي عليه السلام: «إن خير نسائكم اللولد الودود العفيفة ، العزيزة في أهلها ، الذليلة مع بعلها ، المتبرجة مع زوجها ، الحصان على غيره التي تسمع قوله وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلك له ما يريد منها». وعن أبي عبد الله الصادق ع: «خير نسائكم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياة وإذا لبست لبست معه درع الحياة»<sup>(٤٢)</sup>.

وأما إذا امتنعت أو لم تهسي نفسها بالشكل المناسب بحيث تشبع رغبة زوجها، فإنها ستكون مساعدة في اخراج الزوج، ولذلك ورد عن النبي الأعظم عليه السلام أنه قال: «إذا دعى الرجل امرأته إلى فراشه فأبانت عصيانا لعنتها الملائكة حتى تصبح»<sup>(٤٣)</sup>.

### الخاتمة

تبين مما تقدم من أحكام من مختلف الأبواب الفقهية، أن الإسلام يهتم اهتماماً شديداً بعفة المرأة، لما يسببه التبرج والابتذال والتحلل والاختلاط من فساد عظيم في المجتمع، والحل الشرعي هو سد الأبواب التي من خلالها ينشأ الفساد. ونحن هنا كما قلنا لم نذكر كل الموارد الفقهية، بل ركزنا على الموارد المغفلة عنها في المجتمع، وكثير من الموارد التي ذكرناها هي من الموارد المكرورة أو المستحبة، ليعلم خطر الموارد الحرجية والواجبة، وعلى المرأة المؤمنة أن تراجع بنفسها الأحكام الخاصة بها، لتكون على بصيرة من دينها، ولتعلم كم يهتم الشارع المقدس بها، و يوليه العناية الفائقة، بعد أن كانت الأمم السابقة، بل والأمم في هذا العصر يتعاملون معها على أنها سلعة رخيصة، يُباع عرضها بدرهم

معدودة.

ونختم المقال بهذا الحديث عن أبي عبد الله الصادق ع عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَيْرُهُ، يُحِبُّ كُلَّ غَيْرٍ، وَلِغَيْرِهِ حَرَمَ الْفَوَاحِشُ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا»<sup>(٤٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين.

### المواضيع:

- (١) التنقیح، کتاب الاجتہاد والتقلید، ج ١، ص ١٨٧-١٨٨.
- (٢) الكافی، ج ٥، ص ٥٣٦.
- (٣) العروة الوثقی (١٥ تعليقة)، ج ٥، ص ٤٩١.
- (٤) الكافی، ج ٣، ص ١٧٣.
- (٥) الفقيه، ج ١، ص ٢٣٨، والتهذیب، ج ٣، ص ٢٥٣.
- (٦) العروة الوثقی، ج ٢، فصل في بعض أحكام المسجد، م ٢.
- (٧) العروة الوثقی (١٥ تعليقة)، ج ٥، ص ٤٩٩.
- (٨) الكافی، ج ٥، ص ٤، وفي نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٧ باختلاف في بعض العبارات.
- (٩) الكافی، ج ٥، ص ٩.
- (١٠) روضة الوعظین، ص ٣٧٦.
- (١١) الوسائل، ج ٢١، ص ٤٥١.
- (١٢) الكافی، ج ٤، ص ٤٠٥.
- (١٣) الكافی، ج ٥، ص ٥٣٧.
- (١٤) الحدائق، ج ٧، ص ٣٣٥.
- (١٥) الحدائق، ج ٢٣، ص ٦٦.
- (١٦) الحدائق، ج ٧، ص ٣٣٥.
- (١٧) راجع العروة الوثقی (١٥ تعليقة)، ج ٢، فصل في الأذان والإقامة، م ٩.
- (١٨) مستند الشیعة، ج ٤، ص ٥٠٤.
- (١٩) الكافی، ج ٤، ص ٣٣٧.

- (٢٠) العروة الوثقى (١٥ تعليقة)، ج ٢، ص ٥١٠، م ٢٥.
- (٢١) شرائع الإسلام، ج ٢، ص ٤٩٦.
- (٢٢) تحرير الأحكام للعلامة، ج ٣، ص ٤٢٠.
- (٢٣) العروة الوثقى (١٥ تعليقة)، ج ٥، ص ٤٩٧.
- (٢٤) غنائم الأيام للميرزا القمي (١٢٣١م) ج ٣، ص ٢٣٧.
- (٢٥) الحدائق، ج ٢٣، ص ٦٧.
- (٢٦) الكافي، ج ٥، ص ٥٣٦.
- (٢٧) العروة الوثقى (١٥ تعليقة)، ج ٥، ص ٣٩م.
- (٢٨) الموسوعة الفقهية الميسرة، للشيخ محمد علي الأنصاري، ج ٣، ص ٧٤.
- (٢٩) مسالك الأفهام، ج ٧، ص ٥٦.
- (٣٠) الجواهر، ج ٢٩، ص ٩٨-٩٩.
- (٣١) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١٨-١٩.
- (٣٢) العروة (١٥ تعليقة) بحث الركوع، ج ٢، ص ١٠م.
- (٣٣) الكافي، ج ٣، ص ٣٣٦.
- (٣٤) منهاج الصالحين للسيد الخوئي، كتاب النكاح، م ١٢٣٣، وكتاب التقوى، كتاب الصلاة، م ٩٣.
- (٣٥) تحرير الوسيلة (النكاح)، م ١٨.
- (٣٦) العروة، ج ٥.
- (٣٧) الكافي، ج ٥، ص ٥١٩.
- (٣٨) الوسائل، ج ٢٠، ص ١٩٩.
- (٣٩) الوسائل، ج ٢٠، ص ١٩٩-٢٠٠.
- (٤٠) الكافي، ج ٥، ص ٥٥٤.
- (٤١) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٠٦.
- (٤٢) الكافيج، ج ٥، ص ٣٢٤.
- (٤٣) روضة الوعاظين، ص ٣٧٥.
- (٤٤) الكافي، ج ٥، ص ٥٣٦.



## الإنحراف الجنسي

خاني عبد الحسن الشماك

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيِعَ الْفَاحِشَةَ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا حُطُوطَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَبَعْ حُطُوطَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبْدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

الإنحراف الجنسي هو عبارة عن كل شذوذ فردي أو جماعي يؤدي إما لعدم إشباع أو كبت الغريزة الجنسية لدى البالغ، أو أية ممارسة غير شرعية أو غير

طبعية لإشباع هذه الغريزة.

وأهم مظاهر هذا الانحراف هو البغاء والدعارة، والزنف واللواط والسحاق، وقنوات الخلاعة المتلفزة، وموقع العربي على الإنترنيت، والعلاقات المحرمة بين الجنسين التي برزت وانتشرت في الآونة الأخيرة على شكل دردشات ساخنة - كتابية وصوتية ومرئية - على الشات والويب والمسنجر وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، مما جذر الانحراف العاطفي الجنسي في مجتمعنا بكل أشكاله، من هن الشباب والشابات وراء بعضهم البعض، والمتمثل في اعتياد نسبة كارثية من الشباب على العلاقات المحرمة، لعدم قدرتهم على الزواج أو لعدم رغبتهم فيه، وشره الشابات في البحث عن عواطف الحب والغرام، تحت مسميات وهمية من قبيل -الحب العذري، الحب النبيل، الحب البرئ- الذي هو في الواقع حب إلكتروني جاف من العواطف الصادقة والنبلة، وملتهب من حيث الشهوة الجنسية والبهيمية والريبة عن طريق أسلاك شبكة الإنترنيت.

وأمام ظاهرة العربي الجاهلي والتبرج الجنسي، رخصت النساء المبتذلات، ليجد كل من هب ودب ضالته في المقاهي والشوارع والمدارس الثانوية والجامعات والشركات والمؤسسات، قبل الملاهي والفنادق والحانات.

### **أسباب الانحراف الجنسي**

هناك العديد من الأسباب المساهمة في ترسیخ الانحراف الجنسي بكل مظاهره في واقعنا المعاش، أستعرض بعضا منها:

#### **الأول:- الإهمال التربوي:**

فقد انحرفت التربية عن مسارها الصحيح المنبثق من منهج القرآن الكريم وتعاليم النبي وأهل بيته الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وانحصر اهتمام

أولياء الأمور - وللأسف الشديد - على بعد المادي، فالاب المثالي في واقعنا المعاش هو من يوفر كافة المستلزمات المعيشية وكمالياتها، من مسكن ومائلاً وملبس، أما الأبعاد التربوية فهي ضائعة في زحمة الواقع المادي. علماً بأن الأب قد يشتبه على توفير المستلزمات المعيشية بالطرق المختلفة، ولكنه في الوقت نفسه قد يؤثر لتضييعه وتفریطه في ما هو أهتم، ألا وهو بعد التربوي المرتبط ببناء الروح، الذي يمثل حقيقة إنسانية الإنسان، فليس من الصحيح الاكتفاء ببناء الجسم مع هدم الروح.

ولمحاصرة الانحراف الجنسي من هذه الزاوية، لا بد من ثقافة تربوية إسلامية وتأهيل تربوي ممنهج لأولياء الأمور، من خلال الجهد الذاتي المتمثل في القراءة والمطالعة والمتابعة المستمرة للكتب التربوية الإسلامية، وأيضاً من خلال الدورات الثقافية والمحاضرات والندوات المتخصصة في هذا الجانب، حيث أن الممارسة التربوية والتوجيه التربوي تحتاج إلى معرفة، وفقد الشيء لا يعطيه.

فال التربية الإسلامية الإيمانية الشاملة والوعائية كفيلة بتغذية العقل والقلب، فينعكس كل ذلك على السلوك - في ظل تنامي وتكامل الوازع الديني - وهذا الدور يبدأ من الأسرة باعتبارها اللبننة الأولى في المجتمع، وتحديداً (الأب والأم)، وفي الواقع أن هذا الولد وهذه البنت يجسدان شخصية الأبوين - وبالأخص في مرحلة الصغر - فالآباء - عادة - يثلون المرأة التي تنطبع شخصية الأبوين عليها، فلا بد من وقفة تأمل لأولياء الأمور في المسألة التربوية.

### الثاني:- العامل الاقتصادي:

فالفقر عامل أساسي يدفع العديد من الشباب غير الناضجات نحو البغاء والعلاقات المحرمة، كما أن هناك عصابات منظمة تنظم حرف البغاء المتعددة في الحانات والملاهي والفنادق دور الرذيلة، لأغراض مادية وسياسية تنتهي

للمشروع الصهيوني الاستكباري، المتمثل في سرقة عقول الشباب والشابات واستعبادها وصرفها عن إجهاض المشاريع الاستكبارية.

وفي هذا السياق يأتي تعاطي بعض الدول والحكومات دور الرذيلة بالإعمار والاستثمار والترويج. وهذه مسؤولية كبرى تقع على عاتق تلك الدول والحكومات، فيتحتم عليها أن توفر الحد الأدنى للمعيشة المادية الكريمة، وتصحح الوضع الفاسد في دور الرذيلة من ملاهي وفنادق وحانات، وفرض الرقابة الدينية، ومعاقبة المخالفين معاقبة صارمة.

### الثالث:- التطور التكنولوجي ووسائل الاتصال الحديثة:

ففي زمن الغابة المعرفية، بات الكثيرون يغوصون في ذلك الامتداد الأخطبوطي عن طريق شبكة الإنترنيت، ليُنفتح على عالم آخر من دون حدود وضوابط، لتبدأ خطوات الانفلات والانحراف ترسخ أقدامها في نفوس الذين لا ينعمون برقابة ذاتية ولا عائلية أو بيئية. فالتكنولوجيا سلاح ذو حدين، إيجابي وسلبي، ولا نعيش العقدة مع بعده الإيجابي، بل ندعوا للاستفادة منه بقدر الإمكان، وفي الوقت ذاته نحذر من خطورة البعد السلبي الذي أفرزته هذه التكنولوجيا.

فلذا يجدر بكل فتى وفتاة حلقا خارج سرب الرائد الثقافي والمعرفي الإسلامي والحضارة القرآنية، أن يرجعا إلى الذات بإيجابية ووعي. وهنا أيضا يأتي دور أولياء الأمور في ممارسة الجانب التوجيهي والرقيبي على فلذات الأكباد، فليس من الصحيح أن نوفر جهاز كمبيوتر خاص لكل فتى وفتاة -يعيشان نشوة المراهقة ورغبة الانفلات- في غرف خاصة موصدة، فكم من فتى غرق في مستنقع الواقع الإباحية؟؟ وكم من فتاة تاهت في متاهات قصص الحب والغرام؟؟ فينبغي توفير كمبيوتر مشترك بحيث يستخدم في مكان عام، أو كمبيوتر

خاص مع تقنين وتنظيم أوقات الاستفادة منه، ليتسنى لأولياء الأمور ممارسة الجانب التوجيهي والتربوي والرقيبي، مع التأكيد على أسلوب إعطاء الثقة للأولاد والبنات، وأن المسألة ليست أحکام عرفية عسكرية، بقدر ما هي وظيفة إلهية منطلقها الحب واللودة.

#### الرابع:- المؤثرات الجنسية:

ولهذه المؤثرات والمغريات والمنبهات الجنسية ملامح متعددة:

أ- مظاهر التبرج والسفور وإيراز المفاتن.

ب- مظاهر الحجاب على النمط الغربي الخاضع لبهرجة الأزياء وصخب الموضة المجنونة، فالغرب المعادي للإسلام بعد أن عجز عن مواجهة الحجاب الإسلامي مباشرة، مارس حالة تقييع الحجاب الإسلامي وتفریغه عن محتواه المقدس، فهذا النمط من الحجاب في الواقع هو مجرد قطعة قماش توضع على رأس الفتاة، بعيدة كل البعد عن الحجاب الإسلامي ومحتواه المقدس، وربما يعتبر الحجاب على النمط الغربي أشد إغراء وإثارة من التبرج والسفور في بعض الأحيان.

ج- الاختلاط الماجن في العمل والجامعات والمدارس الخاصة، والذي أصبح مألفا وغير مستهجن في الواقع المعاش.

د- قصص وروایات الحب والغرام.

هـ- المسلسلات المدبجة والأفلام الخليعة والواقع الإباحية.

كل هذه الأمور تعتبر منبهات جنسية تدفع الإنسان نحو العلاقات المحرمة والانحراف، فلا بد من عودة واعية لقيم الإسلام والحياء والعفاف والطهر، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «الدنيا دار مر إلى دار مقر. والناس فيها رجال: رجل باع فيها نفسه فأويقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها»<sup>(٢)</sup>.

## الخامس: - العنوسه والعزوبه وكثرة الطلاق:

هناك إحصائيات خيالية للعنوسه في مجتمعاتنا، هناك عزوف عن الزواج من جهة الشباب تحت ذريعة الضائقه المادية، هناك مشاكل كثيرة في الحياة الزوجية تنتهي بالطلاق والانفصال، هذه القضايا قتل البيئة الخصبة لنمو شجرة الانحراف وتجذر العلاقات الحرمة، فلا بد من وضع الحلول المناسبة لها من قبيل:

- ١- تخفيف المهر.
- ٢- الابتعاد عن الإسراف والتبذير في الحفلات.
- ٣- الإعداد لبرامج دورات توعوية جادة ومنظمة للحياة الزوجية وفلسفتها، وكيفية التعاطي معها.
- ٤- الحث على الزواج المبكر، والمساهمة في تحقيقه مادياً ومعنوياً. ومشروع الزواج الجماعي يعد خطوة في الاتجاه الصحيح.

## السادس: - الفراغ العاطفي:

هذا الفراغ الذي أفرزه التصدع والتشتت في العلاقات الأسرية، والخسار مفهوم الصداقه الإيمانية المادفة في مجتمعاتها، فالآلم بعيدة كل البعد عن مشاكل ابنتهما، والأب بعيد كل البعد عن مشاكل ابنه، فكل فرد في الأسرة له عالمه الخاص، وبسبب الفراغ العاطفي، نتج مرض اجتماعي خطير ومنتشر في واقعنا المعاش، وهو ما يعرف بالحب العذري والنبييل والبرئ والصداقه بين الجنسين.

نحن لا نعتقد بوجود حب عذري ناشئ من الصداقه بين الجنسين، كما لا نعتقد بإمكانية وجود صداقه بين الجنسين بريئه لا يشوبها شيء، فإذا وجدت هذه الصداقه بين الفق والفتاة، فهذا يستدعي وجود كلام بينهما، ولقاء مستمر وتواصل، حيث إن طبيعة العلاقة بين الجنسين تفرض ذلك، والإحصائيات كثيرة في هذا الجانب. وبحكم الاختلاف الطبيعي بين الرجل والمرأة، وحالة الانجذاب

الشعوري واللاشعوري بينهما، فإن الصداقة بين الجنسين لا تنفك عن النظرة المحرمة أو الكلمة المحرمة أو الشهوة والريبة المحرمة.

فلنتقي الله عزوجل في أعراضنا، وفي أهلنا، وفي أولادنا وبناتنا، فالحساب عسير، والموقف صعب بين يدي الله عزوجل، حيث قال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَاراً وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُمُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقْعُلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وما يهون الخطب للعبد العاصي والمذنب هو الرحمة الإلهية وباب التوبة المفتوح، حيث قال الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَدْخُلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَثْمَمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومسك الختام أنقل فيه قصة الشاب العاصي الذي أبكى بتوبته السبع والوحوش والطير، وقد أوردها العلامة الجلسي في بحاره<sup>(٥)</sup>:

"دخل معاذ بن جبل على رسول الله عزوجل باكيًا فسلم فرد عليه ثم قال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال: يا رسول الله إن بالباب شابا طري الجسد، نقى اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثلث على ولدها، يريد الدخول عليك، فقال النبي عزوجل: أدخل على الشاب يا معاذ، فأدخله عليه، فسلم فرد عليه، ثم قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوبي إن أخذني الله عزوجل ببعضها أدخلني نار جهنم؟ ولا أراني إلا ستأخذني بها ولا يغفر لي أبداً، فقال رسول عزوجل: هل أشركت بالله شيئاً: قال: أعود بالله أن أشرك بربى شيئاً، قال: أقتلت النفس التي حرم الله؟ قال: لا، فقال النبي عزوجل: يغفر الله لك ذنوبي وإن كانت مثل الجبال الرواسي، فقال الشاب: فإنها أعظم من الجبال الرواسي، فقال النبي عزوجل: يغفر الله لك ذنوبي وإن كانت

مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال: فإنها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق! فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي، قال: فإنها أعظم من ذلك، قال: فنظر النبي ﷺ إليه كهيئة الغضبان ثم قال: ويحك يا شاب ذنبك أعظم أم ربك؟ فخر الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان ربي ما شيء أعظم من ربى، ربى أعظم يا نبى الله من كل عظيم، فقال النبي ﷺ: هل يغفر الذنب العظيم إلا رب العظيم؟ قال الشاب: لا والله يا رسول الله، ثم سكت الشاب، فقال له النبي ﷺ: ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنبك؟ قال: بل أخبرك: إني كنت أنبش القبور سبع سنين، أخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار فلما حملت إلى قبرها ودفعت وانصرف عنها أهلها وجن عليهم الليل أتيت قبرها فقبشتها ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها وتركتها متجردة على شفير قبرها، ومضيت منصراً فأتاني الشيطان فأقبل يزينها لي، ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجمت إليها، ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شاب ويل لك من ديان يوم الدين، يوم يقفي وإياك كما تركتني عرياناً في عساكر الموتى، ونزعتني من حضرتي وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جنباً إلى حسابي، فويل لشبابك من النار! فما أظن أني أشم ريح الجنة أبداً فما ترى لي يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: تح عنى يا فاسق، إني أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار! ثم لم يزل ﷺ يقول ويشير إليه حتى أمعن من بين يديه، فذهب فأتأى المدينة فتزود منها ثم أتى بعض جبالها فتعبد فيها، ولبس مسحاً وغل يديه جميراً إلى عنقه، ونادى: يا رب هذا عبدك بهلوان، بين يديك مغلول، يا رب أنت الذي تعرفني، وزل مني ما تعلم سيداً! يا رب أصبحت من النادمين، وأتيت نبيك تائباً فطردني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظامك سلطانك أن لا تخيب رجائي،

سيدي! ولا تبطل دعائي ولا تقتضي من رحمتك. فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلما تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم ما فعلت في حاجتي؟ إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطئتي فأوح إلى نبيك، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطئتي وأردت عقوبتي فجعل بنار تحرقني، أو عقوبة في الدنيا تهلكني، وخلصني من فضيحة يوم القيمة. فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ: «والذين إذا فعلوا فاحشة» يعني الزنا «أو ظلموا أنفسهم» يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا، ونبش القبور، وأخذ الأكفان «ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم» يقول: خافوا الله فجعلوا التوبة «ومن يغفر الذنب إلا الله» يقول ﷺ: أتاك عبدي يا محمد تائباً فطردته، فأين يذهب؟ وإلى من يقصد؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري؟ ثم قال ﷺ: «ولم يصرعوا على ما فعلوا وهم يعلمون» يقول: لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان «أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ونعم أجر العاملين» فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسم، فقال لأصحابه: من يدلني على ذلك الشاب التائب؟ فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى عنقه، قد اسود وجهه، وتساقطت أشفار عينيه من البكاء، وهو يقول: سيدي: قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي، فليت شعرى ماذا تريد بي؟ أفي النار تحرقني؟ أو في جوارك تسكنني؟ اللهم إنك قد أكثرت الإحسان إلي وأنعمت علي، فليت شعرى ماذا يكون آخر أمري؟ إلى الجنة تزفني؟ أم إلى النار تسوقني؟ اللهم إن خطئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعرى تغفر خطئتي أم تقضي بيها يوم القيمة؟ فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثو التراب على رأسه وقد أحاطت به السباع! وصفت فوقه الطير! وهم يبكون لبكائه! فدنا رسول

الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه، ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول! أبشر فإنك عتيق الله من النار. ثم قال عليه لاصحابه: هكذا تداركوا الذنب كما تداركها بهلول. ثم تلا عليه ما أنزل الله بهلول فيه وبشره بالجنة". والحمد لله رب العالمين.

### المواضيع:

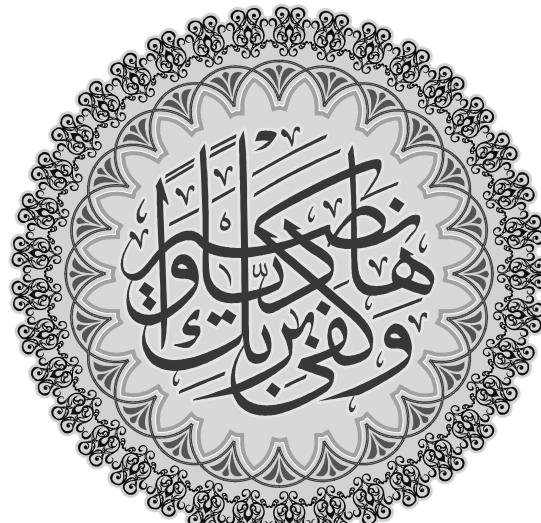
(١) سورة النور، الآية ١٩ - ٢٠ - ٢١.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٤، ص ٣٣.

(٣) التحرير، الآية ٦.

(٤) التحرير، الآية ٨.

(٥) بحار الأنوار، العلامة الجلسي، ج ٦، ص ٢٣.





## العاطفة بين الأصدقاء

### عبد الرؤوف حسن الربيع

الحديث حول العاطفة حديث ممتع وجذّاب؛ ويمتاز بالحيوية والطراوة؛ حيث يتناول واحدة من مفردات الفطرة الإنسانية التي لها الأثر العظيم في السلوك والتربية، ولها الدور الفاعل في تقويم العلاقات المتنوعة في المجتمع وإرساء قواعدها، وفي هذه المحاولة – إن شاء الله – س يتم التطرق إلى أثر وبعد العاطفة في علاقة واحدة فقط من هذه العلاقات والوشائج، وهي علقة الصدقة، بغية التوصل إلى المعيار الصحيح والأمثل لاستعمال العاطفة بين الأصدقاء، والتعرّف على أهم العواقب والنتائج التي تفرز من الإفراط والتغريّب فيها، وقبل التفاصيل يحسن البدء بفهم العاطفة وبعض النقاط الدائرة حوله من باب التمهيد والتوطئة.

## مفهوم العاطفة

العاطفة كلمة مشتقة من (عطف) ومحصل معناها لغوياً: الإنصراف أو الإنحناء أو الميل بشكل مطلق ولو لغير العاقل كميل الإنسان إلى الطبيعة<sup>(١)</sup>.

أما من حيث الإصطلاح: فهو ميل أيضاً، ولكن لا على نحو الإطلاق، بل بين الإنسان وخصوص نوعه، أي ميل بين إنسان وإنسان آخر، وبتعبير أ洁ى: انجذاب شعوري من إنسان اتجاه إنسان آخر، أشبه ما يكون بالعلاقة التجاذبية بين المغناطيس والحديد، غاية الأمر أنه انجذاب أرقى وقابل للتوجيه، بخلاف المغناطيس والحديد كما هو واضح.

وترتبط العاطفة بشكل وثيق جداً بأصل وجود الإنسان ونشوء خلقته، إذ تعد إحدى الروافد التي تنبع من الفطرة وتؤول إليها، وقد اعتبرها بعضهم<sup>(٢)</sup> أنها قناة من قنوات اللذة الإنسانية -التي هي إحدى الأبعاد الفطرية في وجود الإنسان- بمعنى أن درجة تدفق المشاعر والأحساس العاطفية من الإنسان اتجاه الآخرين تناسب مع درجة إدراكه ومعرفته باللذائذ الموصولة له للسعادة والكمال، فكلما أدرك أن زيداً مثلاً يكسبه لذة سعادة -بحسب المعنى الذي يراه<sup>(٣)</sup>- أكثر من أقرانه كان هذا مولداً لعاطفة اتجاهه أشدّ منهم، وهكذا.

## أنواع العاطفة

ليست العاطفة على نسق واحد، فلها عدة صور وأنواع، يمكن تقسيمها إلى ثلات<sup>(٤)</sup>:

### أ- العاطفة الطبيعية:

وهي ميل طبيعي و مباشر من إنسان نحو ذات إنسان آخر من دون ترقب مصلحة ومنفعة يجنيها من انجذابه إليه، بل قد يعود عليه بالضرر والألم، كعلاقة

الأم بأبنائها، فهي تعطف عليهم لا من أجل منفعة تروّمها وراء ذلك، حتى الفاسد منهم، وتسمى عاطفةً أوليةً أيضاً.

#### بــ العاطفة الثانوية:

وهي ميلٌ نحو إنسان آخر بشكلٍ ثانوي غير مباشر، أي أن الأساس هو ميل الإنسان لنفسه ومصلحته، وأمّا ميله للآخر فلكونه واسطةً وطريقاً لنيل هذه المصلحة، كأنجذاب الطالب نحو مدرسه لانتفاعه بعلمه، أو راحة أحدهم لجمال روح آخر أو جمال هيئته.

#### جــ العاطفة المزجية (التركيبيّة):

وهي اتحاد واجتماع العاطفتين الأولى والثانية اتجاه شخصٍ واحد، كما لو أحب الوالد ابنه البار الصالح لعاطفته الطبيعية له كأب، ولإحساسه بجمال روحه وطهارة قلبه، وهي عاطفة ثانوية.

### العاطفة بين الأصدقاء

بالاستعانة ممّا مضى وبالنظر الميداني الإجمالي نجد أن القسم الغالب من العواطف بين الأصدقاء هو من النوع الثاني، وتعضده الروايات أيضاً، وسنذكر بعضها -إن شاء الله- لاحقاً، وعليه يكن -ولو من باب التغليب- عد العاطفة بين الأصدقاء أنها ميلٌ غير مباشر يحمله الصديق لصديقه بوصفه واسطةً لنيل لذة وسعادة يؤمن بكمالها، ولها جذورها الضاربة في أصل الفطرة والوجود الإنساني. وهذا التعريف الموجز لما تقدّم يوحينا بطيّاته إلى مجموعة من النقاط المهمة، منها:

- 1ــ ليست العاطفة وإرسال المشاعر نحو الأصدقاء بل والصداقات بشكل عام هدف ومقصد يطلب لذاته، وإنما هي معبرٌ وقنطرةً بواسطتها يصل الفرد لمقصوده،

فإن كان هدفه ومقصد نبيلاً وعالياً اتسمت العاطفة بالمدح والإطراء، وإن كان قصده خسيساً وهابطاً خصّت بالذم والتعريض، وهذا نشاهد النصوص الإسلامية لم تكتف بالحث على الصدقة وتبادل العواطف وحسب، بل ركّزت بشكل واضح على نوع وطبيعة المقصود والمهدف من هذه العلاقة، مثلاً ما روي عن الرسول الأكرم عليه وآله: «قَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَىٰ يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ نُجَالِسُ قَالَ مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهُ رُؤْيَتُهُ وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْتَقِهُ وَيُغَبِّكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ»<sup>(٥)</sup>، ففيه دلالةً وافيةً لما أسلف.

-٢- إن هذه المقاصد والمصالح التي يستعين الفرد بعاطفته نحو الأصدقاء للوصول إليها كلّها نابعة من إحساسه بال الحاجة للذّة والسعادة، وهي حاجة ملحة وفطرية موجودة عند كافة الناس بدون استثناء، فالذي يلتذ برؤية إنسان جميل الوجه -مثلاً- ويرتاح لحياته لا شك أنه ينجذب إليه ويتمّنى قضاء أكثر الأوقات معه ليشعّ نعمه منه، وذلك الذي يلتذ بحب الله عزوجل وعبادته وكسب رضاه تفتّح أساريره وتطيب نفسه ب مجرد لقاءه بمؤمنٍ يذكره بربه، فيميل إليه بشوق، والذي يعيش ضيقاً وكآبةً ولا يجد من يفضي إليه همومه ينشد سريعاً لكلّ من يقترب منه ويحاول تلمس آهاته ويتحسّسها، لأنّه يشعر أن لذته وسعادته في التخلّص من واقعه المرير، وغيرها من الأمثلة التي تلمسها بالوجودان.

-٣- قد يلتذ الإنسان بشيء ويقنع أنه موصلٌ للسعادة، ويجعله محوراً لإنشاء صداقاته ولكن الحقيقة في الواقع خلاف ذلك، فتكون هذه اللذة الموهومة مصدرًا لنفعه وعناءه فلا تنفعه، أو يكون نفعها عارضاً سريعاً الزوال، فمقدار إدراك الإنسان لحقيقة اللذّة والسعادة يلعب دوراً مهمّاً في توجيهه عواطفه نحو الآخرين، ولو لاحظنا طبيعة الإنسان نجد أنه يسير ويتطلع للتكميل دائمًا، حتى ولو أخطأ الطريق، لأنّه في الأخير يكون بحسب تصوره أنه أصحابه، فيصبح تفسير الإنسان

وإدراكه للذّة والسعادة - وإن شئت عَبَرْت بالكمال بشكلٍ عام - هو العامل الأساس في اختلاف العواطف بين الأصدقاء.

يقول الإمام الراحل الخميني عليه السلام: "فَأَنْتَ إِنْ تَجُولُتِ فِي جَمِيعِ الْأَدْوَارِ الَّتِي مَرَّ بِهَا إِلَيْكَ إِنْسَانٌ، وَاسْتَطَعْتَ كُلَّ هَرَبٍ مِّنَ الْأَفْرَادِ..... فَتَجِدُ قَلْبَهُ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ الْكَمَالِ. بَلْ إِنْ مَا يَحْدُّدُ إِلَيْكَ إِنْسَانٌ وَيَدْفَعُهُ فِي سَكَنَاتِهِ وَتَحْرِكَاتِهِ، وَكُلُّ الْعَنَاءِ وَالْجَهُودِ الْمُضْنَيَّةِ الَّتِي يَبْذِلُهَا كُلُّ فَرَدٍ فِي مَجَالِ أَعْمَلِهِ وَتَخَصُّصِهِ، إِنَّمَا هُوَ نَابُعٌ مِّنْ حُبِّ الْكَمَالِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ مُنْتَهَى الْخَلَافِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا يَرَوْنَهُ مِنَ الْكَمَالِ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَتَعَقَّبُ الْكَمَالُ وَيُشَاهِدُ الْحَبِيبَ وَالْمَعْشُوقَ؟"<sup>(١)</sup>.

٤- إن الميل نحو إنشاء الصداقة ينحدر من أصل الفطرة، والأمور الفطرية لا غنى عنها ولا سبيل لبترها، فالشاعر العاطفي في الصداقات لا يمكن رفع اليد عنها، وهي ضرورية لاستقامة وصحة نفسية الإنسان، والقرآن وأحاديث العترة الطاهرة عليهم السلام تزخر بالإشارة إلى ذلك، فعن الأمير عليه السلام: «من لاصديق له لا ذخر له»<sup>(٢)</sup>، وعن الإمام الصادق عليه السلام لعمر بن يزيد: «لِكُلِّ شَيْءٍ شَيْءٌ يَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَرِيحُ إِلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَمَا يَسْتَرِيحُ الطَّائِرُ إِلَى شَكْلِهِ أَوْمَا رَأَيْتَ ذَلِكَ؟»<sup>(٣)</sup>.

### أسباب التخبط في إدراك الالتزام الحقيقي

اتضح مما تقدم أن العواطف تخضع في شدتها وضعفها لنوع المصلحة المكتسبة من الصداقة، وأن هذه المصلحة تحدّد على ضوء الشعور بالذّة سواءً كانت مادية أو معنوية، حقيقة أو وهمية، وأن هذا الشعور يتكيّف بحسب درجة المعرفة، إلا أن هذه المعرفة الإنسانية مهما بلغت لا ترقى للوصول إلى معاني الالتزام الحقيقي فيما لو عزلت عن هداية السماء والوحى، ولذا نجد أن الله عزوجل أرسل كتبه ورسله لإرشاد الناس إلى التعاليم العالية وبيان الكمال الحقيقي من الكمال الموهوم، وبالرغم من وجود هذه التعليمات والهدايات لا يزال الغالب من الناس يتخبّطون

في تقييز الطريق، وينساقون وراء اللذات العابرة والهابطة، ويبدرون عواظفهم بغير استحقاق، ويفرّغونها في غير موضعها المناسب، فما هي الأسباب وراء ذلك؟

**السبب الأول:** احتواء خلقة الإنسان على مجموعة من الغرائز الفطرية التي لها الدور الفعال في السلوك، وهذه الغرائز لها إلحاح شديد جداً، بحيث لو أطلق لها العنان تطغى على عقل الإنسان وتعطل بعض أدواره، وهي ممكن أن توجهه فيما لو أراد صاحبها ذلك، ولكن الغفلة والتساهل وتسوييف العلاج يؤدي إلى غلبة هذه الغرائز، وبالتالي يحرم الإنسان نفسه من نعمة الهدية الإلهية.

**السبب الثاني:** وجود الكم الهائل من الغرائز المحيطة به والتي لا يستطيع الجمع بينها، إما لكثرتها وإما لاستحالة الجمع بينها في بعض الأمثلة، كما لو دار الأمر بين لذتين متناقضتين أحدهما دنيوية مثلاً والثانية أخرىوية، فيختار الدنيوية العابرة لأنسه بها، ويترك الأخرىوية الدائمة، فهذا التعدد من اللذائذ إذا لم يعد له ضابطة في التعامل معه يؤدي به إلى سوء الاختيار.

**السبب الثالث:** ميل الإنسان إلى الاسترخاء والراحة، وتصوره أن معنى اللذة هو هذا، غافلاً عن أن طبيعة الوصول إلى السعادات واللذائذ مقرونة دائماً بال усили والجهد وبذل الطاقة، بل إن أعلى اللذات لا تزال إلا بأشق الآلام والمتابع، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

**السبب الرابع:** توقف بعض اللذات وخاصة العالية منها على سلسلة طويلة من المحايدة والعمل الدؤوب في السير والسلوك، وقبل ذلك لا يمكن إدراكها وتذوق حلوتها، فالذي يجهل هذا الأمر يلجأ إلى إنكارها من رأس، فيوصي الباب عليه للتعرف عليها.

هذه تقريباً أهم الأسباب، وربما يكن اختزالتها أكثر بإرجاع بعضها ضمن بعض.

## نظر الإسلام حول الالتذاذ

يظهر من بعض الآيات والروايات عدم الزجر والمنع عن التلذذ بالنعم الإلهية الدنيوية ومطلوبية ذلك وإن كان الترجيح للنعم الأخرى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ... لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>، ﴿زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ... حُسْنُ الْمَآبِ﴾<sup>(١١)</sup>.

نعم كل هذا في حال عدم تزاحم اللذات الدنيوية مع الأخرى، وإلا فالترجح للأخرى لكونها دائمة ولذتها أكبر، وبهذا الصدد أجاد الشيخ مصباح اليمidi حَفَظَهُ اللَّهُ بقوله: "... استناداً إلى الرؤية الإسلامية التي تعد الحياة الخالدة والأبدية هي الأصلية والحياة الدنيوية مقدمة لها فإن كل ما يمنع من اللذة ويستوجب العذاب الأخرى يكون ذا قيمة سلبية قطعاً، ولا يسمح به أبداً... إلا أنَّ بعضَ آخر من اللذات الدنيوية يقتصر تأثيرها على حرمان الإنسان من المزيد من اللذات الأخرى ولا يستوجب العذاب، فإن الإنسان رغم وجود هذه اللذات يدخل الجنة أيضاً ويصل إلى دار السعادة ولكن بسبب هذه اللذات الدنيئة يحرم من الدرجات العالية منها..."<sup>(١٢)</sup>.

## المعيار الصحيح لاستعمال العاطفة بين الأصدقاء

بالجمع بين النتائج السابقة، وبلحاظة نوع اللذة والسعادة المكتسبة وراء العلاقة العاطفية المنشودة نتوصل إلى الآتي:

إن كانت هذه اللذة مما تزيد في رصيد الإنسان أخرىاً وتورثه كمالاً لا شك ولا ريب في حسنها ورجحانها. وإن كانت مما تنقص من رصيده الأخرى ولكن لا تحرمه منه بالكامل بحيث لا تتصدّه عن أداء الواجبات والفرائض وتمنعه من استحقاق الثواب عليها والدخول إلى الجنة تكون جائزة ولكن تركها أفضل.

أَمّا لو كانت حائلًا عن النعيم الآخروي وسدًاً مانعاً من نيل الفضائل وأداء الواجبات فهي من الكبائر والموبقات المستوجبة للعقاب.

والخلاصة: أن النوع الأول هو الأمثل لبناء العلاقات والعواطف بين الأصدقاء، وهو الهدف الذي يجعل من شعلة العاطفة وقادة دائمًا وتزداد يوماً بعد يوم، من دون أية آثار سلبية، والنصوص الواردة حول المحبة والعاطفة بين الإخوان والأصدقاء تدعم هذا المعنى، نلاحظ من جملتها:

عن الأمير عَلَيْهِ الْكَفَافِ: «الإخوان في الله تعالى تدوم موئدهم؛ لدوام سببها»<sup>(١٣)</sup>، وعنده أيضًا عَلَيْهِ الْكَفَافِ: «وَدُّ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا يَنْقْطِعُ؛ لَنْقَطَاعُ أَسْبَابِهِ. وَدُّ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ يَدُومُ؛ لَدَوْمِ سببِهِ»<sup>(١٤)</sup>، وعنده عَلَيْهِ الْكَفَافِ: «الْمَوْدَةُ فِي الله أَكْثَرُ مِنْ وَشِيجِ الرَّحْمِ»<sup>(١٥)</sup>، عنه كذلك عَلَيْهِ الْكَفَافِ: «مِنْ دُعَاكَ إِلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ وَأَعْنَاكَ عَلَى الْعَمَلِ هَذِهِ فَهُوَ الصَّدِيقُ الشَّفِيقُ»<sup>(١٦)</sup>، وهذه الروايات وغيرها كثير تشير إلى نوع الغاية التي إذا رامها الفرد وجعلها عنوان سعادته ومال بسببها إلى صديقه حصد الخير والفلاح الدائم، وعاش الهناء والاطمئنان، وذلك لتوفرها على سر عظيم، وعظيم جداً، وهو أن الذي يتصل بالدائم يدوم بدوامه، والذي يتصل بالعرض الزائل ينتهي بانتهاءه، فمن أحب صديقاً لا للذاته ولكن لأجل الله، ومن أجل الزلفي منه والتودّد إليه سبحانه، فالطريق إليه لا ينتهي ولا يض محل ولا يعرض عليه الزوال، فكلّما استفاد من صديقه ليرقى نحو الله يُرِيكَ بقي السبيل أمامه مفتوحاً مطلقاً، فيكرر الاستفادة منه وهكذا، وبكل تكرار يحصل تتضاعف معه وسائل الميل والانجداب وتنأكّد العاطفة، وليس من الغريب قول الأمير عَلَيْهِ الْكَفَافِ في حق هذا الصنف من الأصدقاء: «خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا فَقَدَهُ لَمْ تَحْبَّ الْبَقَاءُ بَعْدَهُ»<sup>(١٧)</sup>.

يقول أحد الباحثين المعاصرین: "إن الشخصية الإسلامية بما أنها (تحب) الآخرين، فإنها تحس بالاغتراب حينما تقصد هم، لأن طاقة الحب الذي تحمله

الشخصية تظل خبيئة لا تجد من تجسدها في التعامل معها. نعم تتحسس الشخصية بالاغتراب الحقيقي عندما يكون الفقيد منتبأ بدوره إلى السماء. وعندما يكون الاغتراب مرتبطاً بالسماء وليس بالفقيد: بصفة أن الفقيد يجسد الصلة بالسماء التي تتحسس الحاجة إليها فحسب. من هنا، فإن الأب (نوح عليه السلام) لم يتحسس بالاغتراب عن ابنه عندما جرفة الطوفان بعد أن نبهته السماء إلى أنه ليس من أهله... وتبعاً لذلك نجد أن المؤمنين بحق، يتذارون: يحن بعضهم إلى الآخر، يتحسس بالوحشة والاغتراب من فقدانهم. وهذا التبادل القائم بين طرفي التعامل، ناجم -في ضوء ما تقدم- من الحب لله، وليس من الحاجة إلى آخرين) يخلعون الحب عليهم، إلا إذا كان الآخرون مرتبطين (بالله) أيضاً. وحينئذ يتم التبادل بين الأطراف، أحدهما يحب الآخر، وكلهما يحس بالحاجة إلى أن (يحبه) الآخر أيضاً، لأن الحاجة إلى (الآخر) في مثل هذه الحالة - حاجة إلى (السماء) ما دام الآخر منتبأ إليها، وعندما تظل الأطراف ينتظمهما حب واحد هو (الله)<sup>(١٨)</sup>.

### **التفضيل والإفراط في العاطفة**

الالتزام بالنصاب والحد المقرر المناسب لشيء ما هو أكبر ضامن لتحقيق أعلى النتائج المرجوة منه، والابتعاد عن هذا الحد يؤدي إلى مردودات ومضاعفات معاكسة، بحيث كلما كان الانحراف فاحشاً كانت العاقبة أشد فداحةً، كوصفة الدواء المقيدة بكمية وكيفية معينة للوصول إلى العلاج ومقدار التزام المريض بهذه القيود في تسريع وإنجاز مطلوبه، ويسمى التقصير في القيام بالنصاب المعين (تفريط)، والزيادة المخلة الخارجة عن المقرر (إفراطاً).

وفي الفقرة المتقدمة تعرّفنا على المعيار الصحيح والنصاب الأمثل في استخدام العاطفة في الصداقة، وظفرنا ببعض الشمار والفوائد العظيمة المقتطفة من بركة الالتزام به، وبقى علينا استعراض بعض نتائج التفضيل والإفراط في هذا المعيار.

## أولاً: الآثار الناجمة من التفريط:

إن أجمل ما يمكن ذكره هنا أن العاطفة أشبه بالمحرك والوقود الفعال الذي يبعث الحيوية والحركة في الحياة، وهي الوتر الحساس الذي مقى ما ضرب اندفعت الروح انطلاقاً نحو العلة التي أولدت فيها الاتقاد وأضرمت نار الشوق في أعماقها، فالمؤمن العاشق لله سبحانه لولا عاطفته الكبيرة التي تخلق الحنين والتلوك له في قلبه للانشداد إلى الله تبارك وتعالى لما استطاع الهيام في محنته، والعقل لوحده جاف لا يصل بدون اتحاده بالعاطفة، وما اقتضاء خلقة الإنسان للعاطفة إلا لدورها العميق في هذه المسائل الضرورية، ونفس الكلام يجري في المقام، فحين يقصر الصديق في استخدام العاطفة اتجاه صديقه سيؤول الأمر به إلى الجفاء، وشح العلاقة والميل، وقد يصل الأمر إلى القطيعة وبالتالي نقض الغرض الذي نشأت الصداقة من أجله، وهذا يعني أن الفوائد الجمة والكبيرة المحصلة من الصداقة لا يمكن حصدتها، وتصبح العلاقة الحميمية للصداقة مجرد اسم فارغ عن المحتوى.

وجاء عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «ما التقى مؤمنان قط إلا كان أفضلاهما أشدهما حباً لأخيه»<sup>(١٩)</sup>. ولا حب بلا عاطفة.

وكم يساهم في الخروج من التفريط ينبغي التركيز على الأخلاق والسلوكيات المورثة للمحبة والعاطفة التي وضعتها أحاديث العصمة والطهارة، والتي فيها حسن الخلق والعشرة، وحسن الظن، والبشاشة والتودّد، والتواضع والوفاء والصدق، و... الخ<sup>(٢٠)</sup>.

وللتبرك نذكر رواية واحدة بهذا الصدد: عن رسول الإنسانية الأعظم عليه السلام: «الهدية تورث المودة، وتجدد الأخوة، وتذهب الضغينة»<sup>(٢١)</sup>.

## ثانياً: الآثار الناجمة عن الإفراط:

توجد بعض المقدّمات الضرورية في مسألة العاطفة يجب مراعاتها وإلا

فالتلخّف عنها إلقاء بالنفس لوازد سحيق ومظلم يصعب الخروج منه. ويمكن إيجازها بـمقدّمتين:

الأولى - وهي الأساس - أن المحبوب والمعشوق بالذات هو الله تعالى فقط وفقط وكل ما عداه بالعرض، فهو القبلة التي يتوجه إليها في كل حب وعاطفة، والانعطاف عن هذه القبلة ينْهَا أو شمَالاً أو استدياراً مبطل لهذه المقدمة كما تبطل الصلاة بالاستديار عن القبلة مثلاً، وبالتالي لا بد من وضوح أننا نحب الآخرين من أجل حب الله، حتى حبنا للرسول عليه السلام وأهل بيته عليهما السلام، فهو من أجل حب الله عز وجل، وفي الوقت الذي يكون حبنا للصديق فرضاً مغايراً لحب المولى عز وجل ولا يصب في جدوله، حينئذ يكون حبنا هذا وعاطفتنا هذه هي من النوع الثالث حسب الترتيب السابق، وتكون غير مستحقة، وهذا هو معنى الإفراط في العاطفة.

المقدمة الثانية هي أن العاطفة قناعة من قنوات اللذة الفطرية كما تقدم، إلا أن بإيزانها تكمن الغريزة، وعلى المخصوص غريزة الفرج (الجنس)، حيث تُعد من أقوى الغرائز، وهذه الغرائز بشكل عام يمكن توجيهها بالعقل، ولكن كثيراً من الأحيان يصعب الحال فتكون النتائج عكسية، لا أقلّ عند غير المؤمنين بحق، وحينئذ يصبح المتعطش لإرواء غريزته المضرمة بحاجة ماسة لما يسكن ضماده، فيستخدم العاطفة وسيلة لنيل غاياته، فيصادق من أجل التلذذ الغريزي كالتلذذ بجمال هيئة الصديق، أو تقبيله أو الاحتكاك بجسده وما شاكل ذلك، وفي هذه الحالة تتحول العاطفة عن مضمونها الحقيقي وتتجه نحو الغريزة، وتكون التسمية بالحب والعاطفة من باب المساحة.

الخلاصة: أن تصوّر الإفراط في العاطفة يمر عبر هتين المقدّمتين، ويترسّح منه العديد من الآثار السيئة:

١- عدم رضا الله تعالى، والابتعاد التدريجي عن قبلة حبه عز وجل بإشراك الآخرين

معه، وربما تقديم الآخرين عليه سبحانه.

٢- عدم التقدّم والتكمال في الحياة وقتل الموهب الاستعداديّة في النفس، ولربّما نلمح ذلك بوضوح للمبتلى بالعشق المجازي، أو الذي يصادق لأجل إرواء نزواته الجنسيّة، حيث تظهر عليه عدّة سلوكيّات تصرّفه عن الالتفات لسلّم تكامله، وترضخه لأغلال الشهوة وسقطاتها، من بينها:

أ- انشغال قلبه وفكرة وكيانه بالولع بصديقه وتخيل صورته، بحيث لا يستطيع التفكير بغيرها، فيتخيلها عند النوم وعند الاستيقاظ، وهو يسير، وهو يأكل، وهو يدرس، حتى في العبادة، فينصرف عن التوجّه الصحيح.

ب- الغيرة المفرطة على صديقة، وكأنه ملك لها وحده، فلا يتحمل أن يراه مع أحد سواه، ولو صادف ذلك تبدأ الظنون والشكوك والمشاكل بالانطلاق بدون حدّ، ويصاحبها حدة في المزاج والحساسية الشديدة للأمور.

ج- التكّلف في التعامل معه، ومحاولة ارضائه بشقى السبل ولو على حساب إخفاء النصّح إليه وتغييب الحقيقة عنه.

د- الرغبة الدائمة في الجلوس معه صباحاً ومساءً، فتضيع ساعاتهما اليوميّة في قضاء فارغ بلا تحصيل، وقد يستاء الأمر إلى الوصول إلى العاشرة الجسدية المحرّمة والانغماس بالفالحشة.

٣- السقوط الاجتماعي بالتدريج، وتغيير نظرة الآخرين إليه لما يشهده من تغيير في سلوكه، سواء شعر بهذا التغيير في نفسه أو لا، ولربما تنشأ لديه حالات نفسية مرضية بسبب ذلك.

هذه الآثار تصلح كمنبهات لنا على طول الطريق ألا نلجأ إلى أسبابها فنفع في منزلاقاتها، وإن شاء الله تكون لنا واعظاً وزاجراً يجنّبنا التورّط في شرّها وشراكها، وتأخذ بأيدينا إلى مدارج الهدى ودرب الفلاح.

ونجد في أحاديث أهل البيت عليهما السلام التركيز الكبير على هذه المواقف، فعن الإمام علي عليهما السلام: «من لم تكن مودته في الله فاحذرها؛ فإن مودته لثيمة، وصحبته مشومة»<sup>(٢٢)</sup>، وعن عائشة: «شر إخوانك من أرضاك بالباطل»<sup>(٢٣)</sup>، وعن عائشة: «إياكم وغبة الشهوات على قلوبكم؛ فإن بدايتها ملكة ونهايتها هلكة»<sup>(٢٤)</sup>، وأيضاً: «أول الشهوة طرب، وآخرها عطب»<sup>(٢٥)</sup>. وبالنسبة عن النظر ورد عن النبي عليهما السلام: «إياكم وفضول النظر؛ فإنه يثير الهوى، ويولد الغفلة»<sup>(٢٦)</sup>، وعن الإمام علي عليهما السلام: «العيون مصائد الشيطان»<sup>(٢٧)</sup>، وعن عائشة: «إذا أبصرت العين الشهوة عمى القلب عن العاقبة»<sup>(٢٨)</sup>.

### الخاتمة

إن العاطفة بين الأصدقاء أمر نابع من أعماق الفطرة الإنسانية، ولا يمكن إغفاله بحال، وأنها لها الدور الفاعل والمفيد في التكامل في الحياة شريطة اتباع المعيار الصحيح في استخدامها بدون تفريط وإفراط، ونوعها يتحدد وفق الغاية من إنشائها، وهذه الغاية تفسّر وتؤول إلى بعد اللذة والسعادة الفطرية في الإنسان، وعليه فالتفسir الحقيقى لمفهوم اللذة له الدور الأساس في توجيه العاطفة، وأن اللذائذ الأخروية مقدمة على الدنيوية، وأعظمها لذة هي التي تصب في حب الله تعالى، جعلنا الله من الذين يهتدون لحبه فيحبونه ويحبون كل من يحبه، ويحبون كل عمل يوصل إلى قربه. والحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٢٤٩ .

(٢) اليزدي، الأخلاق في القرآن الكريم، ج ٢، ص ٣٠٣ .

(٣) يتباين الناس في تفسير اللذة والسعادة بحسب إدراكيهم، وأحياناً يصل التباعد بينهم إلى ما بين المشرقين، كما لو فسر أحدهم اللذة بمعنى المادي الأرضي والشهواني، وفسرها آخر

بالمعنى الآخروي.

- (٤) اليزدي، الأخلاق في القرآن الكريم، ج ٢، ص ٣٠٤ - ٣٠٩ .
- (٥) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٩ .
- (٦) الخميني، الأربعون حديثاً، ح ١١، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- (٧) غرر الحكم (٩٤٦٠) ص ٤١٤ .
- (٨) المفید، الإختصاص، ص ٣٠ .
- (٩) سورة البلد المباركة: ٤ .
- (١٠) سورة الأعراف المباركة: ٣٢ .
- (١١) سورة آل عمران المباركة: ١٤ .
- (١٢) اليزدي، الأخلاق في القرآن الكريم، ج ٢، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .
- (١٣) غرر الحكم: (٩٦٩٥) ص ٤٢٢ .
- (١٤) غرر الحكم: (٢٤٠٥) ص ١٣٧، و (٩٥٤٣) ص ٤١٧ .
- (١٥) غرر الحكم: (٩٦٩٣) ص ٤٢٢ .
- (١٦) غرر الحكم: (٩٧٣٧) ص ٤٢٤ .
- (١٧) غرر الحكم: (٩٥٣٣) ص ٤١٧ .
- (١٨) البستاني، الإسلام وعلم النفس، ص ١٨٦ .
- (١٩) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٢٧ .
- (٢٠) انظر دليل الحبة للريشهري: ص ٣٩ - ٤٩ .
- (٢١) ابن أبي جمهور، عوالي اللآلية، ج ١، ص ٢٩٤ .
- (٢٢) غرر الحكم: (٩٧٠٥) ص ٤٢٣ .
- (٢٣) غرر الحكم: (٩٥٧٧) ص ٤١٨ .
- (٢٤) غرر الحكم: (٦٩٧٤) ص ٣٠٥ .
- (٢٥) غرر الحكم: (٦٩٤٦) ص ٣٠٤ .
- (٢٦) ابن فهد الحلبي، عدة الداعي، ص ٣١٣ .
- (٢٧) غرر الحكم: (٥٥٦٠) ص ٢٦٠ .
- (٢٨) غرر الحكم: (٦٩٧٨) ص ٣٠٥ .



## الْتَوْبَة

قاسم عبد الکریم المزعل

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ الطيّبين الطاهرين.

### تمهید

إِنَّ النَّفْسَ فِي بَدْءِ فَطْرَتِهَا خَالِيَّةٌ مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَكَانَ النَّفْسُ صَفْحَةٌ نَّقِيَّةٌ مِّنْ كُلِّ رَسْمٍ وَنَقْشٍ، وَعِنْدَمَا تَجْتَرُحُ سَيِّئَةٌ، تَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ ظُلْمَةٌ سُودَاءً. وَكُلَّمَا ازْدَادَتِ الْمُعَاصِي وَالذُّنُوبُ تَضَاعَفَتِ الظُّلْمَةُ وَالسُّوَادُ، إِلَى أَنْ يَغْشِيَ الظُّلَامُ وَالسُّوَادُ الْقَلْبَ كُلَّهُ وَيَنْطُفِعُ نُورُ الْفَطْرَةِ، فَإِذَا انتَهَى إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ لِذَلِكَ احْتَاجَ إِلَى التَّوْبَةِ وَأَكْتَسَابِهَا حَسْبَ الشَّرَائِطِ الَّتِي سِنْدَرَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

## التوبة

يقول كثير من علماء الأخلاق، إن الخطوة الأولى لتهذيب الأخلاق والسير إلى الله، هي "التوبة"، التوبة التي تمحو الذنوب من القلب وتبليّض صفحاته، وتنقله من دائرة الظلمة ليتحرك في دائرة النور، وتحفّظ تقل الذنوب من خزينه النفسي، ورصيده الباطني، وتهذب الطريق للسير والسلوك إلى الله ﷺ، في خط الإيمان وتهذيب النفس. يقول المرحوم الفيصل الكاشاني من كتابه المحجة البيضاء: "إِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالرَّجُوعُ إِلَى سَارِ الْعَيُوبِ وَعَلَامُ الْغَيُوبِ، مِبْدَأُ طَرِيقِ السَّالِكِينَ، وَرَأْسُ مَالِ الْفَائِزِينَ، وَأَوْلَى إِقْدَامِ الْمَرِيدِينَ، وَمَفْتَاحُ اسْتِقْدَامِ الْمَاثِلِينَ وَمَطْلَعُ الْاَصْطِفَاءِ وَالْاجْتِبَاءِ لِلْمَقْرَبِينَ!".

وبعدها يشير ﷺ إلى أمرٍ مهمٍ، وهو أنَّ أغلب بني آدم يتورطون غالباً بالمعاصي، ويشير إلى ما صدر من آدم عليه السلام والتي هو من ترك الأولى، ويقول: "لَقَدْ قَلَعَ آدُمُ مِنْ قَبْلِ سَنَّ النَّدَمِ، وَتَنَدَّمُ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْهُ وَتَقَدَّمُ، فَمَنْ اتَّخَذَهُ قَدْوَةً فِي الذَّنْبِ دُونَ التَّوْبَةِ فَقَدْ زَلَّ بِهِ الْقَدْمُ. فَالْتَّجَرْدُ لِمَحْضِ الْخَيْرِ دَأْبُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرَبِينَ، وَالْتَّجَرْدُ لِلشَّرِّ سَجِيَّةُ الشَّيَاطِينِ، وَالرَّجُوعُ إِلَى الْخَيْرِ بَعْدَ الْوَقْوَعِ فِي الشَّرِّ ضَرُورَةُ الْأَدْمَيْنِ، فَالْتَّجَرْدُ لِلْخَيْرِ مَلَكٌ مَقْرَبٌ عِنْدَ الْمَلَكِ الدِّيَانِ، وَالْتَّجَرْدُ لِلشَّرِّ شَيْطَانٌ، وَالْمُتَلَافِي لِلشَّرِّ بِالرَّجُوعِ إِلَى الْخَيْرِ إِنْسَانٌ. فَقَدْ ازْدَوَجَتْ فِي طِينَةِ الْإِنْسَانِ شَائِيْتَانٌ، وَاصْطَحَبَتْ فِيهِ سَجِيَّتَانٌ، وَكُلُّ عَبْرٍ مَصْحَحٍ نَسَبَهُ إِمَّا إِلَى الْمَلَكِ أَوْ إِلَى آدُمَ أَوْ إِلَى الشَّيْطَانِ. فَالْتَّائِبُ قَدْ أَقَامَ الْبَرَهَانَ عَلَى صَحَّةِ نَسَبِهِ إِلَى آدُمَ بِمَلَازِمَةِ هَذِهِ الْإِنْسَانِ، وَالْمَصْرُّ عَلَى الطَّفَيْلِ مَسْجَلٌ عَلَى نَفْسِهِ بِنَسَبِ الشَّيْطَانِ وَتَصْحِيفِ النَّسَبِ بِالْتَّجَرْدِ لِمَحْضِ الْخَيْرِ كَالْمَلَائِكَةِ فَخَارِجٌ عَنْ حِيْزِ الْإِمْكَانِ، لَأَنَّ الشَّرَّ مَعْجُونٌ مَعَ الْخَيْرِ فِي طِينَةِ آدُمَ عَجَنَاً مُحَكِّماً لَا يَخْلُصُهُ مِنْهُ إِلَّا إِحْدَى النَّارَيْنِ: نَارُ النَّدَمِ أَوْ نَارُ جَهَنَّمِ" <sup>(١)</sup>.

إِذَاً إِنَّ الْإِنْسَانَ غَالِبًاً مَا يَخْطُئُ، فَإِذَاً مَا وَجَدَ أَنَّ أَبْوَابَ الْعُودَةِ مَوْصَدَةً فِي

وجهه، فسيورثه اليأس والإحباط، ولذلك فإن التوبة تعتبر من الطرق والأصول المهمة في الإسلام فهي تدعو كلّ المذنبين لإصلاح أنفسهم، والدخول في دائرة الرحمة الإلهية. إن التوبة الحقيقة هي الإرادة الحازمة على ترك المعاصي والذنوب، والعودة الحقيقة إلى طريق الصلاح والرشاد. ومن الطبيعي أن الله سيقبل توبة عبده وهو يرى عودته إليه بوازع من نفسه دون إجبار من خلال مشاهدة العقاب والجزاء، إن الله ولا شك سيقبل توبته ودخوله إلى رحمته التي تسع كل شيء.

وقد بين الإمام السجّاد عليه السلام في مناجاته (مناجاة التائبين) أفضل وأحلى صورة لها فقال: «إلهي أنتَ الذي فَتَحْتَ لِعَبَادَكَ بَأَبَأَ إِلَى عَفْوِكَ سَمِيَّتُهُ التَّوْبَةُ، فَقُلْتَ: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصْوَحًا﴾، فَمَا عَلِمْتُ مِنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبَابِ بَعْدَ فَتْحِهِ»<sup>(٣)</sup>.

والجدير بالذكر أن الباري تعالى يحب التائبين، لأن التوبة تعتبر الخطوة الأولى لكي يعيش الإنسان في أجواء السعادة والحياة الكريمة.

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن الله تعالى أشدُّ فرحاً بتوبة عبده، من رجلٍ أصلٌ راحلته وزاده، في ليلةٍ ظلماءٍ فوجدها»<sup>(٤)</sup>.

### حقيقة التوبة

للتبّعة لحظان، فاللحاظ الأول نسبتها للمذنبين فيكون معناها الرجوع إلى الرحمة الإلهية، تلك الرحمة التي سُلِبت من الإنسان إثر ارتكابه للمعصية والذنب، وبعد عودته لموقع العبودية والعبادة تنتد إلىه الرحمة الإلهية من جديد.

وورد في المحجة البيضاء عن حقيقة التوبة فقال عليه السلام: "إن التوبة عبارة عن معنى ينتمي من ثلاثة أمور مرتبة: علم، وحال، و فعل... أما العلم، فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محظوظ. فإذا عرف ذلك معرفة يقينية، تألم القلب لفوات المحبوب، لأن القلب إذا شعر بفوات محبوبه تألم. فإذا كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندماً.

وإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى عليه، انبعثت في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدًا إلى الفعل، لها تعلق بالحال والماضي والمستقبل. أما تعلقها بالحال فبترك الذنب الذي كان ملابساً له، وإنما بالمستقبل فالبعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر، وأماماً بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قابلاً للجبر. فيشمر نور الإيمان إذا أشرق على القلب نار الندم فيتألم به القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محبوياً عن محبوبه<sup>(٤)</sup>.

فتنقلب الحالة الروحية والنفسية لدى الإنسان، وتحتّم هذه الحالة على أن يتّخذ موقفاً جديداً ليصل إلى معدن النور والرحمة.

### وجوب التوبة

إنَّ وجوب التوبة ظاهرٌ بالأخبار والآيات كقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئْيَهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup> و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُبُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾<sup>(٦)</sup>. ودعمت الروايات ذلك الأمر، وأكّدت على وجوب التوبة ومنها:

وصيّة الإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليهما السلام: «وإن قارفت سيئة فعجل بمحوها بالتوبة»<sup>(٧)</sup>. وحاشا للإمام أن يقرف الذنوب، ولكن قصد الإمام عليهما السلام تنبيه الآخرين. قال الرسول الأكرم عليهما السلام لابن مسعود: «يا بن مسعود لا تقدم الذنب ولا تؤخر التوبة، ولكن قدم التوبة وأخر الذنب»<sup>(٨)</sup>.

### عمومية التوبة

لا تختص التوبة بذنب من الذنوب، ولا تتحدد بزمان ولا مكان. وعليه فإن التوبة تشمل جميع الذنوب سواء كانت صغيرة أم كبيرة وتسطوع كل شخص في أيّ مكان أو زمان، وإذا ما احتوت على كل الشروط فستقبل من قبل الباري تعالى، والاستثناء الوحيد الذي لا تُقبل فيه التوبة، والذي أشار إليه القرآن الكريم، هو التوبة عند حضور الموت، أو نزول العذاب الإلهي، كما تاب فرعون في

آخر لحظات عمره، فعندما تُقبل توبته، لأن التوبة عندها ليست توبة حقيقة، فيقول الباري تعالى: ﴿وَكَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي ثَبَتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَثُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِنَّكُمْ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾<sup>(٩)</sup>. وكذلك بالنسبة للحدود الإلهية، عندما يقع الجرم في أيدي العدالة، فلن تُقبل توبته، لأنه لم يتبع واقعاً بل خوفاً من العقاب لا غير.

فالنوبة التي لا تُقبل من الباري تعالى، هي النوبة التي تخرج من شكلها الاختياري في مسيرة الإنسان.

وتوجد آيات كثيرة، تدل على شمولية النوبة لجميع الذنوب، ومنها:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١٠)</sup>. وقوله سبحانه:

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوَبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١١)</sup>.

وقوله عز وجل: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١٢)</sup>.

فإن هذه الآيات، تدل على شمولية النوبة لجميع الذنوب والآثام، وأن باب التوبة مفتوح حتى آخر لحظات عمر الإنسان ما لم ير الموت بعينه.

### أركان التوبة

إن من أهم الشروط التي تعتبر ركناً ركياناً للتوبة هو الندامة على الذنوب والتقصير في أداء التكاليف الشرعية، والعزم على عدم العودة إلى العصيان والذنوب، وفي الحقيقة إن هذين الأمرين يحققان التوبة ويُعتبران من مقوماتها الذاتية<sup>(١٣)</sup>. والعمدة في هذا الباب تحصيل هذا المقام وإنجاز هذه الحقيقة على نحو يتذكر الإنسان تأثير معااصيه في روحه وعواقبها في عالم البرزخ ويوم القيمة، كما هو مقرر في المعقول والمنقول، ومبرهن عليه لدى أهل العلم والمعرفة، ومأثور في

أخبار أهل البيت عليهم السلام من أن لالمعاصي في عالم البرزخ والقيمة صوراً تتناسب معها، وهذه الصور في ذلك العالم تكون ذات حياة وإرادة حيث تعذّب الإنسان المذنب وتسيء إليه عن شعور وإرادة. وأيضاً يجب على الإنسان أن يقوى في قلبه صورة الندامة كي "يحترق" القلب إن شاء الله تعالى، وذلك بأن يفكر في الآثار الموحشة لالمعاصي وعواقبها، ويعمل على تقوية الندامة في قلبه ويضرم النار في قلبه على غرار **﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوَقَّدَةُ﴾**<sup>(١٤)</sup> ويحترق قلبه في نار الندامة حتى تحرق معها جميع المعاصي وتزول الكُدوره عن القلب وصده. وليعلم أنه إذا لم يضرم بنفسه هذه النار "الندامة" ولم يفتح في وجهه باب جهنّم التي تكون بذاتها الباب الرئيس لأبواب الجنة، فعندها ينتقل من هذا العالم وتهيأ له لا محالة في ذلك العالم نارٌ عاتية وتفتح في وجهه أبواب جهنّم وتُوصد في وجهه أبواب الجنة والرحمة.

### شروط التوبة

كما نعلم، فالتوبة الحقيقية ليست بلفظ الاستغفار وحده، أو التدم على ما مضى، بل على الإنسان التائب أن يردّ كلّ ما أخذه من الناس من دون حق إلى أصحابه وإذا وجد حقوقاً أخرى للناس في ذمّته واستطاع أن يؤديها إلى أصحابها، يجب أن لا يتوان في ذلك. وأن يقضي كل الفرائض الإلهية الفائتة.

ونذكر الكلام الشريف لمولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام، فقد رُوي في نهج البلاغة أنّ قائلاً قال بحضرته عليه السلام: أستغفر الله، فقال له: «ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العَلَيْنِ، وهو اسمٌ واقعٌ على ستة معانٍ: أولها الندم على ما مضى. الثاني العزم على ترك العود إليه أبداً. والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعه. الرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقها. الخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السُّحت فتذيه بالاحزان حتى تلتصق الجلد بالعظم وينشا بينهما لحمٌ جديد. والسادس أن تُذيق الجسم

ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله<sup>(١٥)</sup>.

## دوام التوبة

يقول المرحوم الفيض الكاشاني في كتابه *الحجّة البيضاء*: "إن شرط دوام التوبة أن يكون السالك كثير الفكر في النيم وفي الآخرة لتزداد رغبته وتقواه، إن تصور الذنب وذكره والتفجّع عليه كمال في حقّ المريد المبتدئ، لأنّه إذا نسيه لم يكثّر احتراقه، فلا تقوى عندها إرادته، ولا ينبعث لسلوك طريق الآخرة، وأنّه سيسلب منه أيضًا الحزن والخوف الرادع عن الرجوع إلى مثله. فذكر الذنب وتذكرة بالنسبة إلى الغافل كمال، ولكنّه بالنسبة إلى سالك طريق الآخرة نقصان، لأنّه شغل يمنع من السلوك. بل سالك طريق الآخرة ينبغي أن لا يعرّج على غير السلوك، فإنّ ظهر له مبادي الوصول، وانكشفت له أنوار المعرفة ولوامع الغيب جذبه هذا الكشف فلم يبق له متنفس للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال. ولدوام التوبة يتوجب إتباع أمور منها:

- ١) الابتعاد عن أجواء الذنب، وعدم مجالسة أهل المعاصي. عليه هجر أصدقاء السوء، والفرار منهم كالفار من الوحوش الضاربة.
- ٢) في حالات وقوعه في دائرة وسوسه الشيطان، يشتغل بذكر الله تعالى:  
﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْفُلُوبُ﴾<sup>(١٦)</sup>.
- ٣) ليفكّر دائمًا بالذنب الذي تاب منه، لئلا يغفل وينسى مضرّاته.
- ٤) ليشغل وقته بالبرامج الصحيحة السليمة، ولا يدع أي فراغ في أوقاته، لكي لا يكون هناك بابًا يدخله الشيطان مرة أخرى.

## مراتب التوبة

هناك درجات مختلفة للتوبة والتائبين. ويكن أن نقسم التائبين إلى أربعة أقسام:

**القسم الأول:** التائبون الذين لا يقلعون عن الذنب، ولا يتأسفون على ما فعلوا، فمن الممكن أن يعيش حالة التوبة في آخر أيام حياته، وتكون عاقبتة الحسنى، ولكن عندما يتفق موته مع معاودتهم للذنب وهناك ستكون عاقبتهم السوء، وفيها الخسران الأبدى.

**القسم الثاني:** التائبون الذين يستمرون في طريق الحق والطاعة ويتحركون في خط الاستقامة ولكن الشهوات تغلبهم أحياناً، فيكسرن طوق التوبة، ويرتكبون بعض الذنب، ولكنهم لا يقعون في الخطأ من موقع التمرد والعناد، بل من موقع الغفلة والضعف أمام الذنب، هؤلاء وصلوا إلى مرحلة النفس اللوامة، والأمل بنجاتهم أقوى.

**القسم الثالث:** التوابون الذين يجتنبون كبائر الإثم، ويتمسكون بأصول الطاعات، ولكنهم قد يقعون في حبائل المعصية، لا عن قصدٍ وعمد، ولذلك يتوبون مباشرةً من الذنب، فيلومون أنفسهم ويعزمون على التوبة، ويعيشون حالة الابتعاد عن الذنب دائماً، والأمل بنجاتهم أقوى أيضاً.

**القسم الرابع:** التوابون بعزمٍ وقوهٍ وإرادة، في طريق الطاعة لله تعالى، فلا تهزهم العواصف، ولا يخرجون من أجواء التقوى، صحيح أنهم ليسوا بعصومين، ولربما فكرروا بالمعصية، ولكنهم محسنين مبعدين عنها، فالإيمان والعقل عندهم، سلباً هو النفس فاعليته في واقعهم الباطني، فلا سبيل للشيطان والأهواء عليهم. فأولئك هم أصحاب "النفس المطمئنة"، التي ترجع إلى ربها راضيةً مرضيةً، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾<sup>(١٧)</sup>.

#### في تفسير التوبة التصوح

يقول الإمام الخميني قده من كتابه الأربعون حديثاً: "نقل المحدث الخبر المجلسي عليه السلام عن الشيخ البهائي أنه قال: ثم أعلم أن المفسرين اختلفوا في تفسير

التوبة النصوح على أقوال: منها: أن المراد توبه تتصح الناس، أي تدعوهم إلى أن يأتوا بمثلها لظهور آثارها الجميلة في صاحبها أو ينصح صاحبها فيقطع عن الذنب ثم لا يعود إليها أبداً. ومنها: أن (التصوح) ما كانت خالصة لوجه الله سبحانه من قولهم عسل (تصوح) إذا كان خالصاً من الشمع، بأن يندم على الذنب لقبحها، وكونها خلاف رضي الله تعالى لا لخوف النار مثلاً...

ومنها: أن التّصوح وصف للتأبّل وإسناده إلى التوبة من قبيل الإسناد المجازي أي توبه تتصحون بها أنفسكم بأن تأتوا بها على أكمل ما ينبعى أن تكون عليه حتى تكون فاعلة لأثار الذنب من القلوب بالكلية. ويكون ذلك بذوب النفوس بالحسرات ومحو ظلمات القبائح بنور الأعمال الحسنة".<sup>(١٨)</sup>.

### موعظة حسنة

يقول الإمام الخامنئي عليه السلام: "من الأمور التي حثّ عليها شرع الإسلام المقدس، أن يبكي الإنسان على نفسه. ولا شك أننا سنبكي جميماً على أنفسنا فيما لو أدركنا واقعنا. فتحن في الحقيقة في غفلة عن حالنا. لقد خلق الله الإنسان لأجل هدف محدد، وهو يتحمل المسؤولية، وعليه أن لا يقضي حياته عمره في غفلة عن ذلك الهدف وتلك المسؤولية. إن ما تسمعونه من أئمتنا الأطهار عليهم السلام كانوا يبكون، مع أنهم أهل الصلاة والعبادة، وأهل العرفان وال بصيرة، ولم يكن يخفى عليهم شيء من المعارف الإلهية، إنما كان بسبب عرفانهم وإدراكهم للواقع.

أئمتنا عليهم السلام - مع ما هم عليه- يبكون! فمن أجل أي شيء، ولماذا؟ وبالطبع، إن عدم البكاء يُعد تقصيراً عند من وصل إلى تلك المقامات. أما بالنسبة لنا، فالامر ليس كذلك. نحن ننشغل في تأمين مستلزمات الحياة من طعام وشراب وترفيه وغيرها ومع أن طلب هذه المباحثات لا إشكال فيه، وقد يصبح مرجحاً في بعض الحالات بالنسبة لأمثالنا، إلا أن من وصل إلى تلك المقامات من القرب الإلهي سيكون صعباً

عليه جداً أن يصرف لحظة واحدة من حياته في غفلة، حتى ولو كانت لتؤمن متطلبات الحياة الضرورية. وهو لأجل ذلك يبكي؛ يبكي لأجل تلك اللحظة. أنا وأنتم -طبعاً- لا ندركحقيقة هذا البكاء، ولذلك نتعجب كيف تكون لحظة واحدة من الغفلة سبباً لكل هذا البكاء!!... أجل، فهم يرون ما وراء الحجاب، أما نحن فمحظيون عن الرؤية<sup>(١٩)</sup>. والحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

- (١) المحجة البيضاء، ج ٤، ص ٧، ٨.
- (٢) المناجاة الخمسة عشر للإمام السجاد عليه السلام، المناجاة الأولى.
- (٣) أصول الكافي، ج ٢، باب التوبة، ٤٣٥، ح ٨.
- (٤) المحجة البيضاء، ج ٤، ص ٨، ٩.
- (٥) سورة النور، الآية ٣١.
- (٦) سورة التحرير، الآية ٨.
- (٧) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٠٨.
- (٨) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٠٤.
- (٩) سورة النساء، الآية ١٨.
- (١٠) سورة الزمر، الآية ٥٣.
- (١١) سورة المائدة، الآية ٣٩.
- (١٢) سورة الأنعام، الآية ٥٤.
- (١٣) الأربعون حديثاً، ص ٣٢١.
- (١٤) سورة الهمزة، الآية ٦.
- (١٥) نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٤١٧.
- (١٦) سورة الرعد، الآية ٢٨.
- (١٧) سورة الفجر، الآية ٢٧، ٢٨.
- (١٨) الأربعون حديثاً، ص ٣٣٠-٣٣١.
- (١٩) الموعظ الحسنة، للإمام الخامنئي دام ظله، ص ١٠، ١١.



## الطريق السريع للأنام لهجران المعاصي والآثام

### حسن ملال الزياني

خلقنا ذو العزة والجلالة والكمال عبيداً بين يديه، وخط  
لنا طرق الكمال والاستقامة، منعماً علينا بالحجج الظاهرة من  
الأئباء والمعصومين عليهما السلام والحجج الباطنة ويشملها العقل.  
ولا مناص من أن نكون في مسيرنا للاستقامة مشتبهين  
مرة، ومذنبين ومتجرئين تارة أخرى -والعياذ بالله-، وهذا  
تجد أنه من يخرج عن هذا الطريق قد يخرج إلى جادة  
المنافقين، وقد يخرج آخرون إلى جادة الجاحدين و... الخ من  
الطرق الكثيرة التي يشتبه العبد بينها وبين طريق الاستقامة، هذا إذا لم يكن على  
دراسة ومعرفة بما يختاره.

ولكن وكما ورد عن المعصومين عليهما السلام المهم بعد ذلك الرجوع، هو الندم على ما فات والإنابة للقوى العزيز ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وفي سير العبد بسلوك التوبة تتعدد أمامه كثير من الطرق، وربما اختار بعضها ولم يوفق وترك أخرى وسقط، إلا أن يجد في قراره نفسه أنّ هذا الطريق شائق وصعب المنال، ولكن وكما نعلم أنه وبعون الله وتوفيقاته من أيسر الغايات إذا أراد العبد ذلك. وبهذه الأسطر القليلة سوف نتعرّف على بعض الطرق التي تعتبر في الحقيقة رئيسية، وذلك لما لها من الأثر البالغ في ترك الذنوب وهجران المعاصي حيث تتوحد كل هذه الطرق في أنها توجه ذات الإنسان وعقله وروحه، فالعبد في طريق الاستقامة يتارجح بين طاعته لله وبين معصيته -والعياذ بالله-، وقد يجد الكثير صعوبة في الثبات على الطريق السويّ.. مع معرفته بالواجبات، ومع وضوح المحرمات لديه كما جاء في دعاء أبي حمزة الشمالي «وغلبني هواي وأعانتني عليها شقوتي وغرني سترك المرخي علي»<sup>(٢)</sup>.

### الطريق الأول: حب الله

لا شك أن هذا الطريق يعتبر من أعبد الطرق وأسلكها لو التفتنا إلى مدى تأثير علاقة الحب والملودة على الحب، ففي الكافي واليعاشي عن الصادق عليهما السلام: «هل الدين إلا الحب، ثم تلا هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد ورد في تفسير هذه الآية "قال: قُلْ يا محمد لهؤلاء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: إن كنتم صادقين في دعوى محبة الله ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ فيما أمرتكم ونهيتكم.

والمحبة عبارة عن ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على ما يقربها إلى ذلك الشيء. والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كلّ



ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله، لم يكن حبه إلا لله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته، والرغبة فيما يقرّبه إليه. فلذلك فسرت الحبّة بإرادة الطاعة، وجعلت مستلزمة لاتّباع الرسول ﷺ في عبادته، والحرص على مطاعته<sup>(٤)</sup>.

ولهذا قال أحد الشعراء:

تعصي الإله وأنت تظاهر حبه	هذا حال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعنه	إنّ المحبّ لمن يجب مطيع <sup>(٥)</sup>

وفي الواقع نرى هذا الانقياد بين الحبيب والمحب بشكل واسع وجلّي في حياة الإنسان اليومية، فأكثر علاقات الأرحام قائمة على هذا المنوال، ويرتسم غالباً في طاعة الوالدين، واجتماعياً ينخرط الفرد في الجمعيات والمؤسسات، وكل ذلك الانخراط قائم على الحب لتلك الشخصية أو الميل العاطفي لبعض الأفكار أو الحب لنفسه كما في كثير من الأحيان.

والسؤال البديهي والذي يطرح نفسه، من الأولى أن يحبه الإنسان؟ نفسه، ماله، أمه، صاحبه أم خالقه وموجده؟ والجواب البديهي أيضاً أن الأحق والأولى بالحب هو الموجد والمبدع والمنعم وهو الله القدير جلت عظمته. إلا أن الكثير في الواقع يعملون خلاف ذلك، فالنفس مقدمة في ميادين كثيرة، فيعمل وفق محبته لذاته؛ فتصبح حتى العبادات لديه - التي تأثر بها للباري عزّوجلّ - وفق أهواء النفس وتبجيل شأنها. وقس على ذلك الكثير.. فعندما يتوجه الإنسان لحب نفسه يرى كثيراً من الطاعات والخيرات صعبة المنال. وتحبب إليه نفسه بعض المكرمات بل حتى المحرمات، فلا يرى استثناءً حتى في صلاته، فتراه ميالاً لبعض الذنوب وهو يعلم أثراها وشدة حرمتها، بل ويريد في بعض المراحل أن يهجرها فيبقى صراع

طويل في ظل محبة النفس، والنتيجة قلما تكون لصالح هذا العبد.  
ولو أردنا تعريفاً للمحبة ( فهي عبارة عن ميل النفس إلى الملائمة..لتستفيد من  
هذا الحب لنيل كمال ما تستلزم به).

### الطريق لحب الله

ذكر الحبيب: كل حبيب تراه مولعاً بذكر حبيبه، وقلما تجد لسانه أو قلبه  
ناسياً لذكره.. والذكر لله في الحقيقة يحتاج نفسه إلى قلب يسعه وتوفيق من  
المذكور عز شأنه، وأكبر الذكر وأقواه حينما يقف العبد قبلاً عتبات المعصية  
ويتراجع عنها، نعم فهذا الرجوع يمثل في الحقيقة رجوع الله تعالى إناية إليه وذكره  
ما بعده ذكر.. ونحن محتاجون للإكثار من هذا الذكر، ولعله المراد بما جاء عن  
الرسول ﷺ: «من تواضع لله رفعه، ومن تكبر وضعه الله، ومن أكثر ذكر الله أحبه  
الله».

وهذا الذكر الذي أوردناه ما هو إلا نقطة بداية في مسيرة العبد في سبيل لقاء  
الحبيب، حتى يوفق للأذكار الواردة عن الأنئمة الموصومين عليهما فهم السرج  
المضيئة لأحباء الله وأودائه. وتتضح هذه النكتة من الحديث القديسي الذي أخبرنا  
به رسول الله ﷺ، حيث جاء في الكافي: «لا يزال العبد يتقرب إلى بالنواقل حتى  
أحبه، فإذا أحبته سمعه الذي يسمع به... إلخ»<sup>(٦)</sup> وبعد هذا الحب وشدة القرب  
إلى المولى عزّ وجلّ من بعيد جداً أن يرتكب العبد ذنباً أو يقترف معصيةً، فهنيئاً  
لأحباء الله.

ونتائج هذا الحب واضح وجلٍّ، إذ ورد في بعض الأخبار: «إذا أحب الله عبداً  
جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه»<sup>(٧)</sup>، فلا يحتاج إلى مرشد  
خارجي ليبعده عن تلك الذنوب التي يخشاها أو تلك المعاصي التي اعتاد عليها.  
وبهذا صار بعيداً عن شباك الغفلة، فيرى أن قلبه أصبح عوناً له ينهاه حتى تراه

مستوحشاً من أن يجلس مع الملوثين بالذنوب ويفرّ منهم؛ خوفاً من براثن العاصي. فيتحول هذا الحب إلى وقاية تعزل الإنسان عن طريق الغي والفساد وكل ذلك نتيجة لذكر الله وحبه.

قد يُشكل أحدهم على بَأْنَ معرفة الله هي من الطرق الكافية لترك الذنوب والعلة التامة لهجرانها، ويجب عليه بأنه ليس كل من عرف الله ووحده ووصل إلى المراتب العالية في المعرفة يكون ذلك مانعاً له عن معصية الله. ألا ترى قول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾<sup>(٨)</sup> ولو سلمنا أن المعرفة لها أثر كبير في طاعة المولى إلا أنها ليست علة تامة.

### الطريق الثاني: إرادة الإنسان للتغيير

الإنسان في عبوديته لله ﷺ، يشعر بأنه مقصّر في طاعته كما يشعر برغبته في إصلاح ما أفسده، وتبييض صفحاته التي ازداد سوادها. فيقف الإنسان طالباً العون الإلهي بالدعاء والرجاء من الله للبعد عن تلك الذنوب، فيمده رب العزة واللطف برحمته منه، ولكن تراه سرعان ما يعود لذنبه المعهود... لماذا؟ هل تغير خط ونهج هذا العبد أم لماذا؟ نعم لعلّ الكثير منّا فاته التأمل في الآية المباركة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾<sup>(٩)</sup> فالآية الشريفة تضع لنا هذه القاعدة العريضة لتوبيخه بوصلته لهذا العبد إلى السعادة أو الشقاوة عبر عجلة الثورة التغييرية في نفس الإنسان وداخله.

فالإنسان في الحقيقة تحركه محركات كثيرة لأفعاله وسلوكياته، ولكن الحركات والسلوكيات والطبات الناتجة عن الإرادة الداخلية في الإنسان هي المتصفه بالدؤام والاستمرار، وقد أسماه صاحب الأمثل بـ(القانون العام) حيث ذكر أن الآية المزبورة قد جاءت في موردين متفاوتين في القرآن "وانها قانون عام وقانون حاسم ومنذر، هذا القانون الذي هو واحد من القوانين الأساسية لعلم الاجتماع

الإسلامي، يقول لنا: إنّ ما يصيّبكم هو من عند أنفسكم، وما أصاب القوم من السعادة والشقاء هو مما عملت أيديهم وما يقال من الحظ والصدفة وما يحتمله المنجمون ليس له أساس من الصحة... حتى اللطف الإلهي أو العقاب لا يكون إلا بمقدمه<sup>(١٠)</sup>.

إذاً لا مناص للمذنب والعاصي والمصر الذي يريد العودة لله أن يبدأ بنفسه، ويغيّر تفاصيل وجزئيات هذه النفس، ويبدل رغباتها وتحركاتها، وذلك في الحقيقة يحتاج إلى التخلية والتحلية في سبيل الوصول إلى نتيجة في الواقع.

ولعلنا نستلهم هذا التغيير المطلوب من لدن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ حِينما قال: «إنّ أبي كان يقول: إنّ الله قضى قضاء حتماً لا ينعم على عبد نعمةٍ فيسلبها إياه قبل أن يُحدث العبد ذنباً يستوجب بذلك الذنب سلب تلك النعمة وذلك قول الله: إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّر ما بأنفسهم».

ويقول صاحب الميزان في صدد بيان هذه الآية أنه "من الممكن أن يستفاد من الآية العموم وهو أنّ بين حالات الإنسان النفسية وبين الأوضاع الخارجية نوع تلازم سواء كان ذلك في جانب الخير أو الشر، فلو كان القوم على الإيمان والطاعة وشكر النعمة عمّهم الله بنعمه الظاهرة والباطنة ودام ذلك عليهم حتى يغيرة فيكروا ويفسقوا فيغير الله نعمه نقاً ودام ذلك حتى يغيرة...".<sup>(١١)</sup>

### الطريق الثالث: استشعار مراقبة الله تعالى ومراقبة حججه

#### مقام استشعار المراقبة الإلهية:

هذا الطريق في الحقيقة واضح المعالم في تأثيره على سلوك الإنسان وعوده إلى طريق الهدایة والرشاد، فشعور أي مسلم ولو على نحو بسيط بأنّ عين الله ناظرة إليه، وحتى أولئك الملوثين بالمعاصي والذنوب الكبيرة لديهم نصيب وحظ لا بأس به، فمثلاً ينعنهم استشعارهم هذا من التعدي على مقدسات الله بل ويوجب

هذا الاستشعار البسيط احترام لأولياء الله بإحساسهم بالعلاقة التي تربطهم بالله تعالى.

إذاً هذا الاستشعار مفهوم مشكك في الواقع العملي، فالبعض يحافظ على درجة عالية من الاستشعار بوجود الله ومراقبته لعمله والبعض الآخر ملوث بعض العاصي التي جعلت من غفلته طاغية على هذا الشعور اللطيف لدى العبد. ولو دققنا ورکزنا النظر في استشعار المراقبة الإلهية بشكل غير متقطع بلحظات الغفلة التي أدخلتنا في شبهاها لما تجرأنا على معصية الله ومخالفة أحكماته. وي يكن القول بأنّ الاستشعار موجود لدى كل الناس بشكل عام إلا أنّ الاختلاف يكمن في نوع المراقبة، فالمتقين يستشعرون عين الله تعالى ورضا الله بحكم إيمانهم وبالذات الذين وصلوا لدرجات عالية حيث لا يغفلون ولو لحظات عن وجود الله ولطفه، فقلو بهم منيرة بوجود الله وعظمته، عملاً بال الحديث الذي ورد عن صادق الأئمة عليهما السلام: «القلب حرم الله، فلا تسكن حرم الله غير الله»<sup>(١٢)</sup>، أمّا المرائين والمنافقين يستشعرون عين الخلق، وقد ينزل أولئك العصاة وأعداء الله إلى استشعار شياطينهم والعياذ بالله.

ويتمحور هذا الطريق بأنّ العبد يقف قبل أن يبدأ في أي فعل أو قول أو سكون متحسساً بأنه يقف في ساحة قدس الله وجبروته وعظمته، وعين الله ناظرة إليه وأن حسناته سيئاته متمثلة أمام عين خالقه وبيارئه تعالى.. فلو كان عمله متصفًا بالمخالفة لله تعالى يمكن بهذا الشعور وبحسب قوته أن يردد الإنسان فيتراجع ويختار ترك التجربة على أمر الله ونهيه. وهكذا لو كان العمل متصفًا بالموافقة لأوامر الله سيقدم عليه متقرباً إلى الناظر الحسيب جلت عظمته.

ومفهوم هذا الاستشعار ورد في القرآن المجيد وفي روايات أهل البيت عليهما السلام فقد جاء في سورة العلق ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾<sup>(١٣)</sup> بعد أن تقدمت هذه الآية

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى \* عَبْدًا إِذَا صَلَى \* أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى \* أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى...﴾<sup>(١٤)</sup> فالمؤمن الحقيقي يعتبر العالم كله حاضراً عند الله تعالى، وأن كل الأعمال تتم في محضره، وينبغي لهذا الحضور الإلهي أن يكون رادعاً وكافياً للخجل والكف عن المعاصي والذنوب. كما جاء عن أهل البيت عليهم السلام: «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(١٥)</sup>، فالحديث الشريف يوضح للعبد أنه لا بد أن ينظر لجهتين في عبوديته لله تعالى، الجهة الأولى أن عباداته ومعاملاته وأعماله يجب أن تكون متوجهة ومتقرباً بها للناظر الأول وهو الله عز وجل باعتبار أنه هو القابل والمثيب لهذا العمل، ويأتي الوجه الثاني والذي ينصب في أنه تعالى يقيناً يراك ويسمعك..

### مقام استشعار مراقبة حجج الله:

وهذا المقام لا ينفصل عن المقام الأول، ويمتاز هذا المقام أن بصمته واضحة على صفات المؤمنين، كيف لا وقد تجلى في حجج الله عين الله وحكمته، ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله»<sup>(١٦)</sup> وليتضح هذا المعنى من مراقبة أولياء الله المعصومين عليهم السلام من خلال ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «أما علمت أننا معاشر الأئمة تعرض علينا أعمال شيعتنا صباحاً ومساءً، فما كان من التقصير في أعمالهم سألنا الله تعالى الصفح لصاحبه، وما كان من العلو سألنا الله الشكر لصاحبه»<sup>(١٧)</sup>، وعن الإمام المنتظر عليه السلام فهو يرى أعمالنا، وسلوكنا، وعلاقاتنا فإن كانت في الجانب السليم فهي التي تسعد وتبشر الإمام عليه السلام، وهنا تنشئ العلاقة الوطيدة بين هذا العبد والإمام الغائب الحاضر، حيث ترى العبد دائم الذكر له، وبالخصوص هذا الذكر العملي في الواقع، فالإمام عليه السلام ينظر إلى أعمال الشيعة وخواصه، ويسرّ بحسناتهم وينزعج من سيئاتهم، ويعين وكلاءه بالدعاء والإرشاد والتصرف في قلوبهم ويشرف على

أحوال الشيعة، فإذا اتصلوا به بواسطة الدعاء بالفرج والتسلل والاستشفاع به أقبل عليهم، ويدعوا لهم ويطلب من الله أن يقضي حوانجهم، وقد ورد في توقيعه عليه السلام إلى الشيخ المفيد قدس الله عز وجل شئ «إِنَّا غَيْرَ مُهْمَلِينَ لِرَاعِاتِكُمْ، وَلَا نَاسِينَ لِذَكْرِكُمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ الْأَوَاءُ وَاصْطَلَمْتُمُ الْأَعْدَاءَ»<sup>(١٨)</sup>.

#### الطريق الرابع: التسلل بالمعصومين وأولياء الله الصالحين عليهم السلام

والتوسل تعلقت به الفرقة الناجية، كونه الطريق الذي دلّ عليه الله في كتابه العزيز ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>. فلا بد أن يكون لهذا الطريق القدرة على المداية والاسترشاد، والنجاة من الذنوب وآثارها الوخيمة على الإنسان، باعتبار أنّ التسلل وما يعني من الاستعانة بوسيلة للنّقرب إلى الله وطلب الحاجات، أكان هذا التسلل بأسماء الله وصفاته أو التوسل بالقرآن الكريم أو التوسل بالأعمال الصالحة، أو التوسل بدعاء الأخ المؤمن. ولكن كيف إذا كان هذا التوسل للتخلص من الأدران القلبية، والتسلل بالرسول وأهل بيته عليهم السلام ليوفق الإنسان من هجران أسباب المعاصي ومقدماتها.

فمن البعيد أن يترك الله هذا العبد الذي لجأ لولييه ولجا في الحقيقة إليه، بعد هذا التوسل. فنحن على علم بأنّ دعاء الأئمة المعصومين عليهم السلام، بل ودعاء المتقين من عباد الله مستجاب ولا يرده الله. وهذا ما ثبت عملياً لدى الكثير من الصالحة والمؤمنين، وهذه النتيجة طبيعية لأنّ المتسلل بهم هم المقربون لله تعالى، وهم العاملون بالله، والعارفون به، هم الطاهرون قلباً وقائلاً.

#### الطريق الخامس: استذكار الموت

«وَكَفِي بِالْمَوْتِ وَاعْظَأْ»<sup>(٢٠)</sup> نعم إنّه حديث عظيم وكلام نستطيع أن نقف

عليه ويتم به مرادنا، كونه يحمل المعنى البليغ، والبيان العميق لتأثير هذا الطريق على صفة العبد بشكل سريع وشديد، وهذا ما نستوحيه من كلمات الرسول الأعظم ﷺ، حيث كان كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: «أكروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات...»<sup>(٢١)</sup>.

وطرق استذكار الموت وأثره العملي الكبير يوقف المتأمل لمعرفة خبايا هذا الطريق في نفس الإنسان، ففي الحقيقة تتفاوت نظراتنا للموت في نواحي شتى، ولكن تتفق تلك النظارات في أنّ الموت يكبح شهوات الإنسان ويهدم لذاته، ويستوقفه في محطات تفكير وتعنّ، لعظمة هذا الرحيل ومفصليته.

فمنا من ينظر إلى الموت بأنه نهاية له وفناء لذاته ومحطة فقدان خيرات هذه الدنيا ولحظاتها المختلفة، فيستوقفه الموت -إن استوقفه- ليقيس فوائده وخسائره نسبةً بهذا الرحيل المحتم، فهو وإن كان يعتقد في قراره نفسه أنّ موته ورحيله بعيد لطول أمله، إلا أنّ صورة المقابر ولحظات الوداع لأقاربه، تستوقفه بقوة لتطرق أفكاره، لعلّها تكون طريق نجاة له من ذنبه التي أثقلت ظهره.

ومنا من ينظر للموت بأنه ميعاد للحساب فيتفكر في سجل أعماله ويفوض في تاريخ أقواله، فتارة تطمئنه نفسه بأنه في الخط السليم، وتارة يتغلب عليها، ويحسم حسابه في صالح الأرباح وتقليل الخسائر، فتراه مائلاً عن طريق الأثام متوجهاً لسعادته ورشاده.

ومنا من ينظر إلى أن الموت بداية له وشروع في سعادته ومحطة تغير في نفسه، فهو وإن كان في خوف الحساب وهو المطلع عند الرقيب الحسيب، إلا أنه دائماً ما يفحص كتابه وجهوزيته لهذا اليوم فيسد ثغرات المعاصي ويحصن نفسه بالأذكار ويقترب إلى الله زلفى.

وكل النظارات تلك وأصحابها يشترون في النتيجة التي يصلون إليها من

نظيرهم للموت بأنّ ذكر الموت يصبح طريقاً سالكاً للبعد عن المعاصي ودافعاً وواقياً عنها، كما يصبح سبباً للمراتب العالية بين العباد المقربين، لعمله الصالحة وبنائه قلباً سليماً بين جوانبه إلا أنّ الاختلاف في مستوى النتيجة طبيعية بين أصحاب النظارات وذلك وفق مقدار استذكارهم للموت ومانعية الغفلة لديهم.

فإنّ أهل الدنيا وبسبب اشتغالهم بنعيم الدنيا الزائلة، قد غفلوا عن نعيم وجنان الآخرة الباقيّة، فأصبح حب الدنيا ونعيمها عازل عن العمل وفق المرحلة القادمة التي يؤكدها الموت، لذلك فإنّ ذكر الموت أكدّت عليه أدبيات أهل البيت عليه السلام لا سيما أمير المؤمنين عليه السلام فقد تكرر في محطات مختلفة قوله عليه السلام:

«من أكثر من ذكر الموت...» وعقبه بجواب شرط مختلف اشترك في المعنى «...، قلت في الدنيا رغبته» و«...، رضى من الدنيا بالكفاف» و«...، يهون أسباب الدنيا» والمعنى الإجمالي بأنّ العبد من خلال استذكاره للموت يستطيع أن يقتل الغفلة في أعماقه ويعرف حقيقة هذه الدنيا الزائفة، فلا تصبح الدنيا هدفاً له ومغناًماً وإنما قنطرة يعبرها <sup>(٢٢)</sup>.

وفي الختام نسأل المولى أن يتطلّف علينا -نحن المذنبون الغارقون- برحمته، ويخرج حب الدنيا من قلوبنا، ويحشرنا مع المتقيين الأبرار، بجهة النبي وآل بيته الأطهار عليهم السلام.

### المواهش:

(١) سورة المائدة: ٣٩.

(٢) مصباح المنهجد للطوسي، ص ٥٨٩.

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

(٤) زبدة التفاسير للملأ فتح الله الكاشاني، ج ١، ص ٤٧٣.

(٥) إرشاد الأذهان للعلامة الحلي، ج ١، ص ٢٠.

- (٦) موسوعة العقائد للريشهري، ج ٣، ص ٢٩٦.
- (٧) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٨٤٢.
- (٨) سورة النمل: ١٤.
- (٩) سورة الرعد: ١١.
- (١٠) الأمثل، ج ٧، ص ٣٥٧.
- (١١) الميزان، ج ١١، ص ٣١١.
- (١٢) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٥.
- (١٣) سورة العلق: ١٤.
- (١٤) سورة العلق: ٩ - ١٢.
- (١٥) شرح أصول الكافي، المازندراني، ج ٨، ص ٢٠٦.
- (١٦) بصائر الدرجات، الصفار، باب نادر، ص ٨١.
- (١٧) مستدرك الوسائل، النوري، ج ١٢، ص ١٦١.
- (١٨) بداية المعرف الإلهية، الخرازي، ج ٢، ص ١٥٧.
- (١٩) سورة المائدة: ٣٥.
- (٢٠) الكافي، ج ١، ٨٥/٢.
- (٢١) موسوعة أحاديث أهل البيت علیهم السلام، الشيخ هادي النجفي، ج ٤، ذكر الموت، ص ٢٣.
- (٢٢) ن. م.



## مسألة الخلود في الحياة الآخرة

# علي أحمد الكريباوادي

### أهمية المسألة

إنّ لبحث مسألة الخلود في القرآن الكريم الأثر المهم في تربية الإنسان وصياغة سلوكه سلوكاً إيجابياً هادفاً، على غرار ما يفعله الاعتقاد بأصل المعاد ويوم القيمة، فالمعتقد بالمعاد يرى نفسه مسؤولاً عن كل نفس من أنفاس حياته، ويرى لوجوده قيمة مهمة لا يحق له تضييعها؛ فلا يهدرها إلا بأمر الله تعالى وفي مرضاته، ولا يرى الموت نهاية لوجوده فلذلك لا يسعى إليه هرباً من ضغط الواقع، وأمّا المعتقد بالخلود فإنّ سلوكه سيتخذ طابعاً آخر، وسيكون احترازه أكد ونظره أبعد، فإنه يعتقد بأنّ المعاد أيضاً لا يعني

نهاية الطريق، فليس المعاد هو التعذيب المحدود أو العاقبة المقتصرة على الإحرق وإنتهاء حكاية الإنسان، بل هو خلود وبقاء.

### معنى الخلود

ذكر الراغب الأصفهاني في توضيح معنى الخلود تحت باب (خلد): الخلود هو تبرير الشيء من اعتراض الفساد وبقاوته على الحالة التي هو عليها، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود كقولهم للأثافي خوالد، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها. يقال خلد يخلد خلوداً، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ والخلد اسم للجزء الذي يبقى من الإنسان على حالته فلا يستحيل ما دام الإنسان حياً استحالة سائر أجزائه، وأصل المخلد الذي يبقى مدة طويلة ومنه قيل: رجل مخلد لمن أبطأ عنه الشيب، ودابة مخلدة هي التي تبقى ثنياتها حتى تخرج رباعيتها، ثم استعيير للمبقى دائماً. والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، ﴿وَمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَّآءُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾، قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾، قيل مبكون بحالتهم لا يعتريهم استحالة، وقيل مقرطون بخلده، والخلدة ضرب من القرطة، وإخلاف الشيء جعله مبقي والحكم عليه بكونه مبقي، وعلى هذا قوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي ركن إليها ظاناً أنه يخلد فيها<sup>(١)</sup>.

### الخلود في النصوص الشريفة

ورد بالإضافة إلى ما تقدم من الآيات آيات أخرى وأحاديث تدل على أن الخلود أمر واقعي، فكرم الله تعالى يقتضي أن لا ينقطع فيضه في آن من الآنات، فهو

الذي لا تنفد خزائنه ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، غاية الأمر أن طبيعة هذه المخلوقات المخلدة في الحياة الآخرة -أي طبيعة أعمالها ونتائجها التي طبعتها بطبع ما- تقتضي نوعاً ما من أنواع الخلود، ونحن في هذا المقام نذكر بعض ما روي في أصل مسألة الخلود في يوم القيمة، فقد ورد عن النبي الأعظم عليه وآله ألم قال: «ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء، وإنما تقلون من دار إلى دار»<sup>(٢)</sup>؛ من خلال أمثال هذه الرواية يمكننا أن نتعقل ما ورد في روایات أخرى من اعتبار الموت قنطرة يعبر منها من دار الدنيا إلى دار الآخرة، وأن حقيقة الموت لا تعني العدم والبطلان.

من ضمن الروايات الواردة في هذا الشأن أيضاً الروايات التي أطلقت على الدنيا اسم دار الغرور، وعلى الآخرة اسم دار الخلود، روي عن رسول الله عليه وآله أنه قال: «ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإناية إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور»<sup>(٣)</sup>. وهو عين ما نجده في عبارات الصحيفة السجادية لزرين العابدين عليهما السلام:

عن زيد بن علي عليهما السلام قال: سمعت أبي علي بن الحسين عليهما السلام ليلاً سبع وعشرين من شهر رمضان يقول من أول الليل إلى آخره: «اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور، والإناية إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الموت»<sup>(٤)</sup>.

### إشكال على مسألة الخلود

ذكر العلامة الطباطبائي عليهما السلام إشكالاً مقدراً حاصلاً أن بعض الآيات القرآنية تنص على أن الخلود والدوام في الحياة الآخرة مسألة حتمية أبدية، بينما تنص آيات أخرى على أن الخلود يكون مؤقتاً بوقت ما، وعند انتهاء هذا الوقت وهذه الفترة فإن كل ما زعمنا كونه خالداً فإنه يفنى ويزول ويضمحل، يقول عليهما السلام: "وقوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾<sup>(٥)</sup> نوع من التقييد يفيد تأكيد الخلود والمعنى

دائمين فيها دوام السماوات والأرض، لكن الآيات القرآنية ناصرة على أن السماوات والأرض لا تدوم دوام الأبد وهي مع ذلك ناصرة على بقاء الجنة والنار بقاء لا إلى فناء وزوال. ومن الآيات الناصرة على الأول قوله تعالى: **(مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٌ مُسْمَى)** الأحقاف: ٣، وقوله: **(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَلْيًّا السِّجْلَ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَانَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُبَعِّدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)** الأنبياء: ١٠٤، وقوله: **(وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيمِينِهِ)** الزمر: ٦٧، وقوله: **(فَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجَّا وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُثْبَتاً)**<sup>(٦)</sup> الواقعة: ٦. ومنها في النص على الثاني قوله تعالى: **(جَهَنَّمٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)** التغابن: ٩، وقوله: **(وَأَعْدَ لَهُمْ سَعِيرًا حَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَعْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)**<sup>(٧)</sup> الأحزاب: ٦٥<sup>(٨)</sup>.

وعلى ما تقدم يرى العلامة الطباطبائي رحمه الله أنه يتولد من هذه الآيات إشكالان، يرتبط أحدهما بتحديد الخلود المؤيد بعده دوام السماوات والأرض، ويرتبط الآخر بتحديد الأمر الحالد<sup>(٩)</sup>، والحال أن هنا نوعاً من التنافي المتصور بين نصي هاتين الطائفتين من الآيات الشريفة، فهل أن الإنسان إذا بعث إلى الدار الآخرة يكون مخلداً بمعنى البقاء الأبدى، أو بمعنى طول البقاء لكنه غير أبدى؟

### جواب هذا الإشكال

يجيب العلامة قائلًا: **"والذي يحسم الإشكال أنه تعالى يذكر في كلامه أن في الآخرة أرضاً وسماءات وإن كانت غير ما في الدنيا بوجه، قال تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرْزَوْا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)** إبراهيم: ٤٨، وقال حاكياً عن أهل الجنة: **(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ)** الزمر: ٧٤، وقال يع المؤمنين ويصفهم: **(أُولَئِكَ لَهُمْ عُقَبَى الدَّارِ)** الرعد: ٢٢. فللآخرة سماءات وأرض كما أن فيها جنة وناراً ولهم أهلاً، وقد وصف الله سبحانه الجميع بأنها عنده، وقال: **(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)** النحل:

## ٩٦ فحكم بأنها باقية غير فانية.

وتحديد بقاء الجنة والنار وأهلها بمدة دوام السماوات والأرض إنما هو من جهة أن السماوات والأرض مطلقاً ومن حيث إنها سماوات وأرض مؤيدة غير فانية، وإنما تفني هذه السماوات والأرض التي في هذه الدنيا على النظام المشهود، وأما السماوات التي تظل الجنة مثلاً والأرض التي تقلها وقد أشرفت بنور ربها فهي ثابتة غير زائلة فالعالم لا تخلو منها قط، وبذلك يندفع الإشكالان جميماً<sup>(١٠)</sup>.

وخلاصة ما أراده العلامة رحمه الله أن الآيات القرآنية التي تتحدث عن زوال السماوات والأرض، فهي وإن كانت تنص نصاً على ذلك إلا أنها تتحدث عن فرد من أفراد السماوات، وهو النوع الدنيوي، أي أن الفناء والزوال هو لهذه السماوات الدنيوية، وأما السماوات الأخرى فإنها سماوات خالدة لا زوال لها ولا اضمحلال، وبذلك نستكشف أن حياة أهل الآخرة هي حياة خالدة لا زوال لها ولا اضمحلال، وأن الآيات القرآنية التي ربطت مسألة الخلود ببقاء السماوات والأرض فإنها كانت تتحدث عن جميع أفراد السماوات والأرض، فما دام يوجد فرد من أفراد السماوات والأرض وهو الفرد الأخروي فإن أهل الآخرة كذلك موجودون وباقون.

## إشكال آخر على المسألة

يدرك العلامة الطباطبائي رحمه الله إشكالاً آخر مفاده أن الآية: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾<sup>(١١)</sup> وكذلك الآية اللاحقة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوذٌ﴾<sup>(١٢)</sup> قد يفهم منها عدم الخلود بمعنى الدوام الذي تقدمت الإشارة إليه، ولكنه رحمه الله يجيب على هذا الإشكال بأن الآية لا تنافي ما تقدم من معنى الخلود الدائم، فالآية إنما تشير إلى قدرة الله تعالى وأنه

على كل شيء قادر، فإن كون هؤلاء خالدين لا يعني أن خلودهم مفروض على إرادة الله وأنهم خالدون بالرغم منه لا بالرضى، بل المراد أنه سُبْخَهُ وَتَعَانَ بِمَا إِرَادَتْهُ خلدهم وجعلهم من أهل الجنة أو من أهل النار.

كذلك فإنه من المحتمل أن يكون المراد هو الإشارة إلى ما ورد في بعض الروايات الشريفة من أن الإنسان المذنب يعذب في النار مدة ما ثم إذا نالته الشفاعة نقل إلى الجنة، فهذا المعنى من النقل لا ينافي الخلود لهذا الإنسان في الحياة الآخرة، غاية الأمر أن نحو خلود هذا الشخص هو الانتقال من النار إلى الجنة وعدم فنائه أو زواله<sup>(١٣)</sup>.

### أنباء الخلود في الحياة الآخرة

من خلال ما تقدم ثبت لنا أساس مسألة الخلود؛ وأن الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا لا يفني ولا يعدم، بل ينتقل إلى حياة أخرى هي الحياة الحقيقية: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُيَ الْحَيَاةُ الْوَارِدَةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٤)</sup>، ولكن بعد تنقيح أصل مسألة الخلود والبقاء والدوم عرفنا أن هناك أكثر من نحو وكيفية للخلود، وهناك خلود أهل الجنة، وهناك خلود أهل النار، وهناك خلود لأهل الجنة في الجنة بعد أن يطهروا في النار، فيمكنك أن تعتبر هذا نوعاً خاصاً من أنواع الخلود وهو عدم زوال وبطلان الإنسان وإن احترق بنار جهنم، وبطبيعة الحال لا يعني هذا عدم إحساسه بالنار أو عدم تألمه بالعذاب، بل حتى يذوق العذاب بالنحو الأكمل والأليق بمقدار ذنبه كان عليه أن لا يموت بل أن يبقى ليذوق العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(١٥)</sup>، وكذلك يمكننا أيضاً أن نعتبر بقية أنباء الخلود في الجنة كلاً منها نوعاً مستقلاً، وإن كان الأنسب أن تجعل أنباء لنوع واحد من الخلود هو

خلود أهل الجنة، في مقابل نوع آخر من الخلود وهو خلود أهل النار.

وبطبيعة الحال فإن هذا الخلود ليس منفصلاً عن عمل الإنسان، بل هو عين الجزاء، لا أن جزاء العمل هو الجنة أو النار ثم يكون الخلود أمراً مغاييرًا، بل إن الجزاء عينه هو إما الجنة بنحو من أنحاء الخلود التي ذكرها فيها، وإما النار بنحو من أنحاء الخلود فيها، فلذلك كان لا بد من التركيز على عمل الإنسان وأن أي عمل يوصله إلى أي نحو من أنحاء الخلود، فبمثابة إرادته و اختياره وعزم يقدم على العمل ويتحمل مشقتة لينال الجزاء المرجو عنده. ورد في الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّمَا خَلُّدَ أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ لَأَنَّ نِيَاتَهُمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ خَلَدُوا فِيهَا أَنْ يَعْصُو اللَّهَ أَبْدًا، وَإِنَّمَا خَلُّدَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ لَأَنَّ نِيَاتَهُمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ بَقَوْا فِيهَا أَنْ يَطِيعُو اللَّهَ أَبْدًا، فَبِالنِّيَاتِ خَلَدُ هُؤُلَاءِ وَهُؤُلَاءِ»، ثم تلا قوله تعالى:

﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾<sup>(١٦)</sup> قال: على نيته<sup>(١٧)</sup>.

بناء على ما تقدم يمكن لنا القول بأن للخلود في الآخرة عدة أنواع:

### النوع الأول:- خلود أهل النار:

- ١- الخلود في النار أبد الآبدية، أعادنا الله منها بحق شفاعة تلك الدار.
- ٢- الخلود في النار إلى أن يظهر ثم يخلد في الجنة.

### النوع الثاني:- خلود أهل الجنة:

- ٣- رزقنا الله ذلك بحق محمد وآلـه سفن النجاة، وقد تكون له عدة أنواع كخلود النبي الأعظم عليه وآله وأئمة الطاهرين عليهم السلام، وخلود الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وخلود الصديقين، وخلود الشهداء، وخلود المقربين، وخلود الصالحين، وخلود الأبرار.
- ٤- إلى ما هنالك من عناوين تثبت نحوها من التمايز والتفاضل بين أهل الجنة، ولعل بعض هذه الأقسام تشير إلى مرتبة واحدة، أو تكون ملحقة بدرجة



من درجات أهل الجنة وإن لم تصل إلى مقدارها في الفضيلة والمذلة، فهناك مجموعة من الروايات تتحدث عن جزء بعض هذه الأصناف نرى أنها تلحق هذه الأصناف بدرجة النبي ﷺ وأئمّهم يسكنون معه وفي درجته في الجنة، ولكن مع هذا لا يعني ذلك تساويها في الفضل والدرجة الواقعية لدى الله تعالى، لذلك لا تخلو المراتب العالية من خصوصيات اختصها الله سبحانه وتعالى بها دون غيرها من الأصناف. وفي الواقع فإن هذا العنوان (أنباء الخلود في الجنة) يحتاج إلى استئناف بحث خاص لنرى من خلاله ما ورد في الآيات وفي الروايات من جزاء هؤلاء، وأن خلودهم بأي نحو من الأناء، وأن القسمة إلى هذه العناوين المتقدمة هل تصح بلحاظ الدليل القرآني، أو أن القرآن يعتبر جملة منها مشيرة إلى مرتبة واحدة لا إلى مراتب متعددة، ولا بأس أن نشير بنحو إجمالي إلى ما جاء من خصوصيات بعض هذه العناوين.

### خلود الأبرار

هناك أكثر من وصف لخلود الأبرار في القرآن الكريم، وبطبيعة الحال فإننا - وكما تقدم - لا نفرق بين أصل الجزاء لكل صنف وبين الخلود، فإنه بعد إثبات أصل مسألة الخلود في الحياة الآخرة لكل من المؤمن والكافر، يبقى البحث منصبًا على نحو الخلود؛ وهو ما نشير إليه من الخصوصيات وكيفية جزاء كل صنف من الأصناف، فمن الخصوصيات المذكورة لخلود الأبرار:

- ١ - الخلود في النعيم: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾<sup>(١٨)</sup>.
- ٢ - الشرب من كأس مزاجه مزاج الكافور: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُبُونَ مِنْ كَاسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾<sup>(١٩)</sup>.
- ٣ - أن كتابهم في العليين: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيْنَ﴾<sup>(٢٠)</sup>، ولعل لفظ الأبرار يشير إلى مقام المقربين، فالأبرار هم المقربون بقرينة الآيات اللاحقة:



﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عُلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشَهِّدُ الْمُقْرَبُونَ﴾<sup>(٢١)</sup>، وإن كان لفظ الأبرار يستعمل في مرتبة هي أدنى من مرتبة المقربين في مواضع أخرى، ولذلك قيل: (حسنات الأبرار سيئات المقربين).

### خلود المقربين

وأما خصوصيات خلود المقربين فيمكن الإشارة إلى بعضها كما ورد في الآيات الشريفة:

١ - الروح والريحان والجنة: ﴿فَامَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾<sup>(٢٢)</sup>.

٢ - الشرب من عين تسنيم: ﴿وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ﴾<sup>(٢٣)</sup>.

والحق أن هذا البحث يستحق جهداً آخر للتفصيل الدقيق بين المراتب والأصناف وبيان مواضع الاشتراك ومواضع الافتراق، فنكتفي بهذا القدر لعدم الجدوى الكثيرة في العموميات، إلى أن تتاح الفرصة للتدقيق في هذه الموضع بشكل أوسع.

### خلود أهل النار

من كل ما تقدم ثبت لنا أن هناك أكثر من نحو من أنحاء الخلود، فمن الناس من يخلد في النار وفي العذاب المقيم ولا يجأب إلا زجرًا: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ حَالَدُونَ \* تَلْفُحٌ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوْنَ \* لَمْ تَكُنْ آيَاتِي شَتَّى عَلَيْكُمْ فَكُنُّتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \* قَالُوا رَبُّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شَقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عَدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ \* قَالَ اخْسَطُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾<sup>(٢٤)</sup>، بل كلما أراد أن يتخلص من تلك الحقيقة

المظلومة المؤلمة نادى بأعلى صوته طالباً الموت فلا هو يموت ولا هو يستجاب إليه: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِي عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكُمْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾<sup>(٢٥)</sup>.

فيتبين من كل ذلك أن عالم الآخرة هو عالم البقاء لا عالم الفناء، وهي الحقيقة التي أشارت إليها الرواية المتقدمة عن النبي الأعظم عليه السلام، فلا موت ولا هلاك ولا فناء ولا بطلان، وليته كان موت للكافر ليستريح من سيئات ما اقترفته يداه، لكن هيئات هيئات: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْيَى ﴾<sup>(٢٦)</sup>، وفي بعض الآيات الأخرى ترى صورة العذاب المرعبة، فلا هو موت ولا هو حياة، ولا هو راحة من الموت، بل هو حالة تجمع بين ألم الموت وعدم الخلاص عن آلام الواقع فهو أشبه بالحياة من هذه الجهة، لكن الحياة السوداء، تقول الآية الشريفة في وصفها الدقيق لذلك: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِظٌ ﴾<sup>(٢٧)</sup>، ومعنى ذلك -أعادنا الله من نار لا ترحم من استعطفها<sup>(٢٨)</sup> - أن الإنسان يد بسبب البقاء ليزداد ألم الموت، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سُوفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلُّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾<sup>(٢٩)</sup>، فعزة الله تقتضي تعذيب العصاة وحكمته تقتضي أن يضع كل شيء في موضعه المناسب، وأن يوصل كل شيء إلى كماله المنشود، وكمال العاصي الجاهل أن يعلم أنه ليس له حول ولا قدرة ولا يقدر على شيء إلا بالله تعالى، فحينما يعذب في النار يدرك ذلك ويزداد رفعة بعد أن كان ضياعاً، ويصبح كاملاً لأن أعلى أسباب الكمال هي العلم بحقائق الأمور، وأما بدنـه فلا يتحقق له أن يحتاج على كرم الله، فضلاً عن أن يحتاج على عدله سبحانه وتعالـي، فإن كرم الله يقتضي أن يوصل هذا الجلد إلى كماله، وكمال هذا الجلد هو أن يحترق إذا ما تعرض لعوامل الإحرار، وإلا لكان أشبه

بالحديد الذي يحاول المقاومة، ولا مقاومة أمام قدرة الله، ولو كان الجلد كذلك لما كان سبباً للإحساس والشعور، وذلك نقص لا كمال، فكماله هو أن يكون ليّناً رقيقاً حساساً قابلاً للاشتعال والاحتراق والتآلم بنار جهنم.

### ما معنى الفناء والهلاك؟

قد يطرح تساؤل أو إشكال على مسألة الخلود في الحياة الآخرة، وأن الكافر لا يخلد، فالخلود هو نوع تكريم، ولا معنى لتكرير غير المؤمنين، ويدل على ذلك أنه قد وردت آيات من القرآن تدل على الفناء والهلاك، وهو معنى البطلان والزوال، وبعبارة أخرى هو معنى عدم الخلود في الآخرة لغير المؤمنين، فما هو الجواب على ذلك؟

الجواب على ذلك هو أنه يمكن التفريق بين معنى الفناء والهلاك من جهة، وبين معنى العدم والبطلان من جهة أخرى، فإن الفناء والهلاك لا يعنيان البطلان وعدم الوجود، وهذا ما يدل عليه المعنى اللغوي والاستعمالات العرفية، أما في المعنى اللغوي فإن الفناء هو نقىض البقاء، والفعل فني يفني فناء فهو فان<sup>(٣٠)</sup>. ويقال للشيخ الكبير: فان، والقافية: المسنة من الإبل وغيرها<sup>(٣١)</sup>، فإن بعضهم استظهر من هذه المعاني اللغوية أن الفناء لا يعني العدم، بل هو منسجم مع الاستعمالات العرفية التي تشير إلى نحو من البقاء لدى الفاني، فإنك تقول: فلان فان في الله، فليس المراد أن فلانا قد مات<sup>(٣٢)</sup> أو زال وانتهى، بل هو موجود بـنحو من الوجود، وهو أن يكون مندكاً في الله ولا يرى لوجوده وجوداً بـعزل عن الله تعالى.

ولكن ومع هذا فقد يقال أن في هذا نحو من التكلف، وتطويع للمعنى اللغوي، ولا نمانع من هذه المناقشة.

وأما لفظة الهلاك فهي كذلك لا تشير إلى العدم، بل تشير إلى نحو من البقاء،

فنحن نقول في استعمالاتنا العرفية: (يجوز للصائم ابتلاع الدم المستهلك في الريق)، (البول المستهلك في الماء الكثير لا ينجسه) وهكذا، ولا تعني هذه الاستعمالات أن الدم والبول غير موجودين فعلاً، بل هما موجودان، ولكن مع أن الدم موجود في الفم إلا أنه لا يضر ابتلاعه، لماذا؟ لأنه غير متميز، لأنه مستهلك، فالهلاك لا يعني العدم، بل يعني الانتشار وعدم التميز، وكذلك البول فهو لم يخرج من الحوض ذي الماء الكثير مهما قلنا أنه هالك أو مستهلك، فهو لا زال في الحوض ولم يخرج منه، فهو غير معده في الحوض، ولكنه منتشر بنحو يزول أثره ولا تتضح جهته، ولذلك فإن المعنى اللغوي للهلاك هو الموت، قال ابن منظور: هلك يهلك هلكاً وهلكاً وهلاكاً: أي مات<sup>(٣٣)</sup>. والموت لا يعني البطلان بل هو انتقال من دار إلى دار. ومع هذا يمكن أن يناقش معنى الهلاك والاستهلاك في اللغة، ولا مانع من ذلك.

حينها نأتي إلى الآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن، فإنه قد ورد في الآيات الشريفة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(٣٤)</sup>، قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام﴾<sup>(٣٥)</sup>.

وهذه الآيات الشريفة لا تنافي مسألة الخلود، وذلك لأحد تصويرين:

**التصوير الأول:** هو أن نتمسك بما تقدم من الاستعمالات اللغوية التي تفرق بين معنى البطلان وعدم، وبين معنى الفناء والهلاك، فإن الفناء في الله هو عين البقاء، وليس هو العدم والبطلان.

**التصوير الثاني:** هو أن لا نقبل بما تقدم، ونتمسك بكون الفناء والهلاك يعني العدم والزوال، لكن أقصى ما يثبته هذا المعنى باللحظة جميع ما ورد من الآيات والروايات في شأن المعاد والحياة الآخرة، وبلحظة هذه الآيات الخاصة المذكورة في المقام، أقصى ما يثبته هو أن كل شيء يعد من هذه الحياة الدنيا، ولا يبقى

شيء اسمه دنيا فهي تزول وتعدم، وهذا لا يعني أنه لا توجد أخرى، فهناك حياة أخرى بالقطع والضرورة الدينية وحكم العقل، بل حتى لو قلنا ببطلان وانعدام كل الأشياء في الحياة الآخرة، فالانعدام والبطلان قد يعني البطلان لهذه الذوات بما هي ذوات مستقلة لها شأن وقرر خاص، وهذا لا ينافي أن تبقى بنحو الاندراك والرجوع إلى الله تعالى، ولا تنافي أن تبقى بنحو يهيمن عليها نور الله ووجه الله، فلا تبقى في قبال وجه الله، بل البقاء لله ولوجهه سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ.

إذن فكل المخلوقات وال موجودات تفنى في الله و تستهلك في الله ولا يبقى لها يوم القيمة وجود في قبال وجه الله سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، ولا يبقى إلا وجه الله، ووجه الله يشير إلى ذات الله، نعم كل المخلوقات هي وجوه الله، لأنها تعكس نحوً من قدرة الله وعلم الله وكرم الله سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، ولكن مع هذا فإن كل هذه المخلوقات وبحسب التعبير القرآنية تفنى وتهلك ولا يبقى إلا وجه الله، وهو وجه النام الذي لا تعتبريه شائبة نقص، فهو من كل جهاته وجه الله ومظهر الله سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، وهو المستجار به في الأدعية الشريفة: «أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء»، والسر في كونه وجهاً تاماً لله هو أنه لم يكن يرى لوجوده أية حقيقة في قبال الله تعالى، وإنما ينفصل عن الله من يتصور القدرة والعلم والذات المستقلة، أما الذي يعتقد بأنه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾<sup>(٣٦)</sup> فهو لا يرى لوجوده إلا الفقر والارتباط والتعلق الحض بالله، كما أن الفقير لا يرى لوجوده وجوداً مستقلاً، فلا تراه إلا على عتبات الأغانياء، ولذلك فأينما وجدت الغني قلت أن الفقير هنا، وأينما وجدت الفقير علمت أن الغني موجود، وأينما وجدت الصغير الذي لا استقلال له عن أبيه علمت أن الأب موجود، نقرأ في الرواية الشريفة عن الحسن الصيق قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «مررت بامرأة بذية برسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يأكل وهو جالس على الحضيض فقالت: يا محمد إنك لتأكل أكل العبد وتحلس جلوسه،

قال لها رسول الله ﷺ: إني عبد، وأي عبد أعبد مني، فقالت: فناولي لقمة من طعامك فناوتها فقالت: لا والله إلا الذي في فيك، فأخرج رسول الله ﷺ اللقمة من فيه فناوتها فأكلتها، قال أبو عبد الله عطية: فما أصابها بذاء حتى فارقت الدنيا<sup>(٣٧)</sup>.

ولكن بمجرد أن يرى الإنسان أن له شأنًا يعنيه فلا سبيل له إلا الزوال والاضحلال، وبمجرد أن يتقمص قميص الكبرياء فإنه يقع في وادي الها لاك والزوال، ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ: «يقول الله جل وعلا: الكبرياء ردائي والعظمة إزارني، فمن نازعني واحداً منها أقيته في النار»<sup>(٣٨)</sup>.

إذن فالمحصلة والخلاصة أن جميع الناس هالكون فانون زائلون، بالنحو الذي ينسجم مع الآيات الشريفة المصرحة بالخلود لا سيما في حق أهل النار: «وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ»<sup>(٣٩)</sup>، وهناك أناس لأنهم لم يكونوا يرون لأنفسهم إلا أنهم مظاهر لعلم الله وحلم الله وعظمة الله وجلال الله، ولم يكونوا منفصلين عن الله تعالى، وبعبارة الأدعية الشريفة: «لا فرق بينك وبينها، إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها يديك، بدؤها منك وعودها إليك»<sup>(٤٠)</sup> فإنهم قد كانوا منذ أول الأمر فانيين وهالكيين في الله، ولا يرون لأنفسهم إلا العبودية المضطلة لله، فلذلك أيما تشير إليهم فإنك لا تشير إلا إلى الله، وعدم الفرق بينهم وبين الله من هذه الناحية أي أن لا ذات لهم في قبال ذات الله، لا أن الله لا ذات له وراء ذواتهم، بل خلقهم وفتقهم ورتقهم وإيجادهم وإحياؤهم وإماتتهم كلها بيد الله، وهم العبيد المخلصين إلى الله سُلْطَانُهُ تَعَالَى.

فتحصل أن الخلود خلودان، خلود يعني الفناء والهلاك والاندراك والرجوع إلى ساحة الله، وله أنواعه المتعددة المشار إليها سابقاً، وخلود آخر هو بمعنى البقاء ببقاء الله الذي يكون في أولئك الفنانين في الله قبل يوم القيمة. والله تعالى العالم بحقائق الأمور، والحمد لله رب العالمين.

## المواهش:

- (١) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ١٥٤.
- (٢) الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق، ص ٤٧.
- (٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٥٢.
- (٤) الصحيفة السجادية (أبطحي)، الإمام زين العابدين عاشلية، ص ٢٧٧.
- (٥) هود: ١٠٧.
- (٦) الواقعة: ٤ - ٦.
- (٧) الأحزاب: ٦٤ - ٦٥.
- (٨) الميزان في تفسير القرآن، ج ١١، العلامة الطباطبائي، ص ٢٣.
- (٩) ن. م، ص ٢٣ - ٢٤.
- (١٠) ن. م، ص ٢٤.
- (١١) هود: ١٠٧.
- (١٢) هود: ١٠٨.
- (١٣) راجع هذا المعنى في (الميزان في تفسير القرآن) ج ١١، ص ٢٨ - ٢٩.
- (١٤) العنكبوت: ٦٤.
- (١٥) النساء: ٥٦.
- (١٦) الإسراء: ٨٤.
- (١٧) ميزان الحكمة، ج ١، الريشهري، ص ٤٧٥ - ٤٧٦.
- (١٨) الانفطار: ١٣.
- (١٩) الإنسان: ٥.
- (٢٠) المطففين: ١٨.
- (٢١) المطففين: ١٩ - ٢١.
- (٢٢) الواقعة: ٨٨ - ٨٩.
- (٢٣) المطففين: ٢٧ - ٢٨.

(٢٤) المؤمنون: ١٠٣ - ١٠٨.

(٢٥) الزخرف: ٧٧ - ٧٨.

(٢٦) طه: ٧٤.

(٢٧) إبراهيم: ١٧.

(٢٨) ورد في الصحيفة السجادية في دعاء الإمام السجاد عليه السلام في صلاة الليل: «اللهم إني أعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك، وتوعدت بها من صدف عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة، وهيئها أليم، وبعيدها قريب، ومن نار يأكل بعضها بعض، ويصلو بعضها على بعض، ومن نار تذر العظام رميا، وتستقي أهلها حبما، ومن نار لا تبقى على من تضرع إليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عن خشع لها واستسلم إليها، تلقى سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال، وأعوذ بك من عقاريها الفاغرة أفواهها، وحياتها الصالقة بأنابتها، وشرابها الذي يقطع أمعاء وأفشاء سكانها، وينزع قلوبهم وأستهلك لما باعد منها، وأخر عنها».

(٢٩) النساء: ٥٦.

(٣٠) كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج ٨، ص ٣٧٦.

(٣١) لسان العرب، ج ١٥، ابن منظور، ص ١٦٥.

(٣٢) العبارة هذه لتقريب الصورة للأئمّة بها لدى العرف، وإلا فإن الموت لا يعني البطلان، بل هو حياة أخرى.

(٣٣) لسان العرب، ج ١٠، ابن منظور، ص ٥٠٣.

(٣٤) القصص: ٨٨.

(٣٥) الرحمن: ٢٦ - ٢٧.

(٣٦) الأنفال: ١٧.

(٣٧) الكافي، ج ٦، الشيخ الكليني، ص ٢٧١، ح ٢.

(٣٨) ميزان الحكمة، ج ٣، الريشهري، ص ٢٦٥٢.

(٣٩) إبراهيم: ١٧.

(٤٠) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص ٨٠٤، أول يوم من رجب.



# نصرة الفرج

بلسان العارف بالله زاهدي فَلَيْسَ

رائد عبدالكريم الخنزيري

## مقدمة

إن من خصائص أولياء الله المقربين إليه أن يكون كلامهم حلقة الوصل إلى الله، وتبیان الطريق إليه، ورفع الحجب والموانع عنه تعالى، فتكون نتيجته التأثير الذي يتراك وقעה وصداه على النفس، وينقل الإنسان من عالم المادة والنشأة الطينية إلى عالم الملائكة والنورانية مع شرط العمل. وإن إفاضات أولياء الله وبركات علومهم وآثارهم باقية في القلوب؛ لذلك يكون كلامهم سريع التأثير، قوي المعنى؛ لأنه يتعرض لما تحتاجه الضمائر والنفوس من إكسير لأدوائها المخفية وأمراضها المستعصية. وكما قيل: (ما

خرج من القلب وقع في القلب).

فهم أهل العلم الحقيقي الذي لا تصل أيدينا نحن الغافلين المقصرين إليه.

ونقدم في هذه الوريقات مقتطفات من محاضرات إحدى الشخصيات عالية المقام، الوائلة بعد الترويض، وهي شخصية العارف الكامل آية الله الشيخ محمد تقى زاهدى القمى قىتۇرۇش<sup>(١)</sup>. هذا الرجل الذى أتعب نفسه في ترويضها وأوصلها لكتمالاتها؛ فكان مثالاً للعبد الزاهد الورع التقى العالم بتصاريف النفس ومازها، الذى أحکم مراهمه، وتقن من نفوس مریديه فغرس في قلوبهم أشجار محبة الله والفناء فيه وفي أهل كرامته وحال تَنَزُّل رحمته؛ آل بيت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لقد كانت مواعذه وكلماته تشتعل كالجمر في القلوب عندما كان يخرجها من قلبه الذي تعصره الآلام على تقصير وضياع هذا الإنسان الغافل بعيد عن ربه وإمامه المنتظر أرواحنا فداء، وكم كان يردد في آخر حياته: إن غرضي الوحيد صقل نفوسكم بمعرفة الله لتكونوا ربانيين إلهيين.

لذا أحبت أن تُخرج ولو بعض كلماته المكذبة في الأشرطة والأقراص إلى النور؛ فتصل للقلوب المريضة فتداويها؛ وللأرواح العطشى فترويها، إضافة إلى رغبة البعض في الاستفادة منها.

وكل ما قمت به في سبيل إخراجها هو تفريغها من الأشرطة الصوتية والرئية وترجمتها، ثم بيَّنت بعض مضمونها، واقتطفت منها وعنونتها، مع بعض التصرُّف في العبارة بما يناسب المعنى المراد منها، راجياً من الله أن يجعلني من يعرف قدر نفسه فيسعى لإصلاحها، وأن يهدينا جميعاً لطريقه المستقيم وأن يوفقنا لإيصال العلم لأهله.

وهذه مقتطفات من بعض محاضراته القيمة جمعت تحت عنوان الإمام

الغائب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآلام غيبته وغربته وقصورنا تجاهه إِلَيْكُمُوا هَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فِي ذَاهِلَةٍ بَلَسَانِ الدَّارِفِ  
بِالْمُؤْمِنِينَ بِالْمُؤْمِنَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم، يوجد لدينا حديث يقول: "قل للإمام صاحب الزمان أنا جئت إليك"، ويوجد حديث أن تدعوا بعد صلاة الصبح للإمام بأني جئت إليك! توجد زيارتان تقول الأولى: قل في كل يوم عشر مرات للإمام صاحب الزمان جئت مستعداً لنصرتك! والأخرى تقول مرة واحدة بعد صلاة الصبح للإمام صاحب الزمان جئت لنصرتك! ليس أن تزوره في يوم واليوم الآخر لا تزوره فيه، أن تقول للإمام صاحب الزمان: فكري مشغول بك! بل قل أنت كل ذكري! أنت قد ملكت خيالي! فليس في قلبي (من المخلوقين) غيرك! وجميع حواسي متوجهةٌ إليك، يا صاحب الزمان حواسي ليست شاردة في مكان آخر! لست عاشقاً لشيء آخر، وروحي ليست في مكان آخر! حواسي منصبة عليك! روحني متوجهةٌ إليك! خيالي وذكري ووردي كلهم أنت.

### أنت معلمونا في الدعاء

يا صاحب الزمان أنت الذي علمتنا أن نزور في كل يوم بهذا الكلام قربة إلى الله (اللَّهُمَّ بَلَغْ) أي إلهي أوصل، بلغ بمعنى أوصل، ولكن أوصل ماذا؟ إلى من أقول؟ إلى (مَوْلَايَ صَاحِبَ الرَّمَانِ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أوصله صلوات الله عليه ورحمة الله عليه ونurة الله إليه! (عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) أي ليسعني فقط! بل عن جميع مؤمني الكورة الأرضية! أوصل صلواتهم! (في مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا) مشارق جمع مشرق وغارب جمع مغرب، والشمس تشرق من مكان وتغرب في مكان، وكل المؤمنين في مشارق الأرض وغاربها يوصلون صلوات الله ورحمة الله إليه (وَبِرَّهَا وَبَحْرِهَا)! أي إن هذه المشارق والمغارب سواء - كانت في أطراف البراري أو في أطراف البحار هم يصلون صلوات الله إليه (وَسَهَلِهَا وَجَلِهَا) - أي تشمل - الناس الذين يسكنون السهول والجبال (جَيْهِمْ وَمَيْهِمْ) أي الصلوات والرحمة من الموتى والأحياء، فهم يقولون في الرجعة الكلية سنأتي ونرجع

وننصرك! فحيهم وميتهم يوصلون الصلوات عليه والرحمة، والصلوات ماذا يقصد بها؟ أن دمي وروحي وبدني كلهم فداك يا صاحب الزمان! كلهم أنصارك يا صاحب الزمان! (وَعَنْ وَالِدِي) يعني عن أمي وأبي وأهلي؛ يقصد روحي ودمي وجودي وبجميع أهلي أفاديك (وَوَلَدِي) أي أنَّ روح أبنائي ودماءهم فداك (وعَنِي) أي كل شيء من طرف فداك! (مِنَ الصلوٰتِ وَالتحٰياتِ) فدمي وروحي وشبابي وكل أعزائي وجودي وكل شيء تطاله يدي هم ناصروك! (زِنَة عَرْشِ اللَّهِ) بقدر ثقل عرش الله رحمةً وصلوات على سيدي ومولاي (وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ) أي بقدر مداد كلمات الله (وَمَتَهُ رِضاهُ وَعَدَهُ مَا أَخْصَاهُ كِتابَهُ) كل هذا الدعاء والثناء هو لأجل الإمام ونصرة الله للإمام (وَأَحاطَ بِهِ عِلْمُهُ) أي بقدر إحاطة الله وبقدر علمه رحمة على الإمام، وينزلها الله بعد هذا التشريف والتحيات (اللَّهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ عَهْدًا وَعَدْدًا وَبَيْعَةً) ومعناه إن نفسي بعثها للإمام! فليس لي وجود دونه! أنا عبد للإمام بالعهد والعقد والبيعة، ليس لدى اختيار في قبال أمر الإمام! - هذا الدعاء في كل يوم كرره عشر مرات أو مرة واحدة، والعهد والعقد والبيعة تعني أن نفسي بعثها بلا اختيار مني، فأنا ناصر الإمام، أنا فداء الإمام (في رَبَّقِي) وهذا العهد في رقبتي!

(اللَّهُمَّ كَمَا شَرَّقْتَنِي بِهَذَا التَّشْرِيفِ) إلهي كيف شرفتني بهذا المقام العالي الشريف؟! إلهي كيف أعزرتني بهذه العزة، كيف وفقتني بهذا التوفيق؟! كيف هديتني بهذه الهدایة! فحتى روحي وشبابي وجودي أقدمها فداء للإمام! (وَفَضَّلْتُنِي بِهَذِهِ الْفَضْيَلَةِ) ما هي هذه الفضيلة التي منحتني إياها؟! (وَخَصَّصْتَنِي بِهَذِهِ النُّعْمَةِ حتى أفادي الإمام بروحه، أفاديه بشبابي؛ فيكون تفكيري في الإمام فقط! (فَصَلَّى عَلَى مَوْلَايَ وَسَيِّدِي صَاحِبِ الزَّمَانِ) وصل على مولاي ... يعني اللهم

فانصر حجتك!!

(وَاجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَأشْيَاعِهِ وَالذَّائِبِينَ عَنْهُ) ومساعديه وناصريه ومتبعيه والحامين عنه (وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدِيهِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرِهٍ) واجعلني من المستشهدين بين يديه، وادفع عنه الأعداء، حتى لو أصابتني السهام، وهذه هي السعادة بالسوق والرغبة وبدون إكراه أنصره! وهذا الذي أتناه... طائعاً غير مكره أي بدون أن أكون مكرهاً! بدون أن أغمض عيني! أو أصم أذني، ولا أن أخرس لسانني عنك! - بل - كل شيء فداك! (فِي الصُّفَّ الَّذِي نَعْتَ أَهْلَهُ فِي كِتَابِكَ فَقُلْتَ: ﴿صَفَا كَانُهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾) أي صفة شديدة الإحکام لنصرة الإمام! (عَلَى طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لا أن أطیع هوی نفسي (اللَّهُمَّ هَذِهِ يَعْثَةٌ لَهُ فِي عَنْقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) هكذا يقول الله: يجب أن تكونوا على هذه الطريقة! هكذا تكونون مهتدین! فهل أخرجت هذا الكلام من جيبي وقلته؟؟! الله حکى هذا الدعاء بعد صلاة الصبح ويأتي بعد دعاء الندبة، يجب أن نقرأ هذا الدعاء كل يوم، دعاء الندبة يقرأ في يوم الجمعة لكن الدعاء السابق يجب أن تقرأه في كل يوم، إما مرة! أو عشر مرات!

### وظيفة النساء الحث على النصرة

[إن الواجب على] المرأة التي لا تشارك في الجبهة أن تقول لأبيها ولإخواتها ولأعمامها ولأخوها اذهبوا وانصروا الإمام، المرأة لا تذهب إلى الجبهة، ولكنها تقول لأبيها اذهب لنصرة الإمام، لإخواتها تقول اذهبوا، لأبنائها أيضاً تقول اذهبوا، لخالها تقول اذهب. لا تتفوه هي بغير هذا الكلام، وأول كلمة تقولينها اذهب لنصرة الإمام، قولي لزوجك اذهب! فلتتحث النساء الرجال بالذهاب! وسيصبحون من السعداء إن شاء الله، انطلقوا لتحرزوا خير العواقب! تفكّر في الله تُصبح أفضل الناس.

كم انتظر الإمام؟ أكثر من ألف ومائة عام، الإمام ينتظر وأنت لا تشجعين

أباك وتقولين له اذهب وانصر الإمام؟! أنت لا تنطليين إلى ابنك وتأمرنيه أن اذهب لنصرة الإمام، لا تذهبين إلى عمك وترشدينه أن اذهب لنصرة الإمام؟!  
ليس لديك تحرك أصلاً! ولن يبقَ هذا الكلام في ذهنك طول عمرك، ما مرَّ ولن يمرَ على بالك إلى آخر عمرك، وإذا تفوحت به فإنك لا تقولينه من باب النقد، بل من باب النسيئة والظهور، وخيالاتك، وأفكارُك منصرفَة إلى شيء آخر من الدنيا.

### هم مشغولون عنك يا صاحب الزمان

يا صاحب الزمان أنت تعلم كل قلب بماذا هو مشغول، بأي فكر هو وبأي خيال، يا إلهي يا خالق الإنسان إنك تعلم بماذا يفكرون، إمامهم غائب ألف سنة، يطلب الناصر! وهم في ماذا يفكرون وماذا يتخيلون وماذا يعملون! إلهي أخاف أن تأتي ألف سنة غيرها وهم هكذا باقين، بل إلهي أخاف أن تأتي ألفي سنة وهم لا يزالون هكذا!

حتى الآن الإمام غائب وهم يفكرون في ذواتهم فقط! لا يفكرون في الإمام، في خليفتهم، لا يفكرون في حجة الله النساء والرجال، أهل المدن وأهل القرى! كلهم مثل بعضهم! الرجل من أول عمره إلى آخره لا يتحدث حتى مرة واحدةً عن نصرة الإمام! فكيف يكرره -أي دعاء العهد- في كل يوم عشر مرات. إذا دعوا فإن دعاءهم باللسان فقط، كل شيء موجودٌ في تفكيرهم ما عدا الإمام، وما عدا الله تعالى، تستطيع بصورة جيدة أن تتحدث وتجلس وتأخذ أربع ساعات في أحاديثك! ولكن هل بإمكانك أن تقول كلمة عن الإمام أو عن الله أو كلمة عن القرآن أو عن المعاد؟!

## ابذل كلَّ ما تملك لترى النتيجة

صلواتٌ على أصحاب الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَّ، يا صاحب الزمان أيها الوحيد في هذه الدنيا! صلٌّ على الإمام الحسين وعلى أصحابه.

يقول العلامة الحلي: إنه عندما عزم على رؤية الإمام صاحب الزمان عليه آلاف الصلاة والسلام، عقد العزم على أن يذهب إلى مسجد السهلة لذلك الغرض. وفي الطريق إلى مسجد السهلة قرأ زيارة الإمام صاحب الزمان، وبعد ذلك ذهب به الفكر في حديث شريف، فأخذ يتعمق فيه، وهو سائر في الطريق مشغولٌ ويفكر.

وبينما هو كذلك إذ جاءه الإمام فجأة وهو راكب، سُلِّمَ عليه وقال له: فيم تفكِّر؟ فقال أنا أفكِّر في حديث... فقال الإمام أي حديث تقصد؟ قال في الحديث الذي يقول إن قطرة دمع على الإمام الحسين تغفر كل الذنوب، فكيف حصل له هذا الشواب العظيم؟! فأجابه الإمام قائلاً: لا تتتعجب من ثواب الدمعة على الإمام الحسين!

ثم حكى الإمام صاحب الزمان للحلي أن سلطاناً ذهب إلى صحراء، فرأى خيمة لأمرأة عجوز ليس عندها إلا شاة واحدة، فطبخت العجوز ذلك الخروف ووضعته أمام السلطان، وبعد ذلك عاد السلطان وانشغل في أحد حروبه، وعندما رجع بعدها إلى وزرائه أخبرهم بها فقال لهم: هذه المرأة العجوز قد أكرمتني... فكيف أكافئها؟ فقال بعض الوزراء: أعطها مائة خروف، وبالبعض زاد فقال: مائة خروف ومائة أشرف<sup>(٢)</sup>. فرد السلطان قائلاً: إنها أعطتني كل ما تملك! أعطتني كل شيء لديها، فإكرامها لي يساوي ملكي كلَّه!

ثم قال الإمام صاحب الأمر عَلَيْهِ الْكَلَّ: وكذلك الإمام الحسين كل وجوده قد أعطاه الله. فبرهن الإمام له بهذه القصة أن ثواب هذه قطرة بهذه العظمة.

- يبكي الشيخ زاهدي ومن ثم يواصل - الإمام الحسين لم يبق عنده شيء يا أيها العلامة الحلي!... لذلك بقطرة دمع واحدة على الإمام الحسين تغفر كل الذنوب، فكل شيء عند الإمام الحسين قد وهبه لله، فتحن كذلك كل شيء لدينا ينبغي أن نفديه للإمام صاحب الزمان.

- لحظة بكاء للشيخ - ثم قال: لأجل الإمام نبعد الجهل والشيطنة عن أنفسنا! حتى يتحقق الفرج، كل شيء غلكه نفديه للإمام، كل شيء عندنا نهبه لله، ثم ننظر ماذا سيفعل الله بنا! هذا هو المطلب المهم، والأهم أن نصيّب نوراً، ولا نلتفت إلى أحد من غير المبالين... [عندما] فإن الإمام سيأخذ بأيديينا!

### أصلح نفسك تصل له

كان هناك شخصان يمشيان إلى جمكران، وفي الطريق رأى أحدهم مزرعة أمامه، فدخل إلى المزرعة ليرى هل أكتمل نو القمح أم لا، فقال متعجبًا: ما لهذا القمح لم يصل إلى نوته المطلوب!!! أنت ما صلتاك بهذا الموضوع (بقمح الناس)!!! وصل إلى نوته التام أم لم يصل! أنت عليك أن توصل نفسك هذه هي وظيفتك!! التقى الشخص الآخر مع الإمام صاحب الزمان وتكلّم معه، فقال الشخص الذي تشرف برؤيه الإمام: أمهلني لحظة حتى أخبر صديقي حتى يأتي.

قال له الإمام: صديقك لا يراني. ولا يسمع صوتي. فقال الرجل للإمام: هل صديقي رجل غير صالح؟ قال الإمام: لا، هو رجل صالح!... ولكن ليس مراقباً لأنّه!! لذلك قال له الإمام: لا يراني ولا يسمع صوتي!!!

أهذا الكلام كذب؟! لا تدخل في ما لا يعنيك كلام مصطنع؟! يُوجَّه لي ولكلم العياذ بالله أن يعتقد أحد في قلبه - أن هذا الكلام هو كذب وهراء!!! إنَّ نظر الإمام ليس مثل نظرنا نحن!!

إذا وضع لك شخص ملعقة من السكر في الشاي ودَسَّ فيه ذرتين من ملح

أيضاً! فلن تعلم أنت بأنه قد دُسَّ ملحٌ في الشاي أبداً!! ولكن الإمام صاحب الزمان عليه السلام يعلم بأنه قد وضع ذرتين من الملح!!! هكذا بهذا القدر قد أعطى الله الإمام نظراً دقيقاً!

لا تقل دع عنك هذا الكلام!!! لا يوجد في مبادئ الله كلمة اتركه!!! فحتى لو وضعت خمس ذرات من الملح فيه سوف لن تحس ذاتقتك بهذا الملح!!! وهذا الكلام مثالٌ لكي تقيس على وفقه كل الأمور!!! حتى خيالك ونيتك وكل هذه الأمور فإن الله مطلع عليها!!! وكذلك الإمام يعلمها!! ولكنك تقول هذا ليس مهمماً، اترك هذا الكلام عنك فإنه ليس مهمماً!! وعندما سوف يصير قلبك خراباً!! لذلك ادع الآن: ربنا لا تزغ قلوبنا!! ولا تجعل حالي ينحدر متسافلاً! أنت تعتقد أنه عديم الجدوى ولكنك عند الله عظيم وله قيمته.

### نتيجة اللامبالاة بالذنوب الصغيرة

كم مرة ذكرت لكم قصة علي بن يقطين، كان علي بن يقطين رجلاً مؤمناً! وقد كان يعمل وزيراً هارون الرشيد، ويستعمل التقية، فقال الإمام علي بن يقطين: لقد قطعت وعداً على نفسك بمساعدة الشيعة ولكنك لم تف بالوعد مع هذا الشخص، (ونحن أيضاً نقطع وعوداً على أنفسنا بمساعدة الآخرين ولكن لا نفي بها)! بل نختلف مع بعضنا البعض! تقول أنا سوف أساعدكم وألبي طلباتكم ولكن بدون جدوى، فلا يمكن الاعتماد على قوله! وإذا قال له فِ بوعدك الذي وعدتني إياه تراه يبتسم خجلاً، فحينها إيانك سيتراجع ويتسائل، وستصبح من التاركين للصلة أيضاً!! ستصبح من المانعين للزكاة!)

لابد أن ترَكْز! علي بن يقطين سافر إلى منزل الشخص الذي وعده ولم يف له لتدارك خطأه، فطرق عليه الباب، فقال الشخص من بالباب؟ قال: علي بن يقطين. فقال مستغرباً: الوزيرُ بن يقطين ببابِي... ماذا يريد؟؟! ماذا عساه يفعل

بي؟! قال علي بن يقطين: أنا لم أُفِ بوعدي! قد نسيت! وجئت لكي أطلب العفو والسامح منك! فقال له: يغفر الله لكم. قال علي بن يقطين: سأضع رأسي على الأرض وضع أنت نعليك على خدي برجلك! واسحق برجلك على خدي! حتى أحاط في الالتزام بوعدي! وأراقب نفسي! فقال الرجل لعلي بن يقطين: أنت رجل محترم، رجل عظيم، فكيف أطأ أنا بعنالي على خدك! فقال ابن يقطين: أنا غفلت ولا بد أن لا أغفل [مرة أخرى]!

نحن نَعْدُ وعوْدًا ونتراءِع عنْهَا! وعندَها ستفسد كلَّ أعمالنا! لا تَعْطِ وعداً لأحد! لا تَعْطِ أَمْلاً لأحد! ثُمَّ تضرب وعْدَك بالجدار وتبتسم أَيْضًا! على الأقل قل له تراجعت عن وعدي! قل له لا يمكنني الوفاء! إلى هذا الحد عدم الوفاء بالوعود ليس له أدنى قيمة في المجتمع.

وتقول عندها لماذا حالي تراجع وتسافل! تقول هل أنا قمت بالزناء؟! هل أنا سرقت؟! هل تسلقت جدار أحد؟! هل تعلم أن هذه أذية للناس؟! نعم إنها أذية للناس وهي سيئة جداً لا تعد إلى ذلك! الآن أنت أدركت هذا الأمر ولا تعيد حساباتك؟! هذا أنت أنت! في الحياة ومع الأهل والأقارب، ولكنك لا تعطي أدنى أهمية لهذا الأمر أبداً!

حتى إذا أتي الشخص إلى البيت أصابه الهيجان الشهوي!!! هكذا قال الإمام<sup>(٣)</sup>!! هكذا قال الله! فأنت تستنكر على نفسك أنك لم تزن ولكنك تجلس في مكان جلست فيه المرأة الأجنبية، لا تعطي لهذا الأمر أهمية! إذا جلست المرأة وقامت من مكانها لا تجلس مكان جلوسها مباشرة! إذا رأيت امرأة أنت لتسأل سؤالاً ثم قامت لا تأتي أنت وتجلس في مكان جلوسها مباشرة.

لماذا؟؟ لأن حرارة المرأة ستنتقل إليك وستتأثر روحك وستصاب بالشهوة والهيجان! أيها المحترم، نحن لسنا صائنين لأنفسنا! وبعد ذلك تقول هل أنا زنيت؟

هل أنا سرقت؟ ولكنني لن أقول بعد ذلك شيئاً فيه الكلمة زنا أو سرقة.

### ترك الدعاء للإمام أساس البلايا

أيها المحترم... يا عزيزي... يا عباد الله: هذا الشيء مهم جداً!! بأي درجة أقول فهو مهم جداً وأكثر من ذلك! وهي قضية الدعاء للإمام صاحب الزمان والطلب من الله تعجيل ظهوره!!

هل أتى على بالك أن كل هذه البلايا بسبب عدم دعوتك بتعجيل الفرج!!!  
توجد أسباب أخرى لمصابيك وبلاءاتك وأقل هذه الأسباب عدم دعائك للإمام،  
وإذا دعوت للفرج فإنك تدعوا بظاهر اللسان، إن من أهم الأدعية الدعاء للإمام  
صاحب الزمان في كل صباح!! (دعاء العهد الذي يأتى بعد دعا الندبة الذي شرح  
كما تقدم) عليك أن تدعوه به في طوال السنة، في كل الشهور، بل في كل يوم.  
وهناك أدعية لتعجيل الفرج في طوال ساعات النهار ينبغي التوجّه بالدعاء فيها  
بتتعجيل الفرج ولكنك لا تدعوه!!!

ودعاء الندبة مختص بصبح الجمعة من كل أسبوع!! هذا الدعاء مهم جداً  
 جداً، وأنثره ناري لقضاء الحوائج، ولا بد أن تدعوه به في حالة البكاء والعويل  
والتحبيب!! تقول دعوت به ولكنك دعوت بالدعاء بدون البكاء والعويل والتحبيب  
والتأوه، أنت لديك بلاء وأنا لدى بلاء بنحو آخر!! ولكن عليك أن لا تجعل دعاء  
الإمام خلف ظهرك، حتى أنك لا تقرأ الدعاء، أنت فقط تتحدث!! متى سكتت  
دموعة؟!! هل نزلت دمعة منك على غيبة الإمام؟ هل تألمت لغيبته إلى هذا الحد؟  
ولكن لو تأخر ابنك عن المدرسة!! أو تأخر عاملك عن موعد المجيء! سوف  
تسأل عن حسن لماذا لم يأت!! تسأل صديقه ألم يكن حسن في المدرسة! نعم كان  
في المدرسة وقد خرجنا معاً من المدرسة!! وعندها ستذهب إلى هذا المكان وإلى  
ذاك المكان لتسأل عنه وتضرب على رأسك وصدرك!! من خطفه؟! لأجل ابنك

تذهب إلى بيت المخالة، تذهب إلى بيت العمة!! أين ذهب ابني !! تريد ابنك، تحب ابنك أكثر من الإمام صاحب الزمان !!

لقد قلت هذا الكلام حتى لا تقول لماذا لا أرى الإمام صاحب الزمان !! لماذا أنا هكذا؟؟! هذا هو المانع !! اذهب إلى الأئمة وعند الرواق ونیتک رؤية الإمام ! إذا ذهبت إلى الحج أو ذهبت إلى كربلاء ! لتكن نیتک رؤية الإمام؛ فالإمام تجده عند الأضرة لا أنك تريد أن تلتقي فيه عند زيارتك للمعارض ؟؟!

ولكن... الإمام ليس موجوداً في ذهنك بتاتاً!! إذا ذهبت للزيارة ذهبت بقصد أن تفرح، لكي يذهب عنك الضيق !! حين تذهب إلى الإمام أو إلى الحج تذهب لتبعد الضيق عنك ولجلب الفرح والسرور فقط !! و بعدها ترجع بيد خالية !! بينما يأتي البعض بيد ممتلئة! أنت تسمع هذا الكلام ولكن لا تدير له بالاً!! تقول فقط: لماذا أنا هكذا!! عليك بالتوبة والتراجع عن هذه الأمور؛ فالتوجه إلى الإمام مهم جداً !! في كل يوم اقرأ زيارة الإمام صاحب الزمان - دعاء العهد - بعد صلاة الصبح، ودعاء الندبة وزيارة الجامعة ولو في كل أسبوع مرة واحدة!

تأتي في قلبك آلاف الأفكار ما عدا الإمام، وأما لفقد ابنك ساعات فإنك تبكي وتذرف الدموع عليه مع تفقد الأهل له؟! وأما الإمام صاحب الزمان الغريب الوحيد فإنك لا تدير له بالاً وهنا يكمن نقصك وعيبك.

### تأملوا في معاني ما تدعون به

(اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيْكَ) كن أي يا الله كن مع الإمام! كن مع خليفتك! فالإمام على مستوى كبير من الأهمية، وليس هذه الأهمية مختصة بالإمام صاحب الزمان فقط، بل هي شاملة حتى أبيه وجده أمير المؤمنين؛ فهم على مستوى كبير من الأهمية (الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ) أنزل رحمتك على وليك! وعلى آبائك! (في هذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ) أي الآن أنزل رحمتك على حجتك!

وفي جميع الساعات! حتى في حال العشاء وعند الإفطار صباحاً، وفي حالة ذهابك للعمل! وعندما تنزل أو تركب ضع الإمام نصب عينيك!! وعندها انظر من طرف الإمام كيف ستكون [وسترى الإجابة]!! فأي خصلة من هذه الأعمال عملناها؟!! (ولِيَا وَحَافِظَا وَقَائِدَا وَنَاصِراً وَدَلِيلًا وَعَيْنَا) فالإمام هو الولي الذي سيحفظك! الإمام يحفظك ليجعلك تابعاً حقيقياً، الإمام بما أنه هو القائد فسيضمنك تحت لوائه، فبنصرك إيه تكون هدایتك، وبما أن الإمام هو الدليل فسوف يرشدك إلى كيفية حفظك! وتوفيقك! (حتى تُسْكَنَ أَرْضَكَ طَوْعاً) أي يا رب مكّنه في الأرض واجعلها تحت إرادته (وَتُمَتَّعَ فِيهَا طَوِيلًا).

افهم ماذا تقول حين الدعاء! لا تقل أنا أدعو وأنت لا تعلم ماذا تقول! فكيف يكون رضي الإمام عنك حينما تكون في ذكر الإمام دائماً! بينما أنت كل شيء في ذهنك ثابت إلا الإمام!

### ما الذي يُعجل بظهور الإمام؟

ما هي وظيفتنا تجاه الإمام صاحب الزمان؟ لدينا مطلبان:

**الأول:** أن الله هو الذي وعد بإظهار الإمام صاحب الزمان.

**الثاني:** أن مسؤولية ظهور الإمام ملقة على عاتقنا.

فالذى ينبغي علينا نحن في كل يوم بعد صلاة الصبح أن ندعوا بدعاء (اللهم بلغ مولاي صاحب الزمان ..) وهو يأتي بعد دعاء الندبة. ومعنى الدعاء يقول: إني بقراءتي الدعاء أكون متاهياً لنصرة الإمام، إني أفدي الإمام بكل شيء لدلي! لذا واصل قراءة هذا الدعاء إلى آخر لحظة من حياتك؛ حتى يظهر الإمام صاحب الزمان، فهل نحن راضين أن تستمر غيبة الإمام صاحب الزمان على حالها وهو خليفة الله؟

وأنت هل تفكرت يوماً في الإمام! الإمام مثل الزهراء لم نلبّ دعوته! أنت

ملك الله! لكنك لا تذكر الله أبداً! فكرك حول نفسك فقط! أتفكر في الأرحام، أتفكر في الجيران؟ أبداً! فهل دعاؤنا مثل حالة الغريق الذي يدعو؟ وهل صلاتي بصلة؟ لا ليست حالي هكذا، [أقول:] بل توسل بالآئمة فسوف يشفعون لك! يقول حالي قد تغير! نحن لم نر شيئاً لكي نكون صالحين!! طلبت من الله ثلاث مرات أن يقبضني إليه ولكنني الآن تبت وترجعت!! مائة وأربع وعشرون ألف نبي بلغوا الرسالة وذهبوا ولم يؤمن بهم ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.  
 أتبكي لأجل الإمام صاحب الزمان؟ أتبكي لغيابه لوحده؟ هل تبكي الله؟ إذا جاءت الأموال فأنت قادر على تصريف أمورها، أما أمور الدين فأنت أحمق فيها.

يا أيتها السيدة الزهراء ويا صاحب الزمان نحن جئنا لنطلب الشفاء للمرضى!  
 وأنا لا أقصد بكلامي المرضى الذين يرقدون في المستشفى -قصده مرضى الذنوب والمعاصي- السيدة الزهراء وصاحب zaman سوف يدعون إن شاء الله.  
 لماذا لم تلتقي بالإمام؟ لماذا الإمام صاحب الزمان لم يتحدث معك يوماً ولم يقل لك حتى كلمة واحدة لا في النوم ولا في اليقظة؟؟؟  
 لأنك لا تفكر إلا في نفسك ولا تفكر إلا في أمورك (أي تفكيرك ليس في الإمام ولا في مصلحة الناس).

لأنك لا تؤدي الصلاة كما ينبغي فإن الصلاة يكون دعاؤها عليك. أنت تقول فقط: أنا غير موفق، ودائماً تقول: (ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ ماذا فعلتُ لكي يصبح حالي هكذا؟) الصلاة تدعوك وتقول: (ضيعتني ضيعك الله). فلتشركت كتاب آداب الصلاة للسيد الإمام الخميني قده واقرأه لأجل صلاتك، فهو كتاب عجيب جداً وتحت عنابة الله الخاصة. يتكلم فيه الإمام قده دائماً عن القلب

والروح، صلاتك ليس لها حضور في القلب، ليس لها روح، الكتاب يتكلم عن آداب الصلاة لا عن أسرار الصلاة فهو للعام والخاص.

هل سيتحدث معنا الإمام مثل تحدثه مع الشبلي؟! لا (فقد تحدث مع الشبلي

أكثر من ساعة) ... نعم إذا توجه القلب دائمًا لله!!! سوف يتحدث معنا.

يقول الإمام علي عليه الصلاة والسلام: «رحم الله امرأ عرف من أين وفي أين ولالي أين» إن شاء الله تتفكر في هذا الحديث وتحصل على رحمة ويشمل حalk دعاء الإمام علي بن أبي طالب عليه آلاف الصلاة والسلام عند قوله (رحم الله امرأ وسيكون عندها دعاء الإمام مستجاباً إذا قلت الكلام وفهمته، وإن شاء الله هذا العمل سيأخذك إلى الجنة.

### المواهش:

(١) هو العارف الواصل الجتهد آية الله الشيخ محمد تقى زاهدى القمى، ولد في مدينة قم المقدسة في محلة (چهار مردان) عام ١٣٢٨ هـ وقد ترعرع في أحضان الطهارة والتقوى في أسرة ملتزمة من أم طهور ووالد ورع وهو الحاج أمير حسين حتى قال الشيخ عن نفسه: أنه حين ولدته أمه جَفَّ الحليب من صدرها، فذهبت إلى حرم كريمة أهل البيت عَلِيُّهُ السيدة المعصومة وتولست بها من أجل جريان الحليب لطفلها، وما إن خرجت من الحرم بخطوات حتى درت ثدييها بشكل طبيعي.

وقد احتضنته الحوزة العلمية في قم منذ صغر سنه حتى تتلمذ على يد أقطابها وأعمدتها فكان من أساتذته: آية الله العظمى السيد حسين البروجردي تَنْتَشِلْ وقد كانت له عدة نقاشات ساخنة معه، وآية الله العظمى السيد عبدالكريم الحائرى تَنْتَشِلْ، وآية الله العظمى الشيخ الميرزا محمد الفيض القمى تَنْتَشِلْ -المدفون تحت الرواق الذهبي بقرب ضريح السيدة المعصومة-، وآية الله العظمى مجرّث الثورة الإسلامية الإمام الخميني تَنْتَشِلْ الذي كان يروي عن الإمام الكثير، وقد ناقش عدة مراجع في الحوزة حول بعض فتاياتهم فتبدل نظرهم وغيروا فتاواهم. وكما كان ضالعاً في أمر الله في الفقه والأصول حتى صرَّح عدة مرات أنه يتلَك قدرة الفتوى، فقد بَرَزَ في

الأمر بالله فكان السالك لطريق التوحيد والعرفان في حياته، فكان الواقع الورع المربي الناصح المعلم طيلة حياته الشريفة، حتى ظهرت على يديه الكرامات الباهرات وكشف الغيبات منها ما قد ذكره تلميذه حجة الإسلام والمسلمين السيد رضا الطباطبائي؛ فقد قال إنه عرضت له حاجة فأخبر بها الشيخ الزاهدي فأشار الأستاذ إليه بقراءة خطبة السيدة زينب عليها السلام. وكان عليها السلام كثير البكاء والحسرة والانقطاع إلى الله لا يهتم بالظاهر أبداً، وكانت كلماته تملأ أجواء القلب نوراً وحرارة بحيث عندما تنتهي الجلسة لا يستطيع الجالس مغادرة الجلسة رغم تذكرة ابنه حسين بلزوم الخروج سريعاً في بعض الأحيان، وهو كثير التنبيه والتحذير، وكان يلقى مجالسه القيمة في منزله في جلستين في الأسبوع إحداها خاصة والأخرى عامة، وهي ذات المحتوى والمضمون العالية والتي يغلب عليها عنوان معرفة الله ومعرفة الإمام صاحب الزمان عليه السلام، ومن جملة تلامذته الشيخ حميد يوسف زاده عليه السلام، والسيد رضا الطباطبائي وأخرون. وخلف من الأولاد اثنين الأول: كريم وقد توفي في حياته، والثاني: حسين وهو الذي أصبح سندًا وخلفًا صالحًا لأبيه.

وقد ذكر طلبه قبل رحيله بسنة أو أكثر بين حين وآخر بأن منيته قد اقتربت وأنه راحل، فما مضت تلك البرهة حتى ارتحل من عالم الظلام المادي الزائل إلى نور الملكوت النوراني الدائم ملبياً نداءه جل وعلا، وكان رحيله في اليوم السابع عشر من شهر رجب لعام ١٤٢٩هـ ق، الموافق لعام ٢٠٠٩م وقد شُيع تشييعاً متواضعاً -لا يليق بمقامه- حسب وصيته بذلك، واستقر جثمانه الطاهر في مقبرة الإمام زاده إبراهيم المشهورة في قم، الواقعة على الطريق المعروف بطريق الإمام زاده إبراهيم، وأنخذ قبره الطرف الأيسر من المقبرة ومن مرقد الإمام زاده الشريف.

(٢) أشرفي: عملة نقدية كانت تستعمل في ذلك الزمان.

(٣) حيث مما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا قامت المرأة عن مجلسها فلا مجلس أحد في ذلك المجلس حتى يرد» جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢٠، ص ٣٠٨.

(٤) يس: ٣٠.



# الجهود البحرينية في الاهتمامات القرآنية

## جاسم محمد حسن

### مقدمة

تأتي أهمية إعداد قائمة وصفية للجهود الكتابية في مجالات الاهتمامات القرآنية؛ في سياق العنوان التربوي العام: "مع القرآن.. نصرةً ووعياً والتزاماً" الذي أطلقه المجلس الإسلامي العلمائي في البحرين على هذا العام ١٤٣٢هـ. وكونه توثيق تاريخي ومحاولة جدية وخدمة لمتابعة المهتمين تراثياً وحضارياً، وما يساهم في التعريف بالمشهد الثقافي القرآني، وهو يعبر من الإنجاز والإنتاج من أجل إعادة ترتيب أولويات كتابة البحوث والدراسات، وتطوير أساليب النشر، وصياغة الوعي الجماهيري في اتجاه

الحكمة والموعظة الحسنة حسب ما وصل إلى اليد أثناء البحث ضمن وقت محدد، والرغبة في الاستكمال بذكر جهود أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى<sup>(١)</sup> في مجال وعي التراث القرآني المشترك في البحرين، إضافة إلى ما تم تقديمه هنا لبيان مجاهد مدرسة أهل البيت عليهما السلام عبر العصور<sup>(٢)</sup>.

ولا بد من الإشارة إلى بعض الجهود السابقة للإسهام في فهم عمق العطاء لخدمة القرآن الكريم من قبيل: فهرس علماء القطيف والإحساء والبحرين للشيخ مهدي المقداد السيهاتي في مجلة (تراثنا)، ج ٣، والشيخ محسن المعلم في مجلة الموسم، والشيخ الدكتور عبد الهادي بن محسن الفضلي في مجلة الموسم أيضاً.

ومن المناسب التوصية بالتأكيد على ضرورة الاهتمام بالأدوات الصحيحة في عملية التحليل والقراءة النقدية وتجاوز الاقتصار على الحالة الوصفية؛ لأن الفهرسة ليست هدفاً ذاتها<sup>(٣)</sup>.

#### الجهود القرآنية<sup>(٤)</sup>

١- **الشيخ أحمد بن صالح آل طوق -الستري - البحرياني (ت؟)<sup>(٥)</sup>:**

له أجوبة مسائل السيد حسين أحمد البحرياني. والمسألة الأولى: لماذا جعل المسجد الأقصى غاية الإسراء؟ أجاب عنها في سنة (١٢٤١هـ).

٢- **الشيخ ابن المتوج البحرياني (ت: ١٤١٧هـ- ١٤٢٠م):**

وهو جمال الدين الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن المتوج البحرياني، له كتاب (أحكام القرآن)<sup>(٦)</sup>، ذكره صاحب كتاب مرآة الكتب وجعله متعددًا بدلاً أن يكون واحداً<sup>(٨)</sup>.

وهو معاصر ومصاحب للشهيد الأول (ت: ١٣٨٤هـ- ١٧٨٦م)، وابن المتوج هو المؤلف لآيات الأحكام المختصر الموسوم بـ"منهج الهدایة" (منهج الهدایة في شرح آيات الأحكام الخمسين) وقد عده الشيخ جعفر السبعاني من نوع التفسير

الموضوعي في كتاب (مفاهيم القرآن، ج ١، ص ٩)، وهو غير أحمد بن عبد الله بن سعيد بن المتوج (ت:؟) الذي له كتاب "النهاية في تفسير الخمسين آية"<sup>(٩)</sup>.

ويسمى كتاب ابن المتوج المترجم له (الآيات الناسخة والمنسوخة)، فلقد كتب الشيخ ماجد العويناتي (حقق الكتاب): "لا شك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام ابن المتوج، فقد أجمع كل مترجميه على ذلك. وقد سار في معالجته للنسخ وللآيات الناسخة والمنسوخة على منهج ابن سلامة<sup>(١٠)</sup> في كتابه (الناسخ والمنسوخ)، بل أنه في كثير من الكتاب ينقل نص عباراته، حتى يمكن القول بأن كتاب (الآيات الناسخة والمنسوخة) مجرد تهذيب لكتاب ابن سلامة، إلا أن قارئه بعد الفحص سيجد العديد من الاختلافات بين الكتابين، كاختياره رأياً لم يختاره ابن سلامة وإن ذكره في كتابه، وذلك كما فعل في الآية (١١) المنسوخة في سورة البقرة، أو كتبديله وتنبيهه في ترتيب كلام ابن سلامة، كما في مثل الآية (٩) المنسوخة<sup>(١١)</sup> في سورة النساء، أو كمخالفته لابن سلامة في بعض الموضع، كقوله بأن المنسوخ في سورة المزمل سنت آيات خلافاً لابن سلامة الذي قال إنها ثمان آيات، وككونه أدق في بعض الأحيان من ابن سلامة، كما في مثل الآية الثانية المنسوخة في سورة بني إسرائيل، وكإضافاته زيادة على ما قاله ابن سلامة، كما في الآية (١٤) المنسوخة في سورة البقرة.

وقد أحصى الدكتور حاتم صالح الضامن - وهو أشهر من حرق كتب الناسخ والمنسوخ - في مقدمته على تحقيقه لكتاب (ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي) قضايا النسخ في كل كتاب طبع في الناسخ والمنسوخ، فكانت كما يلي:  
أولاً: كتاب قتادة بن دعامة (ت: ١١٨ هـ- ٧٣٦ م): وعدد القضايا التي عالجها حوالي (٤٠) قضية.

ثانياً: كتاب أبي عبد الله محمد بن حزم: وعدد القضايا التي عالجها (٢١٤) قضية.

ثالثاً: كتاب أبي جعفر النحاس (وهو أحمد بن إسماعيل المصري) (ت: ٣٣٨ هـ-

٥٩٠م)): وعدد القضايا التي عالجها (١٣٤) قضية.

رابعاً: كتاب ابن سلامة: وعدد القضايا التي عالجها (٢١٣) قضية.

خامساً: كتاب مكي بن أبي طالب: وعدد القضايا التي عالجها (١٩٥) قضية.

سادساً: كتاب ابن الجوزي: وعدد القضايا التي عالجها (١٤٨) قضية.

سابعاً: كتاب ابن العتائقي(وهو تلميذ العلامة الحلي، واسمه عبد الرحمن بن

محمد ابن العتائقي الحلي الإمامي (ت:نحو ٧٩٠هـ ١٣٨٨م أو ٧٨١هـ ١٣٨٩م)): وعدد  
القضايا التي عالجها (٢٢٤) قضية.

ثامناً: كتاب ابن المتوج: وعدد القضايا التي عالجها (٢٣٩) قضية.

وهذه القائمة تأتينا من رجل متخصص في علم الناسخ والمنسوخ قد أخرج الكثير

من الكتب التي صنفت فيه، وهي تدل على سعة وميزة وأهمية كتابنا (الآيات الناسخة

والمنسوخة) لابن المتوج حيث فاق في عدد القضايا التي عالجها كافة هذه الكتب  
المذكورة التي هي أمهات علم الناسخ والمنسوخ<sup>(١٢)</sup>.

٣- السيد عبد الجليل بن أحمد الحسيني القراء (ت:٩٨٦هـ):

له (شرح الناسخ والمنسوخ لابن المتوج (ت:٨٣٦هـ)), بتحقيق الدكتور محمد

جعفر الإسلامي في جامعة طهران سنة ١٣٤٤ هـ ش، وطبع بنشر بنیاد علوم  
إسلامی.

٤- الشیخ شرف الدین یحیی بن حسین بن عشیرة بن ناصر السلمابادی

(ت:٩٧٦هـ - ١٥٥٩م):

له تلخيص مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي<sup>(١٣)</sup>. ذكر الشيخ نزار  
الحسن -محقق رسالة في مشايخ الشیعہ:- أن یحیی بن حسین بن عشیرة بن ناصر  
السلمابادی البحراني له تلخيص تفسیر الطبرسی الكبير.

ويحتل تفسير الطبرسي أهمية كبرى، يقول المحقق محسن الحسيني العاملی في

ترجمة الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ - ١١٥٤ م<sup>(١٤)</sup>): "له (مجمع البيان في تفسير علوم القرآن)، مستمدًا من (التبیان - في تفسیر القرآن) للشیخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت: ٦٠٧ هـ - ١٠٦٧ م). وقد اختصر الكشاف<sup>(١٥)</sup>، وسماه جوامع الجوامع - في تفسیر القرآن الكريم، تحقيق السيد محمد علي الكاظمي الطباطبائي<sup>(١٦)</sup> - أو (الكاف الشاف) من كتاب الكشاف ليكون جامعاً بين فوائد كتاب مجمع البيان والکشاف<sup>(١٧)</sup>.

والاهتمام بتفسير مجمع البيان للطبرسي لم يقتصر على علماء مدرسة أهل البيت ع بل لكثره نقله عن التابعين طبعته مشيخة الأزهر ثلاث مرات..!  
ومن المناسب نقل بعض ما كتبه الشهيد السيد محمد باقر الصدر بخطه الشريف في أول كتاب (اختصار مجمع البيان في تفسير القرآن للشیخ محمد باقر بن الشیخ عباس الناصري)<sup>(١٨)</sup> حيث قال قائل: "... جهد مشكور ونفيس في اختصار مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم للشيخ الطبرسي قدس الله روحه الزكية فوجده اختصار الرجل العالم والممارس الخبير والقرآنی البصیر الذي عاش مع القرآن الكريم حياته نصاً وروحًا وفقهاً وتطبيقاً وإنني أسأل المولى عَزَّلَهُ أن يتقبل منه هذا الجهد العلمي الجليل بأفضل ما يتقبل من العلماء الصالحين ويحفظه حاملاً لواء تيسير درجة من فهم القرآن الكريم لأوسع نطاق من المتعلمين والمثقفين من أبناء هذه الأمة التي هي أحوج ما تكون إلى التعرف على كتابها السماوي الخالد والتذكرة في نفحاته الربانية والاسترشاد بأضوائه وتوجيهاته في كل مجالات الحياة لكي تأخذ موقعها التاريخي والقيادي في العالم الذي لم يتح لها إلا بفضل هذا الكتاب العظيم.

١٣ جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـج محمد باقر الصدر<sup>(١٩)</sup>.

وللشيخ ابن عشيرة أيضاً تجويد القرآن<sup>(٢٠)</sup>، وله كتاب (بهجة الخاطر وتنزهه

الناظر: في الفروق اللغوية والاصطلاحية<sup>(٢١)</sup>، تحقيق: السيد أمير رضا عسكري زاده، وهو يشتمل على المفردات اللغوية والكلمات القرآنية وشواهد من الآيات والروايات. ومن البحوث القرآنية في كتاب (بِهِجَةِ الْخَاطِرِ وَنَزْهَةِ النَّاظِرِ): الفرق بين التسمية والبسملة، وبين الحمد والشك، والحمد والمدح، والحمد والثناء، ملك ومالك، والفرق بين "وَسَوَسَ إِلَيْهِ"<sup>(٢٢)</sup> و "وَسَوَسَ لَهُ"، وبين المس" واللمس، والفرق بين الباغي والعادي في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾، والفرق بين المداهنة والمداراة في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيَدْهِنُونَ﴾، والفرق بين الهمماز واللماز من قوله تعالى: ﴿وَيَلْ لُكْلُ هُمَّزَ لُمَّزَ﴾، وبين القرآن والفرقان، والظاهر والظاهر، والفرق بين الأجلين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلًا مُسْمًى عِنْدَهُ﴾<sup>(٢٣)</sup>، والفرق بين التبديل والتحويل والتغيير في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنْتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَكَنْ تَجِدَ لِسُنْتَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(٢٤)</sup>، والفرق بين الرَّئْنَعِ وَاللَّعْبِ في قوله تعالى: ﴿يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْنَاهُ مَعَنَا غَدَارِ يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢٥)</sup>، والخلق والجعل من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظِّلَّمَاتِ وَالنُّورَ﴾<sup>(٢٦)</sup>، والغَبرَةُ وَالقَنْتَرَةُ في قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةً﴾<sup>(٢٧)</sup>، والبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ، وَالسُّوءُ وَالفَحْشَاءُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾<sup>(٢٨)</sup>، والفرق بين الفرح والمرح في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾<sup>(٢٩)</sup>، وبين السرُّ والنحو في قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾<sup>(٣٠)</sup>، والفرق بين الظلم والهضم، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾<sup>(٣١)</sup>، والفرق بين النعم الظاهرة والباطنة في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾<sup>(٣٢)</sup>، والفرق بين السُّخْرِيَّةِ وَالْهُزْءِ في قوله تعالى: ﴿سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ﴾<sup>(٣٣)</sup>، وبين اليقين والعلم في قوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ<sup>(٣٤)</sup>، والفرق بين يأجوج ومأجوج، وبين الكهف والرقيم، والفرق بين الغميين في قوله تعالى: ﴿غُمًا بِغَمٍ﴾<sup>(٣٥)</sup>، والفرق بين بدلنا وأبدلنا في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾<sup>(٣٦)</sup>، والفرق بين المستقر والمستودع في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقِرَّهَا وَمُسْتَوْدِعَهَا﴾<sup>(٣٧)</sup>، والفرق بين الرحمن والرحيم، وبين الكرسي والعرش، والفرق بين ﴿أَمَّنَا أُنْتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أُنْتَيْنِ﴾<sup>(٣٨)</sup>، وبين المنيء والمريء في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِئًا مَّرِيئًا﴾<sup>(٣٩)</sup>، والفرق بين شكر الله وشكر الوالدين في قوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيَكَ﴾<sup>(٤٠)</sup>، والفرق بين المغضوب عليهم والصالحين، وبين اللعب واللهو، والفرق بين السندرس والإستبرق في قوله تعالى: ﴿مَنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾<sup>(٤١)</sup>، وبين الحميم والغساق، وبين الانجاس والانفجار في قوله تعالى: ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أُنْتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾<sup>(٤٢)</sup>، و﴿فَانْجَرَتْ مِنْهُ أُنْتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾<sup>(٤٣)</sup>، والفرق بين البراءتين في قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةُ مَنْ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدُوكُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٤٤)</sup> وفي قوله تعالى-بعدها-: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(٤٥)</sup>، والفرق بين الفواحش الظاهرة والباطنة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾<sup>(٤٦)</sup>، وبين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة في قوله تعالى: ﴿مَتَّلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾<sup>(٤٧)</sup>، وبين الحكم والتشابه، والفرق بين المرتدين في قوله تعالى: ﴿سَنَعْذِبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾<sup>(٤٨)</sup>. وافق الفراغ من نسخ هذه الرسالة المسماة ببهجة الماطر في شهر ربيع الأول من سنة ٩٦٧ هجرية.

##### ٥- الشيخ جعفر بن كمال الدين الرويسي (ت: ١٠٩١ هـ - ١٦٨٠ م):

له منظومة في علم تجويد القرآن المجيد، فقد كتب الدكتور سالم النويدري عنها: "الكامن في الصناعة: وهي منظومة في علم تجويد القرآن المجيد للشيخ جعفر بن كمال الدين الرويسي (ت: ١٠٩١ هـ - ١٦٨٠ م)" .

## ٦- الشیخ احمد بن ابراهیم الدرازی (ت: ١١٣١ھـ - ١٧١٩م) المدفون فی

القطیف<sup>(٥٠)</sup>:

له شرح رسالتة (الحمد). وهي شرح إلی (الحمدية) للشیخ سلیمان بن عبد الله الماحوزی (ت: ١١٢١ھـ - ١٩٠٧م)، تاريخ نسخها ١٩ جادی الثانیة ١١٣٠ھـ<sup>(٥١)</sup>.

## ٧- الشیخ صالح بن عبد الکریم الكرزکانی (ت: ١٠٩٨ھـ - ١٦٨٦م):

له (شرح أسماء الله الحسنی)<sup>(٥٢)</sup>.

## ٨- والشیخ جعفر کمال الدین البحراني (ت: ١٠٨٨ھـ أو ١٠٩١ھـ):

المتوفی في حید آباد بالهند، وترجمته في فهرست آل بابویه، وأنوار البدرين، ولؤلؤة البحرين، وهو ممدوح الشاعر عیسیٰ<sup>(٥٣)</sup> بن صالح بن احمد آل عصفور (ت: ١٠٨٨ھـ - ١٦٧٧م) حسب نقل موسوعة شعراء البحرين ط١، قم، ١٤١٨ھـ، ج٣، ص٧٤: له (منظومة في فضائل القرآن). وهي -كما هو مشار في سجلات دار طيبة: نسخة موجودة -ربما مصورة أو أصلیة- لدى الشیخ محمد عیسیٰ آل مکباس الديھی البحراني (ولد ١٩٦٥م)<sup>(٥٤)</sup>. وقال صاحب موسوعة شعراء البحرين: "جعفر بن کمال الدین(ت: ١٠٨٨ھـ - ) .... مؤلفاته: (الکامل في الصناعة) وله منظومة في علوم القرآن سماها (الکامل في الصناعة) أولها قوله:

قال الفقیر الطالب الفضران لذنبه جعفر، البحراني

وآخرها:

وفي مفهوم له أقسام في بعضها يختلف الأحكام  
ومنه أمر ونهي وكذا وعد بخير ووعيد مضدا  
وهي ٧٤ بیتاً أو أكثر"<sup>(٥٥)</sup>.

ووصفها الشیخ محمد آل مکباس-أیضاً- في كتابه (فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار)، قائلاً: "منظومة في علوم القرآن مؤلفها: جعفر بن کمال الدين. وعدد الأوراق: ۱۸. والمساحة ۱۴/۱۰ سم. أوله: قال الفقیر الطالب الفرقان ◊ لذنبه جعفر البحراني، وآخره: ومنه أمر ونهي وكذا ◊ وعد بخير ووعيد مضدداً. وصفه: منظومة في علوم القرآن من تجويد وغيره مع ذكر حواشی هامة عن تاريخ بعض العلماء وتاريخ البحرين من نفس المؤلف".<sup>(۵۶)</sup>

ومخطوطة كامل الصناعة موجودة في مكتبة جامعة طهران تحت رقم ۸۸۲/۵.<sup>(۵۷)</sup> وما جاء فيها:

إجازة بالسند المعتبر  
عن صاحب الطيبة ابن الجوزي  
وشيخنا المرحوم عالي الشان  
الشيخ زين الدين عالي الحجة  
والسيد الماجد والبهائي  
شيخ شيوخنا الشهيد الثاني  
العاملي المعروف بابن الحجة  
والاسترابادي والعلايلي

ومنها: الباب الثاني: في كونه محروساً عن الزيادة والنقيصة:

وليس فيه زايدٌ وقارصٌ	ما هو بين الدفتين حاضر
كذلك في الحجر دليل صدقٍ	لا ريب فهو شاهدٌ بحقِّ
أقوى دلالة لنا عليه	كذلك الباطل لا يأتيه
كالآمدي وصاحب الحصولِ	وكل من صدق في الأصولِ
والمرتضى مصنف الذريعة	وجعفر محقق الشريعة
والباقلاني الطرسري	ثم المفيد والجليل الطوسي
في متنه وأمره جليٌّ	مصرح بأنه قطعيٌّ

وقد روی هاشمُ الجعفیُّ روايةً سندها نقیٌّ  
في أن عدّ آية سبعَ عشرَ أفالاً وفي مضمونها باقي الناظم  
ثم يذكر بعد ذلك الشيخ جعفر كمال الدين مسألة الجمع ويناقش الناظم  
ظاهرة تعارض الروايات فيها، ويناقش ما نُسبَ من رواية إلى ابن مسعود،  
وهكذا إلى أن يقول:

وهكذا الجلال في الإتقان في غاية التصريح والبيان  
كذا حکاه الفاضل السيوطي وهو بالموقع المحوط  
فقد يكون ما روى محتملاً لأن يكون من هنا ما احتملاً  
وهكذا رواية البيزنطي فإنها ليست لنقصٍ تعطي  
فقبلها رواية السكوني ومرسل ابن مسلم الأمونِ  
وشيخنا في مجمع البيان يعني الطبرسي عظيم الشان  
وافق ذلك الشريف المرتضى

الباب الثالث: في توادر القراءات السبع، نقل الإجماع... إلى أن يقول ناظم  
الأبيات:

بشرط أن تتفق الأعيان في نقلِ فذلك القرآن  
لا أن يكون واضح الشذوذِ كقولهم وانفرد الشبوذِي  
بل بعضهم قد نقل الإجماعاً ورأى بالسبعين لها احتمالاً

٩- الشیخ سلیمان بن عبد الله الماحوزی (ت: ١١٢١ھـ - ١٧٠٩م):  
له رسالتہ فی إعراب قوله تعالیٰ: ﴿فَتَبَارُكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. وكذلك

رسالة في حديث أبي لبيد المخزومي في مقطعات القرآن الكريم<sup>(٥٨)</sup>، وله تفسير آية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾<sup>(٥٩)</sup>: "يبحث في كيفية الشهادة لله سبحانه بالربوبية في عالم الذر، وبيان اختلاف المفسرين في الآية...، مع نقل كلام علماء الكلام في هذا الموضوع. أوله: (إذ أخذ ربك من بنى آدم) ... اختلف أهل التفسير في معنى الآية، وفي كيفية هذا الأخذ والسؤال والإشهاد. آخره: (هذا ما جرى به القلم وسنح للبلاء، مع توفر العوائق وكثرة الأشغال، والحمد لله الذي هدانا لهذا)".

#### ١٠- الشیخ عبد الله بن صالح السماهیجی (ت: ١١٣٥ھـ - ١٧٢٣م):

المدفون ببهبهان، له بحث قرآنی وروائی: (شرح حديث مشكل من أصول الكافي في أسماء الله تعالى)<sup>(٦١)</sup>. وله (إسلام أبي طالب بحساب الجمل)، وله تفسير معنی قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِإِنْسَانٍ إِلَّا مَا سَعَى﴾، وشرح: ﴿الَّذِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَة﴾، ومعنی قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خُفْتُمُ إِلَّا تَعْدُلُوا﴾، وبحث وجه الجمع بين ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةً﴾ وبين ﴿لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾<sup>(٦٢)</sup>.

#### ١١- الشیخ يوسف العصفور (ت: ١١٨٦ھـ - ١٧٧٢م):

صاحب كتاب الحدائق له رسالة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ﴾ كما ذكر ذلك صاحب الذخائر<sup>(٦٣)</sup>.

#### ١٢- السيد درويش الغريفي (ت: ١٢٠٤ھـ):

المدفون بشيراز له كتاب في تفسير الأسماء الحسنى<sup>(٦٤)</sup>.

#### ١٣- الشیخ محمد بن أحمد بن حسن الدمستاني (ت: ١٢٠٩ھـ):

له رسالة في كشف الآيات اسمها (الجواهر الإلهيات في كشف الآيات) ألقى سنة ١٢٠٢ھـ.

#### ١٤- الشیخ عبد الله الحکیم الجدھفصی (ت: ١٢١٥ھـ):

تلמיד الشيخ حسين العلامة، له رسالة في تأويل القرآن<sup>(٦٦)</sup>.

**١٥ - الشيخ عبد الله بن عباس-الستري - البحريني** (ت: ١٢٧٠ هـ- ١٨٥٣ م):  
المدفون في الخارجية بجزيرة سترة، له تفسير القرآن<sup>(٦٧)</sup>. وله كتاب (نזהة  
الناظرين في تفسير القرآن المبين)<sup>(٦٨)</sup>.

**١٦ - الشيخ عبد الحسين يوسف** (ت: ١٢٤٧ هـ):  
له رسالة في تركيب (ليس كمثله شيء)<sup>(٦٩)</sup>.

**١٧ - والشيخ علي بن أحمد بن حسين آل عبد الجبار-الساري**-  
(ت: ١٢٨٧ هـ- ١٨٧٠ م):  
له (مسائل في القراءات السبع)<sup>(٧٠)</sup>.

**١٨ - السيد عبد القادر بن كاظم التوibli** (ت: ١٣٠٤ هـ- ١٨٨٦ م):  
المتوفى في (النجة)، له رسالة في شرح أسماء الله الحسنى<sup>(٧١)</sup>.

**١٩ - الشيخ أحمد بن الشيخ محمد آل ماجد - البلادي - البحريني** (ت:؟):  
له رسالة في الكاف من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٧٢)</sup>.

**٢٠ - الشيخ أبو الحسن بن محمد البحريني** (ت: ١١٩٣ هـ):  
له التفسير الكبير<sup>(٧٣)</sup>، قال صاحب موسوعة شعراء البحرين - باختصار  
العبارة -: ”أبو الحسن بن محمد... من مؤلفاته: التفسير الكبير. والمتجمون له معجم  
المؤلفين ٢٧٧/٣“<sup>(٧٤)</sup>.

**٢١ - الحسن<sup>(٧٥)</sup> بن محمد بن أحمد بن إبراهيم العصفوري الدرزي البحريني**  
(ت: ١٢١٤ هـ أو ١٢١٦ هـ- ١٨٠٢ م):  
له (مفآتيخ الغيب والتبيان في تفسير القرآن)<sup>(٧٦)</sup>.

**٢٢ - الشيخ محمد بن علي بن عبد النبي بن محمد بن سليمان - المقابي -**

## البحرياني (ت:؟):

له (صفوة الصافي والبرهان ونخبة البيضاوي) وهو غير كتاب النخبة - في مسائل علم الأصول - بعد ملاحظة مخطوطته في دار طيبة<sup>(٧٧)</sup>.

ويقول صاحب معجم مؤلفات الشيعة في شبه الجزيرة العربية: "صفوة الصافي والبرهان ونخبة البيضاوي ومجمع البيان (تفسير القرآن المجيد في ثلاثة مجلدات) للشيخ محمد بن الشيخ عبد النبي بن العلامة الشيخ محمد بن سليمان المقابي المتوفى بعد سنة ١١٦٧ هـ- ١٧٠٣ م<sup>(٧٨)</sup>".

أما الشیخ محمد عیسی آل مکباس فقد وصفه، قائلاً: "صفوة الصافی ونخبة البیضاوی ومجمع البیان مؤلفه: محمد بن علی المقاوی. عدده: ٦٤٢ ورقة. وناسخه: عبد الأمیر بن ناصر بن محمود الکعبی السلمانی. تواجهه: مکتبة السيد الکلبیکانی - رقم: ٢٠٧٤). أوله: البیسملة، وبه نستعين، الحمد لله الذي على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا... آخره: اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا...الخ". إلى أن قال آل مکباس عن وصفه: "تفسير القرآن الكريم في جزئين الأول منه من أول القرآن إلى سورة النحل، والجزء الثاني من سورة الإسراء إلى آخر القرآن، وقد اصطفى ما أراده من الأحاديث من كتاب (الصافی) للفیض الكاشانی وكتاب (البرهان) للسید هاشم التویلاني، وأنتحب ما أراده من تفسیر (البیضاوی)، واستدرك الأمور الإعرابیة التي لم يذكرها صاحب تفسیر (مجمع البیان)، وقد ابتدأ الكتاب بعدة مقدمات وهي:

١- في فضل القرآن وفضل حامليه.

٢- في وجوب التمسك بالقرآن.

٣- في وجوب التمسك بالثقلين كتاب الله وعترة النبي ﷺ .

٤- في أن القرآن تبيان كل شيء وأن كل حديث لا يطابقه فهو مردود.

٥- في أن علم القرآن... عند أهل البيت ع... .

- ٦- في المنع من تفسير القرآن بالرأي ومن الجدال فيه.
  - ٧- في بيان نزول أكثر القرآن... .
  - ٨- في أن القرآن له ظهر وبطن ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ.
  - ٩- في جمع القرآن -وحفظه من التحريف-... .
  - ١٠- في أسمائه وإعجازه وزمان نزوله وأآل ما نزل منه وآخره.
  - في كيفية التلاوة به وأدابها والقراءات السبعة<sup>(٧٩)</sup>-السبعين- وبيان مأخذها.
  - ١١- في بيان المصطلح عليه في هذا الكتاب وبيان الكتب المنقولة منها أحاديث

وتفسير الصافي هو (الصافي في تفسير كلام الله) أو (الصافي في تفسير القرآن) للشيخ محسن محمد بن المرتضى الملقب بـ"الفيض الكاشاني" (ت: ١٠٩١ هـ - ١٦٧٨ م) المدفون في كاشان بإيران. نزل شيراز بعد سماعه بورود العلامة السيد ماجد بن سيد هاشم الجدحصي البحرياني (ت: ١٠٢٨ هـ - ١٦١٨ م) هناك، وأخذ العلم منه<sup>(٨١)</sup>، ووقع الفراغ من تأليفه كتاب (الصافي) في سنة ١٠٧٥ هـ، وقد طبع في عشرة مجلّدات سنة ١٩٧٩ م بتحقيق الشيخ حسين الأعلمي في لبنان. و(الأصفى) - وهو منتخب من الصافي - للكاشاني نفسه، وقع الفراغ منه بعد الصافي بستين<sup>(٨٢)</sup>.

اهتم الفيض الكاشاني بتقديم أعمال متميزة في مجالات التقرير والتواصل بين علماء المذاهب الإسلامية فقد نقل عبارات البيضاوي في تفسيره، وهو صاحب كتاب (المحجة البيضاء في إحياء الأحياء) أو تهذيب الأحياء: مختصر إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالى (ت: 505 هـ).

وأما تفسير البيضاوي فاسمه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) وقد اختصر القاضي البيضاوي تفسيره من الكشاف للزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ - ١١٤٤ م)، ولكن

ترك ما فيه من اعتزالت، كما يذكر الدكتور الذهبي في (التفسير والمفسرون)، وأيضاً لحس البيضاوي (التفسير الكبير) للراغب الأصفهاني<sup>(٨٣)</sup>.

٢٣- السيد هاشم السترى البحارى المعروف بـ(الصياح):

له (عدد سور القرآن)<sup>(٨٤)</sup>. وله له هداية القاريء إلى كلام الباري في القراءة<sup>(٨٥)</sup>.

٢٤- السيد هاشم التوبلافي البحارى (ت: ١١٠٧ هـ - ١٦٩٥ م):

له (البرهان في تفسير القرآن)، فرغ منه ١٣ ذو الحجة ١٠٩٥ هـ<sup>(٨٦)</sup>، فيه روايات منسوبة لأئمة أهل البيت ع وقليل مما روی عن ابن عباس، ومن مصادره التفسير المنسوب لعلي بن إبراهيم القمي. وله أيضاً كتاب (نور الأنوار في تفسير القرآن)<sup>(٨٧)</sup>.

٢٥- الشيخ عبد الحسين بن الشيخ يوسف البحارى القطيفي (ت: ١٢٤٧ هـ):

له رسالة في: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» رد عليه الشيخ أحمد الأحسائي بر رسالة جوابية بتاريخ ١٥ جمادى الثانى ١٢١٢ هـ<sup>(٨٨)</sup>.

وقد ذكر الشيخ حبيب آل جمیع في معجم المؤلفات الشیعیة في الجزیرة العربية ناقلاً عن كتاب الذخائر: "رسالة في شرح قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)" للشيخ عبد الحسین بن یوسف البلاذی (ت: ١٢٤٧ هـ - ١٨٣١ م)<sup>(٨٩)</sup>.

٢٦- الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عبد الله آل عصفور - النحوی (ت: ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م):

المدفون بالصلی، له كتاب في (بسم الله الرحمن الرحيم) أنها أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها<sup>(٩٠)</sup>.

٢٧- الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار - الساری - (ت: ١٢٧٠ هـ - ١٨٣٤ م):



له كتاب (فصل الخطاب في التمسك بالعترة والكتاب) <sup>(٩١)</sup>.

**٢٨ - الشیخ علی بن عبد الله - المهزی الستّری البحاری أصلًا - واللنّجاوي هجرة (ت: ١٣١٩ھـ - ١٩٠١م):**

له تفسیر آیة: ﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. كُتب بتاريخ ٥ صفر سنة ١٣٠٢ھـ؛ لرد تأویل هذه الآیة المبارکة على كل راکع ومتصدق في صلاته من المسلمين، وهو استدلال على أنها مختصة بالإمام أمير المؤمنین علیه السلام حيث نزلت في شأنه، وهي من مناقبه وليس عامة لكل مصل <sup>(٩٢)</sup>.

**٢٩ - الشیخ علی مکّی بن صالح البحاری (ق: ١٢):**

له رسالة في تعیین الثقل الأکبر، فرغ من تأليفها يوم الجمعة العاشر من ربیع الثاني (١١٥٣ھـ) ذکر فيها بعض آیات القرآن الكريم <sup>(٩٣)</sup>. وقد أعد الرسالة بعد خلاف في أصبهان <sup>(٩٤)</sup>.

**٣٠ - السید محمد رضا بن ضیاء الدین البحاری الشیرازی (ت:):**

له كتاب (البضاعة المزاجة في تأویل الآیات) <sup>(٩٥)</sup>.

**٣١ - السید ابراهیم بن السید محسن بن السید عبد الله الغریفی المدفون بالنجف (ت: ١٣٣٥ھـ - ١٩١٦م):**

له (الصلاۃ والسلام في ختم القرآن الكريم) <sup>(٩٦)</sup>.

**٣٢ - الشیخ محمد جعفر أبو المکارم المولود في شیراز (ت: ١٣٦٢ھـ - ١٩٣٢م):**

له أمثال القرآن الكريم في ثلاثة مجلدات <sup>(٩٧)</sup>.

**٣٣ - الشیخ محمد علی بن محمد تقی آل عصفور (ت: ١٣٦٥ھـ - ١٩٤٦م):**

له تفسیر القرآن، وتفسیر المفردات القرآنية <sup>(٩٨)</sup>، بخط المؤلف، يبدأ من سورة

الفاتحة،.. ناقص التأليف، الاستفادة صعبة<sup>(٤٩)</sup>، كما وله في علوم القرآن الكريم: (غريب القرآن) فيه شرح الكلمات الغريبة في الجوانب اللغوية ونسخته الخطية في مشهد المكتبة الرضوية المركزية مشهد برقم ١٧٩٧٤.

وقال الشيخ مهدي عبد الله المقاداد عنه في مجلة (التراث: العدد ١٢، ١١)، ص ١٥٢: "تفسير المفردات القرآنية- الشيخ محمد علي بن محمد تقى آل عصفور البحرياني". تفسير للمفردات الغريبة في القرآن، بخط المؤلف، غير تام، الاستفادة جيدة. الرقم (٦)، بحسب فهرس مكتبة آل عصفور، الروضة الرضوية المقدسة- مشهد<sup>(٥٠)</sup>.

٣٤- الشيخ محمد<sup>(٥١)</sup> تقى بن الشيخ موسى آل عصفور (ت):  
له رسالة مسماة بـ (جلاء الضمير في حل مشكلات آية التطهير) و(تحف  
الخواص في شرح سورة الإخلاص)<sup>(٥٢)</sup>.

٣٥- الشيخ الهركاني<sup>(٥٣)</sup> البحرياني، له (الدرة المضيئة في علم التجويد)، قام المؤلف في هذه الرسالة بشرح عشرة من أحكام التجويد: (الإدغام، الإظهار،  
القلب، الغنة، الإخفاء، التفخيم، الترقيق، المد، القصر، القلقلة). الرقم ٢٩٧/١٤-  
جز (١) ق (٢٣). المكتبة الوطنية - Shiraz<sup>(٥٤)</sup>.

ولكن الشيخ محمد عيسى آل مكباس في وصف: (الدرة المضيئة في علم  
التجويد) قال: "المؤلف الهركاني البحرياني. عدده: ورقتان. وتواجهه: مكتبة الشهيد  
دستغيب رقم ٢٩٧/١ جر. أوله: الحمد لله منزل القرآن المبين على خاتم النبيين....  
آخره: وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين"<sup>(٥٥)</sup>.

وذكر الشيخ مهدي المقاداد في القسم الأول من فهرس المخطوطات: "رسالة في  
إعراب آيات القرآن، الشيخ سليمان الأولي البحرياني. الرقم (٨)، حسب فهرس مكتبة  
آل عصفور، الروضة الرضوية المقدسة، مشهد. وأيضاً - هناك - رسالة مفردة في

القراءات الشاذة عن الأئمة الطاهرين، حسن إبراهيم البحرياني السماهيجي. تسمى باسم آخر وهو (القراءات الشواد الزائدة على العشر).

الرقم (٢٣) نسخ، بخط يحيى بن عشيرة السلمابادي، يوم الأربعاء من شهر ذي الحجة سنة (٩١٨) هـ. مكتبة الجامع الكبير، يزد<sup>(١٠٦)</sup>.

٣٦ - قاضي البحرين الشيخ<sup>(١٠٧)</sup> محمد أمين الصافي النجفي والبحرياني مهجراً (ت: ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م):

له كتاب (آيات التوحيد).

٣٧ - الشيخ عبد الحسين بن قاسم بن صالح النجفي - الحلبي -، ثم البحرياني إقامة (ت: ١٣٧٥هـ):

له من المؤلفات: كتابه التفسيري (الشجرة الملعونة) يرد فيه على أنيس بن ذكريا النصولي (ت: ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م) المتوفى بيروت<sup>(١٠٨)</sup>.

٣٨ - الشيخ محمد أمين زين الدين البحرياني أصلاً والنجفي مدفناً (ت: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م):

له (أشعة القرآن)<sup>(١٠٩)</sup>.

٣٩ - السيد محى الدين الغريفي:

له كتاب (آية التطهير في الحمسة أهل الكساء)<sup>(١١٠)</sup>.

٤٠ - الملا الشيخ سعيد بن الشيخ عبد الله العرب (ت: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م):

له رسالة في آية ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(١١١)</sup>.

٤١ - السيد محمد صالح بن سيد عدنان بن علوى الموسوى البلادى مولداً والنعيم وجده فضل ومني وسامهيج مسكنأً (ت: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨/١٠/٨م):

المدفون بجوار والده في أبي عنبرة، له كتاب (مرافق التحقيق في سوابق يوسف الصديق)<sup>(١١٢)</sup>.

**٤٢- الشّيخ عبد النبي بن الحاج عبد المجيد النشابي:**  
له (أمير المؤمنين في القرآن الكريم) من إصدارات قبسات من هنا  
وهناك<sup>(١١٣)</sup>.

**٤٣- السيد كامل بن السيد هاشم الهاشمي:**  
محاضرات مكتوبة منها: (عقد الذات الإنسانية في الرؤية القرآنية) في  
حلقتين<sup>(١١٤)</sup>، (مهام القيادة الدينية في الرؤية القرآنية)<sup>(١١٥)</sup> ، وله من البحوث العامة  
المتعلقة بالدراسات القرآنية: العلاقة بين التكويني والتشريعي في نظام الوجود<sup>(١١٦)</sup>.

**٤٤- السيد محيي الدين بن السيد كاظم المشعل:**  
له (إشرافاتٌ قرآنية: ترجمة وتقرير دروس الشّيخ الجوادى الإمامى)<sup>(١١٧)</sup> وهو  
كتاب عبارة عن قسمين. القسم الأول: مجموعة مقدمات، الأولى: وفيها دروس  
خمسة عن طريقة تفسير القرآن بالقرآن، والمقدمة الثانية: فيها دروس أربعة حول  
صيانة القرآن عن التحرير.

أما القسم الثاني فقد تناول تفسير سورة الفاتحة في عشرة دروس مع محاولة  
تقديم إطلاقة حول منهج الشّيخ الإمامى في التفسير<sup>(١١٨)</sup>.  
وللسيد أيضاً (الأسرة في القرآن الكريم)<sup>(١١٩)</sup>. كما وله (ملاحظات حول طرق  
استعراض الإعجاز القرآني) في الإصدار الفصلي الأول من كتاب<sup>(١٢٠)</sup> (اللؤلؤة  
الخليج)<sup>(١٢١)</sup>.

- ومن بحوثه المنشورة في أعداد (رسالة القرآن) الصادرة من مدينة قم:
- نظرة في تفسير البرهان للعلامة السيد هاشم الحسيني البحرياني<sup>(١٢٢)</sup>.
- البحث القرآني ونظرية الاحتمال<sup>(١٢٣)</sup>.
- علوم القرآن: رأي في المنهج والتجدد<sup>(١٢٤)</sup>.
- المداية القرآنية<sup>(١٢٥)</sup>.



- تفسير القرآن في القرن العشرين<sup>(١٢٦)</sup>.

- آيات التأثير الجماهيري في القرآن الكريم<sup>(١٢٧)</sup>.

- القرآن والمعاصرة<sup>(١٢٨)</sup>.

- الملامح العامة لتفسير (من وحي القرآن) للعلامة فضل الله<sup>(١٢٩)</sup>.

#### ٤٥- الشیخ مهدی عباس علی الحوری آل بحرانی:

له كتاب: (الآيات الباهرة في مناقب العترة الطاهرة) بتقديم السيد عادل بن السيد علي العلوى، ط١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، والنالش تحسين. كما وله (وفقه الله تعالى): آية الصلاة على النبي ﷺ تحت قيد الإصدار قريباً.

#### ٤٦- الشیخ أحمد البحرياني<sup>(١٣٠)</sup>:

له كتاب: (التاؤيل)<sup>(١٣١)</sup> في جزئين.

#### ٤٧- الشیخ محمد صالح القشعی البرباري البحرياني:

له كتاب (المباهلة في الكتاب والسنة)<sup>(١٣٢)</sup>.

#### ٤٧- الشیخ عبد الحسن بن الحاج محمد رضا النصيف (مواليد ١٩٦٤ م):

له اهتمامات في الثقافة القرآنية ومشاريع جادة بعضها لا زالت مخطوطه والبعض الآخر جاهز للنشر، وبعضها لم تكتمل بعد لكن الشیخ عبد الحسن النصيف (وفقه الله تعالى) ذكر في حديث خاص، أن له كتب قرآنیة لم تطبع بعد فقد أعد مجموعة من البحوث التفسيرية ومعاجم المفردات القرآنية، مثل: (معجم) غرائب مفردات القرآن، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، وبحث (المرأة في القرآن) في خمس وعشرين صفحة تقريراً.

#### ٤٧- الشیخ محمد بن الحاج حمید سند:

له كتاب (تفسير ملاحم الحكمات): دروس تسلسلية من سورة الحمد ثم سورة البقرة مع التركيز على الآيات الحكمة. وله كتاب آخر بعنوان مقامات

الزهراء في الكتاب والسنّة<sup>(١٣٣)</sup>.

#### ٤٨- الشّيّخ إبراهيم بن الحاج قمبر الأنصارى:

له كتاب (تفسير الكتاب المبين)، وله محاضرات قرآنية لتحليل الآيات الأخيرة من سورة الحشر، وله كتاب يحوي مجموعة من البحوث القرآنية في مقدمة وخمسة فصول، وعنوانه: (دولة المهدى المنتظر: الرّجوع إلى جنة نبينا آدم عليهما السلام)<sup>(١٣٤)</sup>. وأمّا مضمون المقدمة فقد أكدت بأن التّقلّل الكبير<sup>(١٣٥)</sup> هم الرّسول عليهما السلام وأهل بيته عليهما السلام، والتّقلّل الأكبر وهو القرآن الكريم. هذا وبحث الشيخ الأنصارى كلاً من: أوصاف المهدى في القرآن وموضوعات من قبيل: السجود والعهد وجنة آدم، والهبوط ومعنى الذّكر ويوم الوقت المعلوم واستخرج النّتيجة وهي أن جنة آدم هي دولة الإمام المهدى (عجل الله فرجه وسهل الله مخرجه وثورته الكبرى) والكتاب في ٢٥٣ صفحة.

#### ٤٩- الشّيّخ عبد الشّهيد مهدي السترواي:

له كتاب (القرآن نهج وحضارة)<sup>(١٣٦)</sup>.

#### ٥٠- الأستاذ عبد الوهاب حسين إسماعيل:

له كتاب (الإنسان: رؤية قرآنية)<sup>(١٣٧)</sup>.

#### ٥١- الشّيّخ محمد صنّقور على البحرياني:

له كتاب في جزأين (شّئون قرآنية: أسئلة وأجوبة)<sup>(١٣٨)</sup>. وكتاب (زاد المُجّودين) من إصدارات حوزة المهدى بإشراف الشّيّخ صنّقور، وتأليف وإعداد كل من الأستاذ سلمان جعفر المخوضر، والأستاذ شاكر عبد الله خميس<sup>(١٣٩)</sup>.

#### ٥٢- السيد علوى بن السيد سعيد الموسوى البلادى:

له كتاب (آية العفاف)، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات عن الأحوال الشخصية في القرآن الكريم<sup>(١٤٠)</sup>.

**٥٣- الأستاذ السيد هاشم بن سيد حسن الموسوي:**

رئيس تحرير مجلة (آيات قرآنية)، له (اللؤلؤ والمرجان: أسلوب مبتكر في تعليم تفسير القرآن<sup>(١٤١)</sup>، والكتاب عبارة عن أبيات نظم حول فضائل بعض السور القصار لتسهيل حفظ معانيها ومتعلقاتها، وقد اعتمد على كتابين في التفسير وهما: (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) للشيخ ناصر مكارم، والميزان في تفسير القرآن) للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مع محاولة استعراض بعض التعليقات الروائية المقيدة بشكل موجز.

**٥٤- السيد محمود بن السيد عدنان الموسوي الجمري البحرياني:**

عضو تحرير مجلة البصائر، له (شهر الإنجاز.. معطيات قرآنية في برجمة الذات)<sup>(١٤٢)</sup>.

**٥٥- الشيخ عبد الله علي أحمد الدقاد:**

له كتاب (حقيقة مصحف الإمام علي عليه السلام عند الفريقيين<sup>(١٤٣)</sup>) يبحث العلاقة بين المصحف والقرآن المتداول، وعدم تحريف القرآن الكريم.

**٥٦- الشيخ سعيد ميرزا النوري:**

له بحث (المنهج الموضوعي القرآني)/القسم الأول<sup>(١٤٤)</sup>.

**٥٧- الشيخ فاضل عبد الجليل الزاكى:**

له بحث: (إله أم نبي؟! المسيح بين القرآن والإنجيل)<sup>(١٤٥)</sup>.

**٥٨- الشيخ عادل عبد الحسين الهنان:**

له بحث (الإعجاز القرآني)<sup>(١٤٦)</sup>.

**٥٩- الشيخ حسين فؤاد:**

له (هل عبس النبي الأكرم عليه السلام؟)<sup>(١٤٧)</sup>.



**٦٠ - الشّيّخ علي فاضل الصّدّي:**

له وقفة مع آية ﴿للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾<sup>(١٤٨)</sup>، وله أيضاً بحث (قاعدة:  
إِنَّمَا الْحَرَامُ مَا حَرَمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - فِي الْمِيزَانِ)<sup>(١٤٩)</sup>.

**٦١ - الشّيّخ جعفر عبد المهدى الشّهابي:**

له بحث بعنوان: أهل البيت في القرآن الكريم<sup>(١٥٠)</sup>.

**٦٢ - السيد ياسين السيد قاسم الموسوي:**

له بحث: الآيات القرآنية المؤولة في الإمام الحسين ع<sup>(١٥١)</sup>، كما وقام بإعداد  
بحث بعنوان: التفسير الموضوعي.. خصائصه، أسسه، وضوابطه<sup>(١٥٢)</sup>.

**٦٣ - الشّيّخ عبد الرّؤوف حسن آل ربيع:**

له بحث: قيود الغريرة الجنسية في القرآن<sup>(١٥٣)</sup>.

**٦٤ - الشّيّخ محمد علي العربي:**

له تحقيق نسخ تفسير القمي ونسخ مختصراته، في قسمين<sup>(١٥٤)</sup>، كما وله أيضاً  
(ثواب السور من كتاب قديم)<sup>(١٥٥)</sup>.

**٦٥ - الشّيّخ غازي عبد الحسن إبراهيم السماع المnamي:**

له مقالة في موضوع (الأسماء الحسنة وأهل البيت ع<sup>(١٥٦)</sup>). ولقد كتب في  
اتجاه قرآنی عنوانه: (بصمات الشيعة في حفظ القرآن الكريم)<sup>(١٥٧)</sup>، وله بحث (ابن  
تيمیة والآيات النازلة في شأن الإمام علي ع<sup>(١٥٨)</sup>، وكذلك له (وقفه الله تعالى):  
(جمع القرآن الكريم)<sup>(١٥٩)</sup>.

**٦٦ - الشّيّخ سعيد جعفر حماد:**

له بحث: (الكلام في فهم القرآن) في قسمين<sup>(١٦٠)</sup>. وأيضاً له (إعجاز نغمات  
آيات القرآن)<sup>(١٦١)</sup>.



**٦٧- الشّيّخ جعفر علي مرهون المالكي:**

له بحث (الحكومة الإسلامية قرآنياً: الإمام علي نوذجاً<sup>(١٦٢)</sup>، وكذلك له (وقفه الله تعالى): (المنتظرون لصاحب الأمر من منظور قرآن)<sup>(١٦٣)</sup>، وله أيضاً القراءات السبع.. نشأتها وحيجتها<sup>(١٦٤)</sup>.

**٦٨- السيد مرتضى السيد مجید السيد رمضان السيد علوی السندي:**

له (إثبات السنن التاريخية في القرآن الكريم)<sup>(١٦٥)</sup>. وله أيضاً (الحماسة في المنظور القرآني)<sup>(١٦٦)</sup>، وكذلك من بحوثه: (والعصر.. منهاج حياة)<sup>(١٦٧)</sup>، وله (وقفه الله تعالى) رسالة قرآنية، بعنوان: (معالم الانحراف السياسي في المنظور القرآن) لنيل درجة البكالريوس من جامعة آل البيت عليه السلام سنة ٢٠١١م.

**٦٩- الشّيّخ قصي بن الشّيّخ علي العربي:**

له (العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم)<sup>(١٦٨)</sup>. وكذلك له أيضاً - (منقذنا عليه السلام): دراسات توضيحية من خلال الآيات القرآنية<sup>(١٦٩)</sup>. وله (وقفه الله تعالى) أيضاً بحث بعنوان: (قرآننا.. والقواعد الأصولية والفقهية)<sup>(١٧٠)</sup>.

**٧٠- الشّيّخ عيسى جاسم القفاص:**

له (إشارات أخلاقية من القرآن الكريم)<sup>(١٧١)</sup>.

**٧١- الشّيّخ صادق سليمان المبارك:**

له (ملامح الإبداع في التجربة التفسيرية للشهيد الصدر قدس سره الشريف)<sup>(١٧٢)</sup>.

**٧٢- الشّيّخ محمد علي خاتم:**

له (مكانة القرآن عند المسلمين)<sup>(١٧٣)</sup>.

**٧٣- الشّيّخ عبد الله عبد النبي ضيف:**

له بحث (آية التطهير)<sup>(١٧٤)</sup>.

## المواهش:

- (١) للدكتور محمد جابر الأنباري (ولد ١٩٣٩م) كتاب (رؤى قرآنية للمتغيرات الدولية، وشواغل الفكر بين الإسلام والعصر) طبع بيروت، وعمان، والنادر المؤسسة العربية للدراسات والنشر. والأستاذ عبد العليم عبد الرحمن حضر له كتاب (هندسة النظام البيئي في القرآن الكريم)، طُبعَ في المنامة ١٩٩٥م، والنادر: دار الحكمة.
- (٢) محاولة الرصد القرآني من القرن الثامن الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري.
- (٣) دراسة أسباب النزول عند صاحب البرهان للسيد هاشم التوبلاني، ومحاولة استنطاق المنهج التفسيري لدى صاحب الحدائق، ومقارنته الآيات الناسخة عند ابن المتوج والسيد الخوئي، ونقد المرويات الإسرائيليّات في البرهان.
- (٤) (العنوان يشمل: التفسير، علوم القرآن، التجويد، القراءات القرآنية، الدراسات القرآنية).
- (٥) (وهو غير الشيخ أحمد بن صالح المدفون بجهنم المتوفى سنة ١١٣٤هـ وهو من آل عصفور).
- (٦) موسوعة مؤلفي الإمامية، ج ٤، ص ٣ مؤسسة دار طيبة، برقم ١٢/١١.
- (٧) (انظر: حاضر البحرين /الشيخ ابراهيم التوبلاني، ص ٦١).
- (٨) هذا وقد رد الشيخ فاضل الزاكى التعدد بمجموعة من الشواهد.
- (٩) (انظر: مرآة الكتب /علي بن موسى بن محمد شفيع، ج ١، ص ٢٧٨).
- (١٠) ابن سلامة، هبة الله بن سلامة البغدادي (ت:?).
- (١١) (هكذا وردت وال الصحيح: المنسوخة)
- (١٢) (انظر: مقدمة تحقيق كتاب الآيات الناسخة والمنسوخة، ط ١ قم ١٤٢٢هـ، ص ١٦-١٧).
- (١٣) (انظر: معجم مؤرخي الشيعة، ج ٢، ص ٤٤٩).
- (١٤) يلاحظ: أن ابا علي الفضل الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) صاحب (جمع البيان) هو غير أبو منصور الشيخ أحمد بن علي الطبرسي (ت: ٥٠٠هـ) صاحب (الاحتجاج) و(مكارم الأخلاق).
- (١٥) لعله الكشاف للزمخشري محمد بن عمر بن محمد الشافعي الأصل والمعتزلي الحنفي (ت: ٥٣٢هـ - ١٤٤م).
- (١٦) (انظر: مجمع البيان، ج ٣، ص ١٠٢٧ ، اسم الكتاب (تفسير جوامع الجامع).

- (١٧) (انظر: مقدمة التحقيق في ترجمة الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ - ١١٥٤ م) لحسن الحسيني العاملي، ص ٥٩ ج ١ ط ١، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، دار المعرفة).
- (١٨) يلاحظ أن هذا المختصر ط ١، بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، دار الزهراء.
- (١٩) (انظر: مختصر مجمع البيان للناصري، ج ١، ص ٥).
- (٢٠) (انظر: الذريعة ٣/ ٣٧٤).
- (٢١) طبع في مشهد سنة ١٤٢٦ هـ والناشر مجمع البحوث الإسلامية التابع للروضة الرضوية.
- (٢٢) الأعراف / ٧.
- (٢٣) الأنعام / ٢.
- (٢٤) فاطر / ٤٣.
- (٢٥) يوسف / ١٢.
- (٢٦) الانعام / ١.
- (٢٧) عبس / ٤١ و ٤٠.
- (٢٨) البقرة / ١٦٩.
- (٢٩) غافر / ٧٥.
- (٣٠) طه / ٦٨، والأنبياء / ٣.
- (٣١) طه / ١١٢.
- (٣٢) لقمان / ٢٠.
- (٣٣) الأنعام / ١٠.
- (٣٤) التكاثر / ٥.
- (٣٥) آل عمران / ١٥٣.
- (٣٦) النساء / ٥٦.
- (٣٧) هود / ٦.
- (٣٨) غافر / ١١.
- (٣٩) النساء / ٤.
- (٤٠) لقمان / ١٤.
- (٤١) الكهف / ٣١، والدخان / ٥٣.

- (٤٢) الأعراف/١٦٠.
- (٤٣) البقرة/٦٠.
- (٤٤) التوبية/١.
- (٤٥) التوبية/٣.
- (٤٦) الأعراف/٣٣.
- (٤٧) إبراهيم/٢٤.
- (٤٨) التوبية/١٠١.
- (٤٩) انظر: الحالة الثقافية في عصر السيد هاشم البحرياني/د. النويجري، مجلة (الساحل)، العدد (٩) سنة ٢٠٠٢م، ص ١٥٩.
- (٥٠) (انظر: الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر / العصفور، ج ١، ص ١٦٢).
- (٥١) (راجع: مصورة النسخة المخطوطة في دار طيبة برقم ١٤١ عن أصل نسخة مجلس الشورى الإسلامي بطهران).
- (٥٢) (انظر: موسوعة شعراً البحرين / الشیخ آل مکباس، ج ٢، ص ١٨٢).
- (٥٣) من أبياته وهو في أيام الغربة في بلاد الهند: الهندُ بعد صلاة الليل في (القدم)؟! \* يا ضيعة العمر بل يا زلة القدم.
- (٥٤) (انظر: مصورات مخطوطات دار طيبة).
- (٥٥) (انظر: موسوعة شعراً البحرين / آل مکباس، ج ١، ص ١٧٩-١٨٠).
- (٥٦) (انظر: فوائد الأسفار، ج ١، ص ١٣٨).
- (٥٧) (انظر: موسوعة شعراً البحرين / آل مکباس، ج ١، ص ١٨٠).
- (٥٨) (انظر: موسوعة شعراً البحرين / الشیخ آل مکباس، ج ٢، ص ١٠٠).
- (٥٩) سورة الأعراف/١٧٢.
- (٦٠) (راجع: القسم الأول / علوم القرآن الكريم من فهارس مخطوطات القطيف والأحساء والبحرين في مكتبات إيران / الشیخ مهدي عبد الله المقداد - مجلة (التراث)، العدد (١٢، ١١)، ص ١٥٠).
- (٦١) (انظر: الذريعة: ١٣: ١٨٧) - وكذلك راجع كتاب الإجازة الكبيرة إلى الشیخ ناصر الجارودي القطيفي مؤلفها الشیخ عبد الله السماهيجي، تحقيق الشیخ مهدي العوازم القطيفي،

ص (٣١).

- (٦٢) (راجع: مصورات دار طيبة نقلًا عن مخطوطات مكتبة المرعشي النجفي: منية الممارسين في أوجبة الشيخ ياسين، منسوبة سنة ١١٢٦ هـ).
- (٦٣) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر / آل عصفور، ص ١٤٤.
- (٦٤) الذخائر، ص ٢٣٤، رقم (١٦١).
- (٦٥) الذخائر، ص ٢٣٧، رقم (١٦٩).
- (٦٦) الذخائر، ص ٢٣٦، رقم (١٦٨).
- (٦٧) أعيان الشيعة ١٢٥/٣٨.
- (٦٨) (انظر: الدرية ١٢٩/٢٤).
- (٦٩) (راجع: موسوعة شعاء البحرين، ج ٣، ص ٦٩٣، نقلًا عن مخطوطتي (الذخائر) للعصفور و(منتظم الدررين) للتاجر).
- (٧٠) (راجع: مصورات مخطوطات دار طيبة ٩/٢٩).
- (٧١) (راجع: موسوعة شعاء البحرين، ج ٣، ص ٢٣٨ - نقلًا عن مخطوطتي (الذخائر) للعصفور و(منتظم الدررين) للتاجر، ومطبوع أنوار البحرين للبلادي).
- (٧٢) (انظر: أنوار البحرين ٢٤٤/١٨. وقد ذكرها صاحب معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية، ج ١، ص ٢٨).
- (٧٣) (انظر: أعيان الشيعة ٥٣/٥٩).
- (٧٤) (انظر: موسوعة شعاء البحرين / آل مكباس، ج ١، ص ٤٨).
- (٧٥) الظاهر أن الصحيح الحسين وهو الشيخ حسين العلامة المتوفي سنة ١٢١٦ هـ، له مفاتيح الغيب.
- (٧٦) (انظر: الدرية ٣٠٥/٢١).
- (٧٧) (انظر: الدرية ٤٩/١٥).
- (٧٨) (انظر: معجم المؤلفات، ج ٢، ص ٣١).
- (٧٩) السبه: هكذا ورد خطأً مطبعي، وال الصحيح: السبع.
- (٨٠) فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار / آل مكباس، ج ١، ص ٨٢.

- (٨١) (انظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم / ابازی، ج ٢، ص ٦٨٥).
- (٨٢) (راجع: المحجة البيضاء بتحقيق وتعليق على أکبر الغفاری، ط١ قم، جامعة المدرسین .٥:٢).
- (٨٣) (راجع: المفسرون حياتهم ومنهجهم / السيد محمد علي ابازی، ج ١ طهران، وزارة الثقافة والإرشاد).
- (٨٤) (الذریعة ٢٤٢/١٥).
- (٨٥) (أنوار البدرين، ص ٢٣٢).
- (٨٦) اعتمد على مصدرین سنتین أحدهما ربیع الأبرار للزمخشري، والکشاف للزمخشري. وكتاب موفق بن أحمد في روایات النبي ﷺ.
- (٨٧) (الذریعة ٣٤٠/٢٤).
- (٨٨) (انظر: القطیف وملحقاتها / الشیخ عبد العظیم المشیختص، ص ٥٤٨).
- (٨٩) (راجع: معجم المؤلفات / آل جمیع، ج ٢، ص ٣٠ - الذخائر / العصفور، ص ٢٥٢).
- (٩٠) (انظر: بعض فقهاء البحرين، ص ٩٢).
- (٩١) (فوائد الأسفار، ج ١، ص ٩٣-٩٤).
- (٩٢) (انظر: المخطوطات العربية / الحسيني الاشکوري، ج ١، ص ١١٧-١٨٨/مع اختصار أو تصرف طفیف في العبارة ).
- (٩٣) (راجع: القسم الأول / علوم القرآن الكريم من فهارس مخطوطات القطیف والإحساء والبحرين في مكتبات إیران / الشیخ مهدی عبد الله المقادد-مجلة (التراث)، العدد (١١، ١٢)، ص ١٤٩-١٥٠).
- (٩٤) (راجع: كتاب المخطوطات العربية في مركز إحياء التراث الإسلامي / السيد أحمد الحسيني، ج ١، ص ٦٤).
- (٩٥) (فهرست المخطوطات والمصورات للحسيني الأشکوري، ص ٧٦، تسلسل ١٢٤٥ / نسخة مخطوطة برقم: ٢٤٣٨، وأخرى مصورة: ٦٥٣٥ (مركز ٢٤٣٨)).
- (٩٦) (الصلوة والسلام... في ختم القرآن الكريم، أو ختمة القرآن بالصلوة والسلام... / السيد إبراهيم بن السيد محسن الغریفی، ط١ قم، ١٤٢٨ هـ- دار التراث البحراني).
- (٩٧) (انظر: بعض فقهاء البحرين، ص ٨٩).

- (انظر: فهرس مخطوطات مكتبة آل عصفور في (بوشهر)، رقم (٥) في الروضة الرضوية بمشهد).

(٩٩) (راجع: القسم الأول / علوم القرآن الكريم من فهارس مخطوطات القطيف والأحساء والبحرين في مكتبات إيران / الشيخ مهدي عبد الله المقداد - مجلة (التراث)، العدد (١٢، ١١)، ص ١٥٢).

(١٠٠) (راجع: القسم الأول / علوم القرآن الكريم من فهارس مخطوطات القطيف والأحساء والبحرين في مكتبات إيران / الشيخ مهدي عبد الله المقداد - مجلة (التراث)، العدد (١٢، ١١)، ص ١٥٢).

(١٠١) الظاهر الشیخ محمد علی بن محمد تقی وینتهی نسبه إلى جده صاحب المذاق.

(١٠٢) (الذخائر، رقم ١٨٧)، ص ١٤٨.

(١٠٣) هكذا ورد، ويحمل: (الشهرکانی).

(١٠٤) (راجع: فهارس مخطوطات القطيف والأحساء والبحرين في مكتبات إيران / الشيخ مهدي عبد الله المقداد - مجلة (التراث)، العدد (١٢، ١١)، ص ١٥٣).

(١٠٥) فوائد الأسفار / الشیخ محمد آل مکباس، ج ١، ص ٤٤.

(١٠٦) (راجع: القسم الأول / علوم القرآن الكريم من فهارس مخطوطات القطيف والأحساء والبحرين في مكتبات إيران / الشيخ مهدي عبد الله المقداد - مجلة (التراث)، العدد (١٢، ١١)، ص ١٥٣).

(١٠٧) بعض الكتب تعبّر شيخاً والظاهر هو من السادة واسمه السيد محمد أمين بن السيد علي بن السيد صافي آل عبد العزيز.

(١٠٨) (انظر: معجم طبقات المتكلمين / السجحاني، ج ٥).

(١٠٩) أشعة من القرآن / الشیخ محمد أمین زین الدین، ط ١، النجف، ١٩٦٩م.

(١١٠) آية التطهير في الخمسة أهل الكساء / الغريفي، ط ١، النجف، ١٩٥٨م.

(١١١) راجع: راحلو المنبر الحسيني / مجید فتیل، ص ٦١، ترجمة (رقم: ٢٥).

(١١٢) مرافق التحقيق في سوابق يوسف الصدّيق / السيد محمد صالح بن سيد عدنان الموسوي، ط ١، المنامة، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، المكتبة العدنانية / مؤسسة الأعلمى.

(١١٣) القيسة رقم (١٠٠)، ط ٥، المنامة، إصدار مكتب الشیخ الشابا.



- (١١٤) انظر: *أصول المخاضرات* / السيد كامل الهاشمي، ط١، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، أم القرى، ص ٢٧٠-٢٧٥.
- (١١٥) انظر: *أصول المخاضرات* / الهاشمي، ط١، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، أم القرى، ص ٧٥٢-٧٥٥.
- (١١٦) راجع: *رسالة القرآن*، قم، العدد (١٠)، ص ١٨٣-١٩٦.
- (١١٧) إشرافات قرآنية / المشعل، ط١، المنامة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، مكتبة فخراوي.
- (١١٨) راجع المصدر السابق نفسه.
- (١١٩) انظر: *(الأسرة في القرآن الكريم)* / السيد محي المشعل، ط١، قم، ٢٠٠٤ م، مركز الدراسات القرآنية التخصصي.
- (١٢٠) طبع مرة بعنوان كتاب، ومرة أخرى تحت مسمى مجلة (*الؤلؤة الخليج*)، العدد (١)، رجب ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- (١٢١) راجع: ص ٢٥-٢٠ من (*الؤلؤة الخليج*) الكتاب الفصلي الأول / بإشراف أبو رضا آل عصفور، سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- (١٢٢) رسالة القرآن، العدد (٦) - سنة ١٤١٢ هـ، ص ٥١-٢٤.
- (١٢٣) رسالة القرآن، العدد (١٣)، ص ١٨٣.
- (١٢٤) رسالة القرآن، العدد (١٦)، ص ٢٩.
- (١٢٥) رسالة القرآن، العدد (١٥)، ص ٥٥.
- (١٢٦) رسالة القرآن، العدد (١٠) - سنة ١٤١٣ هـ، ص ١٠٥-١١٤.
- (١٢٧) رسالة القرآن، العدد (١١)، ص ١٩٣.
- (١٢٨) رسالة القرآن، العدد (١٢) - سنة ١٤١٣ هـ، ص ١٩٥-٢٠٤.
- (١٢٩) رسالة القرآن، العدد (٤) - سنة ١٤١١ هـ، ص ٥٨-٦٥.
- (١٣٠) رغم أنه معاصر لكن لم نتمكن من معرفة اسمه الثلاثي لحد الآن وهو ينتمي إلى توبلي أو مدينة عيسى وحالياً من مناطق البحرين حسب نقل الشيخ عبد الحسن النصيف.
- (١٣١) التأويل: *منهج الاستنباط في الإسلام* / أحمد البحرياني. ط٢، ١٩٩٩ م، دار التأويل للطباعة والنشر.
- (١٣٢) المباحثة في الكتاب والسنة أو معجزة الحوار / محمد صالح القشعبي، ط١، المنامة،

- (١٤٢٤) هـ ٢٠٠٣ م، دار المصطفى.
- (١٣٣) مقامات الزهراء في الكتاب والسنّة / الشيّخ محمد سند، ط١، قم، ١٤٢١٧ هـ.
- (١٣٤) دولة المهدي المنتظر / الشيّخ إبراهيم الأنصاري، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، الكوثر.
- (١٣٥) تعبير الإمام الخميني (رضوان الله عليه) في وصيته.
- (١٣٦) (القرآن نهج وحضارة) / الشيّخ عبد الشهيد الستراوي، ط٢، بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- (١٣٧) الإنسان: رؤية قرآنية / عبد الوهاب حسين إسماعيل، ط١، المنامة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، دار العصمة.
- (١٣٨) الشؤون القرآنية / الشيّخ محمد صنفور علي، ط١، قم، ٢٠١٠ م، حوزة المهدي.
- (١٣٩) كتاب (زاد المُجودين) / حوزة المهدي (الستانيس-البحرين)، ط١، قم، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- (١٤٠) آية العفاف / السيد علوى الموسوى البلادى، ط١، المنامة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (١٤١) اللؤلؤ والمرجان / السيد هاشم الموسوى، ط١، المنامة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، جمعية الذّكر الحكيم لعلوم القرآن.
- (١٤٢) راجع: مجلة (القرآن نور)، العدد (٩) / ١٤٢٩ هـ، ص ١٥٣ - ١٦٨.
- (١٤٣) مصحف الإمام علي عليه السلام / الشيّخ عبد الله علي الدقاق، ط١، قم، ١٤٣٠ هـ، منشورات دليل ما.
- (١٤٤) (راجع: رسالة القلم، العدد (٨) - شوال ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٦ م).
- (١٤٥) (انظر: رسالة القلم، العدد (٣)، ص ١٤ والعدد (٤)، ص ١٥).
- (١٤٦) (انظر: رسالة القلم، العدد (٧)، ص ١٨).
- (١٤٧) (راجع: رسالة القلم، العدد (٨) - شوال ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٦ م).
- (١٤٨) (راجع: رسالة القلم، العدد (٩) - محرم ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).
- (١٤٩) (راجع: رسالة القلم، العدد (١٥)، ص ١٩٠).
- (١٥٠) (راجع: رسالة القلم، العدد (١١) - رجب ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ٨٦ - ٩٧).
- (١٥١) (راجع: رسالة القلم، العدد (٢١) - محرم ١٤٣١ هـ - ٢٠٠٩ م).
- (١٥٢) (انظر: رسالة القلم، العدد (٢٦)، ربيع الثاني ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م).

- (١٥٣) (راجع: رسالة القلم، العدد(١٦)- شوال١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م.).
- (١٥٤) القسم الأول راجع: رسالة القلم، العدد(٢٤)- شوال١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م، والقسم الثاني انظر: رسالة القلم، العدد(٢٥)- محرم١٤٣٢ هـ-٢٠١٠ م، ص ١٧٤ إلى ١٩٣.
- (١٥٥) (انظر: رسالة القلم، العدد(٢٦)، ربيع الثاني١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م.).
- (١٥٦) (انظر: رسالة القلم، العدد(٤)- شوال١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.).
- (١٥٧) (راجع: رسالة القلم، العدد(١٠)- ربيع الثاني١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م، ص ٦٢-٨٧).
- (١٥٨) (راجع: رسالة القلم، العدد(٢٣)- رجب١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م.).
- (١٥٩) (انظر: رسالة القلم، العدد(٢٦)، ربيع الثاني١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م.).
- (١٦٠) القسم الأول راجع: رسالة القلم، العدد(١٠)- ربيع الثاني١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م، ص ٣٧-٦١، والقسم الثاني راجع: رسالة القلم، العدد(١١)- رجب١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م، ص ٤٨-٨٥.
- (١٦١) (انظر: رسالة القلم، ١١، ص ١١٦).
- (١٦٢) (راجع: رسالة القلم، العدد(٢٣)- رجب١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م، ص ٩٩-١١١).
- (١٦٣) (انظر: رسالة القلم، العدد(١٩)، ص ٧٨).
- (١٦٤) (انظر: رسالة القلم، العدد(٢٦)، ربيع الثاني١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م.).
- (١٦٥) (راجع: رسالة القلم، العدد(٢٠)- شوال١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩ م، ص ١٧١-١٨٧).
- (١٦٦) (انظر: رسالة القلم، العدد(١٥)- رجب١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م، ص ١٥٩-١٧١).
- (١٦٧) (انظر: رسالة القلم، العدد(٢٦)، ربيع الثاني١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م.).
- (١٦٨) (انظر: رسالة القلم، العدد(١٥)- رجب١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م، ص ١٢١-١٥٨).
- (١٦٩) (انظر: رسالة القلم، العدد(١٩)، ص ١١١).
- (١٧٠) (انظر: القسم الأول في مجلة رسالة القلم، العدد(٢٦)، ربيع الثاني١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م، والقسم الثاني في هذا العدد(٢٧)).
- (١٧١) (انظر: رسالة القلم، العدد(٢٦)، ربيع الثاني١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م.).
- (١٧٢) (انظر: رسالة القلم، العدد(٢٦)، ربيع الثاني١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م.).
- (١٧٣) (انظر: رسالة القلم، العدد(٢٦)، ربيع الثاني١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م.).
- (١٧٤) (انظر: رسالة القلم، العدد(٢٣)، رجب١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م.).



## قرآننا والقواعد الأصولية والفقهية

(القسم الثاني)

### تُصيِّرُ أَشْجَنَ عَلَى الْعَرَبِيِّ

قرآننا، وظهور الأمر في جملة ﴿فَسَأَلُوهُنَّ﴾ على الوجوب

جاء هذا الحكم في باب الحجاب، حيث يقول تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلُتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾<sup>(١)</sup>.

إن هذا الأمر كان ولا يزال متعارفاً بين العرب وكثير من الناس أنهم إذا احتاجوا شيئاً من لوازم الحياة ووسائلها فإنهم

يستعيرونها من غير انهم مؤقتاً، ولم يكن بيت النبي ﷺ مستثنى من هذا القانون، بل كانوا يأتون إليه سواءً كان الوقت مناسباً أم غير مناسبٍ، ويستعيرون

من نساء النبي ﷺ شيئاً، ومن الواضح أنَّ جعل نساء النبي ﷺ عرضةً لأنظار الناس - وإن كنَّ يرتدين الحجاب الإسلامي - لم يكن بالأمر الحسن، ولذلك صدر الأمر إلى الناس أن يأخذوا الأشياء من خلف حجاب أو من خلف الباب.

«الحِجَاب» في اللغة هو الشيء الذي يحول بين شيئين<sup>(٢)</sup>، ولذلك أطلق على الغشاء الموجود بين الأمعاء والقلب والرئة اسم (الحِجَاب الحاجز). وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة بمعنى الحاجل أو الساتر في عدة مواضع كقوله تعالى:

﴿جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾<sup>(٣)</sup> أي: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبينهم حِجَاباً مستوراً عن الحسّ يحجبهم عن فهم ما تقرأ.

ونقرأ في قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتِ الْحِجَابِ﴾<sup>(٤)</sup> أي: استترت، وهي حينما استمر سليمان ينظر إلى الخيل وهي تمر أمامه حتى توارت بحجاب البعد عن نظره. وجاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكُلُّمَ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾<sup>(٥)</sup> أي: وما كان لإنسان أن يكلمه الله إلا بطريق ثلاثة:

١- يكلمه وحيًا مباشرةً بدون واسطة بأن يُلقى في قلبه ما يشاء.

٢- أو يكلمه من وراء حجاب كما كلام الله موسى عليه السلام من شجرة طور سيناء، وكما أوحى الله لإبراهيم عليه السلام في منامه.

٣- أو يرسل ملكاً رسولاً كجبرئيل فيوحي بإذن الله ما يشاء الله سبحانه. وهو تعالى يُوحِي بهذه الطرق لأنَّه علا عن صفات المخلوقين فلا يُدرك بالأبصار ولا يُكلِّمهم كما يكلِّم بعضهم بعضاً، ولأنَّه حكيم يفعل ما يريد بأفضل الأساليب.

أما في كلمات الفقهاء فقد استعملت كلمة «الستر» فيما يتعلق بلباس النساء منذ قديم الأيام وإلى يومنا هذا، وورد أيضاً في الروايات الإسلامية هذا التعبير أو ما يشبهه، واستعمال كلمة «الحِجَاب» في شأن لباس المرأة اصطلاح ظهر في

عصرنا، وإذا وجد في التواريخ والروايات فقليلٌ جدًّا.

والشاهد الآخر هو ما نقرؤه في الحديث المروي عن أنس بن مالك خادم النبي ﷺ الخاص، حيث يقول: أنا أعلم الناس بهذه الآية -آية الحجاب- لما أهديت زينب إلى رسول الله كانت معه في البيت صنع طعاماً، ودعا القوم فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النِّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ﴾ فضرب الحجاب وقام القوم.<sup>(٦)</sup> وفي رواية أخرى عن أنس أنه قال: أرخي الستر بيدي وبينه، فلما رأى القوم ذلك تفرقوا<sup>(٧)</sup>، وبتعبير آخر: إنَّ النَّاسَ قَدْ أَمْرَوْا أَنْ يسأَلُوا نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ مَا يَبْغُونَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، خاصَّةً وَأَنَّ التَّعبيرَ بـ«وراء» يَشَهِّدُ لِهَذَا الْمَعْنَى. ولذلك بين القرآن الكريم فلسفة هذا الحكم فقال:

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لُقْلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾<sup>(٨)</sup>.

حيث يتَّضحُ لَنَا مِنْ خَلَالِ حِكْمَةِ هَذَا التَّشْرِيعِ الْوَقَائِيَّةِ مِنَ الذَّنْبِ، وَالَّتِي لَا تَتَمَّ إِلَّا بِطَهَارَةِ الْقَلْبِ، وَهَذِهِ الطَّهَارَةُ لَا تَتَأْتَى إِلَّا بِابْتِدَاعِ الْإِنْسَانِ عَنِ أَسْبَابِ الْمُعْصِيَّةِ، وَالَّتِي مِنْ بَيْنِهَا حِدِيثُ الْمَرْأَةِ مَعَ الرَّجُلِ وَبِالذَّاتِ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ حِجَابٍ بَيْنَ الْطَّرَفَيْنِ، ذَلِكَ أَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْمَرْأَةِ كَمَا مِنْ طَبِيعَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَمْلِيَ أَحَدُهُمَا لِلآخرِ بِالْغَرِيْزَةِ، وَلَعِلَّ الْحِدِيثَ بَيْنَهُمَا بِغَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي تَهْدِيُهُ إِلَيْهِ الْآيَةُ يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْمُعْصِيَّةُ.

وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّعْلِيلِ لَا يُنَافِي الْحِكْمَةِ الْاسْتِحْبَارِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ ظَهُورَ الْأَمْرِ فِي جَمْلَةِ ﴿فَسَأَلُوهُنَّ﴾ لَا يَنْزَلُ فِي دَلَالِهِ عَلَى الْوَجُوبِ، لَأَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّعْلِيلِ قَدْ وَرَدَ أَحِيَّانًا فِي مَوَارِدِ أَحْكَامٍ وَاجِبَةٍ أُخْرَى.

## استدلال الأصوليين من عبارة **﴿فَلِيَحْذِرَ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾**<sup>(٩)</sup> بأنَّ أَوْامِرَ الرَّسُولِ ﷺ تَدْلِي عَلَى الْوَجُوبِ

أنَّ احترام القيادة في قراراتها يجب أن ينعكس على احترامها في الظاهر أيضًا، فلو نطقت باسم الرسول ﷺ، أو باسم قيادتك كما تنطق باسم الآخرين دون أيّ احترام، أو إذا جلست إلى الرسول ﷺ ترفع صوتك أمامه، كما ترفعه أمام الآخرين أو تناديهم من وراء الحجرات كما تنادي الآخرين، فإنَّك لَن تكون مستعدًا بعد ذلك لتلقي أوامره ومن ثمَّ تنفيذه، إذًا لا بدَّ من إعدادٍ نفسيٍّ كامل سلفًا، لتلقي أوامر الرسول ﷺ أو القيادة الرسالية التي تمثله على الواقع، كأنَّ يتوضأُ الفرد قبل الذهاب إلى مجلس الرسول ﷺ، أو يغسل إنْ كان عليه غسل، ثمَّ يجلس في محضره مجلس المستفيد، ليقتبس من علمه بتركيز تفكيره في كلامه، وتفریغ نفسه لتطبيق تعاليمه، وهكذا حتى ينتهي الأمر به إلى تنفيذ أوامر القيادة بشكل دقيق جدًّا. فحينما تُحترم القيادة تطبق أوامرها وتوجيهاتها.

- **﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾**<sup>(١٠)</sup>، أي: لا تجعلوا - أيها المسلمون - نداء الرسول ﷺ كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت به، ولكن اجعلوا نداءه بلقبه مثل: يا نبي الله، يا رسول الله، بتعظيم وتواضع وخفض الصوت (أو: لا تجعلوا نداء الرسول ﷺ لكم واستدعاءه إياكم كاستدعاء بعضكم بعضاً، فإنَّ المبادرة إلى تلبية دعوته واجبة والانصراف من حضرته بدون إذنه حرام، خلافاً لدعوة بعضكم بعضاً) احذروا من ذلك **﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنْكُمْ﴾** أي: يخرجون برفق وحيلة أي: شيئاً فشيئاً **﴿لَوَادَأُ﴾** أي: مستترین بعضهم ببعض، فيتسلّلون خلسة دون أن يشعر بهم الرسول ﷺ أو يراهم وهم يخرجون من مجلسه بدون استئذان غير عابئين بدعوة الرسول ﷺ ولا معتنين بها **﴿فَلِيَحْذِرَ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ﴾** النبي ﷺ بهذه

الأعمال ويعرضون عن أمره من «أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أي: محنٌة ومصيبة في الدنيا أو يصيّبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الآخرة. وفي حديث مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام: «يُسْلِطُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا جَائِرًا، أَوْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ»<sup>(١١)</sup>، الواقع يقول: أنّ هناك رابطة وثيقة بين سيطرة الطغاة وبين مخالففة أوامر القيادة الشرعية. إنّ المقصود -كما يعرف قارئي النبيه- أنّ المقصود من «الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» ليس فقط مخالففة الأوامر الظاهرية، بل أيضاً مخالففة روح القيادة. إنّهم استطاعوا أن يتسلّلوا ل渥اً وأن يهربوا خلسة، ولكن هل أصبحوا في مأمن كما يزعمون؟!

كلا، بل إنّهم يعرضون أنفسهم للفتنة، وللعقاب الشّرعي في الدنيا وفي الآخرة.  
الرسول عليه صَلَوةُ اللهِ وَسَلَامٌ في يوم ما، وأصدر إلىهم أوامر مباشرة بحمل السلاح، والتوجه إلى  
الغزو -مثلاً-، فإنّهم في هذه الحالة أمام موقفين، فإما الانصياع إلى الأوامر، وهذا  
خلاف ما يريدون، وإما الرفض فيخرجون بذلك -ظاهراً وباطناً عن الإسلام،  
ويضعون أنفسهم تحت طائلة العقاب الشرعي في الدنيا وفي الآخرة.

وعلى فرض أنّهم اختاروا الأمر الأوّل، فإنّهم سيجدون صعوبة بالغة في تنفيذ الأوامر، لأنّ الذي لم يربّ نفسه على تنفيذ الأوامر الصغيرة لا يستطيع ذلك في القضايا الكبيرة، والذي يهرب اليوم من الحر والبرد، وسهر الليل ومشاكل التدريب وما أشبهه، كيف لا يهرب غداً من الحرب والقتال؟! إذن فعلى الإنسان أن يربّ نفسه على الطاعة والانضباط وتحمّل الصعاب حتى يكون على أتمّ الاستعداد النفسيّاً وبدنيّاً لتطبيق الأوامر الهامة.

قرآننا، وكون الأمر والنهى إرشادياً

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِي﴾ لقد حدد الله سبحانه  
المهد من القرآن الكريم (التقوى والتذكرة)، وكمثال على هذين المهدفين يذكر الله

قصة آدم عليه السلام عندما نهاد عن الشجرة وحدّر من الشيطان أن يخرجه من الجنة، فلا هو أتقى الشيطان ولا هو تذكر نهي الله له.

ومن كلمة «نسي» نستنتج أن عصيان آدم لم يكن متعمداً، ويدل على ذلك عجز الآية **﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزَمًا﴾** أي: عزماً على ترك المعصية، كما أن النسيان ضد التذكرة، وعهدنا بمعنى أمرنا، فهو لم يتحدد ذلك الأمر إنما نسيه.

**﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزَمًا﴾** وهناك تفسيران لهذه الآية:

١- أن آدم عليه السلام نسي العهد الإلهي ولكن لم يجد له عزماً على الخطيئة أي تعمداً.

٢- لم يكن آدم من أولي العزم وأولوا العزم خمسة هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهما السلام، وهذا التفسير تأكيد للقول بأن الإرادة (العزم) قناع الغفلة والنسيان.

**﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي﴾** إن سجود الملائكة الموكلة بالطبيعة للإنسان يعني أن الله سخرها للبشر، بل يبقى إبليس موكل بالنفس الأمارة التي لن تسجد لله إلا أن يجبرها الإنسان على ذلك.

**﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّى﴾** بين الله لآدم وزوجته، أن إبليس عدو لها، يسعى لإخراجهما من الجنة، ونستفيد من هذه الآية عدة أفكار:

١- أن الإنسان بحاجة إلى أن يعرف عدوه إبليس ويتذكر ذلك أبداً.

٢- أن عداوة إبليس للمرأة كعداوه للرجل، وبالتالي على المرأة أن تكون على أشد الخدر كما على الرجل سواءً بسواء.

٣- أن هدف الشيطان هو إضلال البشر وجرّهم إلى الشقاء المادي والمعنوي، ووسيلته في ذلك التغريب والمكر والخداع.

﴿إِنَّكَ أَلَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنْكَ لَا تَنْظَمُوا فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾، هذه أربع من النعم المادية التي أودعها الله في الجنة وهي نعمة: الأكل، واللباس، والشراب، والمسكن. ولكن هل يترك الشيطان الإنسان لسبيله؟ كلا. ﴿فَوَسَوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدْلُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكِ لَيْلَى﴾ نستوحى من هذه الآية الكريمة أفكاراً عديدة تعالج قضايا هامة، لا زال بعضها موضع بحث ودراسة عند المفسرين:

١- أن الشيطان يوسوس للإنسان، فيستثير طبائعه الدفينة، ويدغدغ تمنياته المكبوتة، ويحرّك تلك الغرائز الحامدة، وهو يفعل كل ذلك بهدف التشويش على بصره، والتمويه عليه، وزرع الشبهات في قلبه، وإلقاء التبريرات والتسوّلات في نفسه. وهكذا لا يكفي المذر من إغواء الشيطان المباشر، بل علينا أن نعرف أنه يشوّش علينا، ويشبه الأمور وبخلط الحق بالباطل، ويذكر ويكيّد، ويغير ويخدع، إن علينا أن نكون في قمة المذر، وإلا وقعنا في شركه.

٢- وأدم أول من وقع في مصيدة إبليس، فهو لم يعزم عصيان ربه، بل أنساه الشيطان أمر الرب، وخدعه حيث حلف له بالله كذباً أن الله لم ينهه عن تلك الشجرة.

ولم يكن آدم يعلم أنه من الممكن أن يحلف أحد بربه كاذباً، ثم شبّه عليه بأنّ المنهي عنه إنّما هو شجرة معينة من الحنطة، وليس كل أشجار الحنطة، وهنا استفاد إبليس من نقطة ضعيفة عند البشر، وكانت أدلة وسوسته إثارة مشاعر حب الخلود والملك عند البشر، جاء في حديث شريف عن جميل بن دراج عن أحد الصادقين عليهما السلام: «سألته: كيف أخذ الله آدم بالنسوان؟ فقال: إنه لم ينس، وكيف ينسى وهو يذكره ويقول له إبليس: ما نهاكم ربيكم عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين».<sup>(١٢)</sup>

٣- غريزتا الملك وحب الخلود غريزتان متأصلتان في أعماق الإنسان، فبالرغم من أن الله أسكن آدم وحواء الجنة - وهي دار الخلود - إلا أنهما لا زالا ينتابهما الشعور بالنهاية، وقد أثار الشيطان فيهما هاتين الغريزتين، وهكذا انخدع آدم بإبليس الذي زين له الأكل من الشجرة المحرّمة، وكانت النتيجة أنه طرد من الجنة وأهبط إلى الأرض. وإنما خدع آدم حين أثار إبليس فيه غريزتي (حب الملك، وحب الخلود)، ومن المعلومات أنه لم يكن الهدف من خلق هاتين الغريزتين في النفس أن يستخدمهما الشيطان في إغوائه للإنسان، إنما أعطاه الله حب الملك والسيطرة، لكي يستعمر الأرض ويتحمل الصعب والمشاق في سبيل ذلك، وأعطاه حب الخلود لكي يحافظ على نفسه من جهة، ولكي يعرف أنه خلق للبقاء ولكن ليس في هذه الدنيا، بل في الآخرة، وأنه لو لم يخلد في الدنيا، فإن هناك داراً أخرى سيخلد فيها.

ولكن إبليس كعادته يحرف غرائز الإنسان، التي لو استفاد منها استفادة سليمة، وكانت وقوده في الطريق الصاعد، أمّا لو استخدمها بصورة غير سليمة، فإنّها ستكون سبباً لهبوطه وترديه.

والشيطان حينما يوسمس للبشر فهو قد لا يتراءى له، ولكنه يأتيه في صورة خواطر وأوهام **﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوءَاتُهُمَا وَطَفِقَا﴾** أي: شرعاً وأخذوا **﴿يَخْصِفَانِ﴾** أي: يلزمان **﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾** حتى لا يتعرّيا. وكانت نتيجة اقترافهما السيئة أن بدّت لهما سوأتهما بعد أن أليسهما الله الرّياش. **﴿وَ عَصَى آدَمُ﴾** نصيحة **﴿رَبِّهِ فَغُوَى﴾** أي: عصى باقترافه الخطيئة، أو تركه المدى، وغوى عن رحمة ربّه إلى دار الشقاء إذ من معاني الغواية الضياع.

**هل ارتكب آدم معصية؟**

مع أن العصيان يأتي في عرف اليوم - عادةً - بمعنى الذنب والمعصية، إلا أنه في

اللغة يعني الخروج عن الطاعة وعدم تنفيذ الأمر سواء كان الأمر واجباً أو مستحبأً، وببناءً على هذا فإن استعمال كلمة العصيان لا يعني بالضرورة ترك واجب أو ارتكاب حرام، بل يمكن أن يكون ترك أمر مستحب أو ارتكاب مكروه.

إضافةً لما مر، فإن الأمر والنهي يكون إرشادياً، كأمر ونهي الطبيب حيث يأمر المريض أن يتناول الدواء الفلاني، وأن يجتنب الغذاء الفلاني غير المناسب، ولا شك أن المريض إذا خالف أمر الطبيب فإنه لا يضر إلا نفسه، لأنّه لم يعبأ بإرشاد الطبيب ونصيحته. وكذلك كان الله قد أمر آدم أن لا تأكل من ثمرة الشجرة الممنوعة، فإنّك إن أكلت ستخرج من الجنة، وستبتلى بالألم والمشقة الكبيرة في الأرض، فخالف هذا الأمر الإرشادي، ورأى نتيجة مخالفته أيضاً، وإذا لاحظنا أن هذا الكلام كان في مرحلة وجود آدم في الجنة، وهي مرحلة اختبار لا تكليف، فسيتضح معناه بصورة أجلٍ<sup>(١٣)</sup>.

### النهي الإرشادي والنهي الملوبي

إنّ نهي آدم عن الشجرة الممنوعة لم يكن نهياً تحريمياً، بل كان ترك للأولى، ولكن نظراً إلى مكانة آدم ومقامه ومرتبته عدّ صدوره أمرًا مهمًا وخطيراً، واستوجب مخالفته هذا النهي - وإن كان نهياً كراهياً وتزنيهياً - تلك العقوبة والمؤاخذة من جانب الله تعالى.

هذا وقد احتمل بعض المفسرين أيضاً أنّ نهي آدم عن الشجرة الممنوعة كان «نهياً إرشادياً لا نهياً ملوبياً»، وتوضيح ذلك: أنه قد ينهى الله تعالى عن شيء من منطلق كونه مالك الإنسان وصاحب أمره ومولاه، وطاعة هذا النوع من النهي واجبة على كل أحد من الناس، وهذا النوع من النهي واجب على كل أحد من الناس، وهذا النوع من النهي يُسمى نهياً ملوبياً.

ولكنه قد ينهى عن شيء مجرد أن يتبه الإنسان على أن ارتكاب هذا النهي ينطوي على أثر غير محمود تماماً، مثل نهي الطبيب عن الأطعمة المضرة، ولا شك في أن المريض لو خالف الطبيب لا يكون قد أهان الطبيب، ولا أنه خالف شخصه، بل يكون بتجاهله نهي الطبيب قد تجاهل إرشاده، وجر إلى نفسه التعب. وفي قصة آدم أيضاً قال الله تعالى له: إن نتيجة الأكل من الشجرة الممنوعة هي الخروج من الجنة، والوقوع في التعب، وكان هذا مجرد إرشاد وليس أمراً مولوياً، وبهذا فإن آدم خالف نهياً إرشادياً فقط، لا أنه أتى عصياناً وذنبًا واقعياً. من هنا فإن النهي الإرشادي لا يحتاج إلى مغفرة، في حين أن آدم عليهما السلام كما في آيات القرآن الكريم يطلب من الله تعالى الغفران، هذا مضافاً إلى أن فترة الجنة كانت تعد فترة تدريبية وتعلمية بالنسبة لآدم، فترة الوقوف على التكاليف والأوامر والواهبي الإلهية، فترة معرفة الصديق والعدو، فترة الوقوف على نتائج العصيان وثمرة مخالفة الأمر الإلهي واتباع الشيطان وقبول وساوسه، ونحن نعلم أن النهي الإرشادي ليس في حقيقته تكليفاً، ولا ينطوي على تعهد، ولا يورث مسؤولية.

ونذكر القارئ الكريم بأن كلمة (النهي والعصيان والغفران والظلم) تبدو في بادئ النّظر وكأنها تُعطي معنى المعصية المطلقة والذنب الحقيقى وأثاره، ولكن نظراً لمسألة عصمة الأنبياء الثابتة بالدليل العقلى والنقلي تحمل جميع هذه التعبير على العصيان النسبي وهذا الأمر لا يبدو بعيداً عن ظاهر اللفظ بالنظر إلى منزلة آدم وسائر الأنبياء العظيمة وسمّ مقامه.

يُستفاد من الكتب المقدسة - لدى اليهود والنصارى - أنهم يعتقدون بأن آدم عليهما السلام ارتكب معصية، بل ترى كتبهم أن معصيته لم تكن معصية عادية، وإنما كانت معصية كبيرة وإنما عظيمًا، بل إن الذي صدرَ عن آدم هو مضادة الله

والطموح في الألوهية والربوبية، ولكن المصادر الإسلامية - عقلاً ونقلأً - تقول لنا: إن الأنبياء لا يرتكبون إثماً، وإن منصب إماماة الناس وهدايتهم لا يعطى لمن يرتكب ذنباً ويقترب معصية، ونحن نعلم أن آدم كان من الأنبياء الإلهيين، وعلى هذا الأساس فإن كل ما ورد في هذه الآيات مثل غيرها من التعبيرات التي جاءت في القرآن الكريم حول سائر الأنبياء الذين تُسبّ إليهم العصيان، جميعها تعني (العصيان النسبي) و(ترك الأولى) لا العصيان المطلق.

وتوضيح ذلك: أن المعصية على نوعين: المعصية المطلقة، والمعصية النسبية.  
 أما المعصية المطلقة فهي مخالفة النهي التحريي، وتجاهل الأمر الإلهي القطعي، وهي تشمل كل نوع من أنواع ترك الواجب وإتيان الحرام.

ولكن المعصية النسبية هي أن يصدر من شخصية كبيرة عمل غير حرام لا يناسب شأنه ولا يليق بمقامه، وربما يكون إتيان عمل مباح - بل مستحب - لا يليق بشأن الشخصيات الكبيرة، وفي هذه الصورة يُعدّ إتيان ذلك العمل (معصية نسبية)، كما لو ساعد مؤمنٌ واسع الثراء فقيراً لإنقاذه من مخالب الفقر ببلغ تافه، فإنه ليس من شكٍ في أن هذه المعونة المالية مهما كانت صغيرة وحقيرة لا تكون فعلاً حراماً، بل هي أمر مستحب، ولكن كل من يسمع بها يذم ذلك الغنى حتى كأنه ارتكب معصية واقترف ذنباً، وذلك لأنّه يتوقع من مثل هذا الغني المؤمن أن يقوم بمساعدة أكبر. وانطلاقاً من هذه القاعدة وعلى هذا الأساس تقاس الأعمال التي تصدر من الشخصيات الكبيرة بمكانتهم وشأنهم الممتاز، وربما يُطلق على ذلك العمل - مع مقاييسه بذلك - لفظ العصيان والذنب. فالصلة التي يقوم بها فرد عادي قد تعتبر صلاةً ممتازة، ولكنها تعدّ معصية إذا صدر مثلها من أولياء الله، لأنّ لحظة واحدة من الغفلة في حال العبادة لا تناسب مقامهم ولا تليق بشأنهم، بل نظراً لعلمهم وتقواهم ومنزلتهم القريبة يجب أن يكونوا حال عبادة الله تعالى

مستغرقين في صفات الله الجمالية والجلالية، وغارقين في التوجّه إلى عظمته وحضرته.

وهكذا الحال في سائر أعمالهم، فإنّها على غرار عبادتهم، يجب أن تقايس بنازلهم وشّوؤنهم، ولهذا إذا صدر منهم (ترك الأولى) عوتوا من جانب الله، والمراد من ترك الأولى، هو أن يترك الإنسان فعل ما هو الأفضل، ويعمد إلى عمل جيد أو مُستحب أدنى منه في الفضل.

فإنّنا نقرأ في الأحاديث الإسلامية أنَّ ما أُصيب به يعقوب من محنٍ فراقِ ولده يوسف، كان لأجل غفلته عن إطعام فقير صائم وقف على باب بيته عند غروب الشمس يطلب طعاماً، فغفل يعقوب عن إطعامه، فعاد ذلك الفقير جائعاً منكسرًا خائباً.

فلو أنَّ هذا الصنيع صدر من إنسان عادي من عامة الناس لما حظي به مثل هذه الأهمية والخطورة، ولكن يُعدُّ صدوره من نبي إلهيًّا كبير، ومن قائد أمّة أمرًا مهمًا وخطيرًا استتبع عقوبةً شديدةً من جانب الله تعالى<sup>(١٤)</sup>.

ويتلخص لنا مما مضى: أنَّ نهي الله لآدم إرشادي، مثل قول الطبيب: لا تأكل الطعام الفلاني فتمرض، والله سبحانه قال لآدم: لا تقرب هذه الشجرة فتخرج من الجنة، وآدم في أكله من الشجرة خالف نهيًّا إرشادياً.

### قرآننا والأمر بعد الحظر والنهي دليل على الجواز والإباحة

لأنَّ الإسلام جاء منهجاً كاملاً وشاملًا لأبعاد الحياة الإنسانية جعله الله متوازناً في أصوله وأحكامه بحيث لا يتضخم بسببه جانب في حياة الإنسان على حساب جانب آخر، فهو منهج الدنيا والآخرة، والدين والسياسة، والروح والجسد، بحيث تتكامل شخصية الإنسان بالوصول إلى المصالح المشروعة من جانب وبالالتزام بالواجبات المفروضة من جانب آخر، فقد دعاه الدين إلى

مصالحه جنباً إلى جنب دعوته للالتزام بواجباته، ولم يجعل فروضه بدليلاً عما يطمح إليه الناس من المصالح والتعلّمات، ولذا نجد القرآن الكريم إلى جانب أمره بالسعى إلى صلاة الجمعة يأمر بالانتشار لمارسة الحياة الطبيعية وبلغ المأرب والأهداف، والم الحصول على الرزق ولقمة العيش، وإن الدعوة للصلاة يوم الجمعة وتحريم البيع حينها هي منهجية لتأسيس انتشار الإنسان المؤمن لابتغاء فضل الله على هدى القيم والإيمان.

**﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾** كل إلى مقصده، وهذه الدعوة المنطوية على الأمر بالسعى لشؤون الدنيا تهدينا إلى أن الصلاة والعبادة ليست بدليلاً عن ممارسة الحياة الطبيعية والاجتماعية، كما فهمها بعض المتصوفة، فالدّين منهج لتوجيه الإنسان وقيادة الحياة، يجد الناس فيه فرصه للعبادة ومنهجاً للسعى والعمل، وقد قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير الآية: «إِنِّي لأُرْكِبُ فِي الْحَاجَةِ الَّتِي كَفَاهَا اللَّهُ، مَا أُرْكِبُ فِيهَا إِلَّا تَمَاسَ أَنْ يَرَانِي اللَّهُ أَضْحَى فِي طَلَبِ الْحَلَالِ، أَمَّا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ اسْمَهُ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ بَيْتًا وَطَيْنَ عَلَيْهِ بَابُهُ شَمْ قَالَ: رَزْقِي يَنْزَلُ عَلَيَّ أَكَانَ يَكُونُ هَذَا؟ أَمَّا إِنَّهُ أَحَدُ الْمُتَّلِّثَةِ الَّذِينَ لَا يَسْتَجِابُونَ لَهُمْ، قَالَ الرَّاوِي: قَلْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: ... وَالرَّجُلُ يَكُونُ عَنْهُ الشَّيْءُ فَيَجْلِسُ فِي بَيْتِهِ فَلَا يَتَشَرَّشُ، وَلَا يَطْلُبُ، وَلَا يَلْتَمِسُ حَتَّى يَأْكُلَهُ، ثُمَّ يَدْعُو فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ»<sup>(١٥)</sup>. بلـ، إِنْ فَضْلُ اللَّهِ وَرِزْقُهُ يُنَالُ بِالسعيِّ وَالعملِ الحثيثِ من أجله، لذلك يقول تعالى بعد الدعوة للانتشار: **﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾** ورغم أن هذه العبارة المباركة أو ما يشابهها من تعبير، وردت في القرآن الكريم للحدث على طلب الرزق والكسب والتجارة، لكن الظاهر أن مفهوم هذه الجملة أوسع من ذلك بكثير، لهذا فسرّها بعضهم بعيادة المريض وزيارة المؤمن وطلب العلم والمعرفة، ولم يحصروها بهذه المعاني كذلك.

من الواضح أنَّ الانتشار في الأرض وطلب الرزق ليس أمراً وجوبياً، ولكن - كما هو معلوم أصولياً - (أمر بعد الحظر والنهي) دليل على الجواز والإباحة، مع أنَّ البعض فهم من هذا التعبير أنَّ المقصود هو استحباب طلب الرزق والكسب بعد صلاة الجمعة، وإشارة إلى كونه مباركاً أكثر. وجاء في الحديث أنَّ الرسول ﷺ كان يشي في السوق بعد صلاة الجمعة<sup>(١٦)</sup>.

### قرآننا، وعدم جواز النسخ قبل العمل

هذا الموضوع هو أحد الموضوعات المهمة والمؤثرة في عملية التفسير، وبالنظر لأهميته فقد كتب فيه علماء التفسير أبحاثاً كثيرة. والنَّسخ في اللغة هو: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، يُقال: نسخت الشمس الظل أي أذهبته وحلت محله، وأصل الباب الإبدال من الشيء غيره.

### رسالات الله وتطور الزمن:

ليست الثقافة الإسلامية أقل شأناً من ثقافة الآخرين، وإذا كان للآخرين كتاب فللمسلمين كتاب كريم أيضاً، لأنَّ ينبوع فضل الله الذي أنزل ذلك الكتاب أنزل كتاباً أفضل منه لأنَّه كتاب جديد فيه ما ينفع الحياة الحاضرة والمستقبل.

﴿مَا نَسَخ﴾ أي: ما نزل ﴿مِنْ آيَة﴾ تشريعية أو تكوينية، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ أي: أو نزيل حفظها من القلوب، فما ننسخ من آية إلا و﴿نَأْتِ بَخْرٍ مِّنْهَا﴾ أو مِثْلِهَا في الكمال والصلاح، فإذا توفي النبي وبعث النبي آخر، وهما آياتان من آيات الله تعالى أحدهما ناسخ للآخر، كان ذلك جرياناً على ما يقتضيه اختلاف مصالح العباد بحسب اختلاف الأعصار وتكامل المجتمع الإنساني، وإذا نسخ حكم ديني بحكم ديني كان الجميع مشتملاً على مصلحة الدين، وكل من الحكمين متطابق مع مصلحة الزمان، وأصلاح لحال المؤمنين، حكم العفو في أول الدعوة وليس

للمسلمين بعد عُدّة، وحكم المُجاهد بعد ذلك حينما قوي الإسلام وأعد فيهم ما استطاعوا من قوة وأدخل الرعب في قلوب المشركين، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فتأخذ مسألة وقوع النسخ في القرآن الكريم جديتها حينما نجد الكتاب المبارك نفسه يتعرّض لهذا الموضوع، حيث يظهر من قوله المتقدم الاعتراف بوقوع النسخ في بعض الآيات القرآنية. وقد اتفق المفسرون على أن الآية دالة على وقوع النسخ في القرآن الكريم، وختلفوا في قوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ فهل المقصود هو نسيان المسلمين ومنهم رسول الله ﷺ للآية بحيث لم يعودوا يذكرونها ولا يقرأونها، كما هو ظاهر الكلمة؟ أم أن المقصود بكلمة ﴿نُنسِهَا﴾ نتركها على حالها فلا ننسخها ولا نغيرها، فالكلمة، هنا في مقابل النسخ بمعنى الإبقاء.

ربما يكون هذا المعنى الثاني هو الأقرب، حيث لم يُعرف على عهد رسول الله ﷺ أن المسلمين قد أنساهم الله آية من الآيات القرآنية، كما أن نسيان الآية القرآنية ممتنع على رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكُمْ فَلَا تَنْسَى﴾<sup>(١٧)</sup> أي سنعلّمك القرآن ونحفظك إياه على ما أنزل بحيث لا تنساه أبداً، حيث أخبر الله تعالى عن نبيه بعدم النسيان للقرآن الكريم. هذا كلّه إذا كنا قد حملنا الآية على النسخ التشريعي، ولم نحملها على النسخ التكويني الذي يعني أن الله تعالى ينسخ بعض الحقائق الكونية ببعض آخر، ومنه ما جاء في بعض الأخبار عن أئمة أهل البيت ع عليهما السلام أن «موت إمام وقيام إمام آخر مقامه من النسخ»<sup>(١٨)</sup>.

### معنى النسخ

يأتي النسخ في الاستعمال اللغوي بمعنى (نقل الصورة) ومنه جاءت كلمة (استنساخ) المستعملة في هذا المعنى.

أمّا في المعنى الاصطلاحي فهو: تطوير أسلوب الحكم بما يتناسب مع تطور الحياة بالرغم من وجود ذات الحكم، مثل القبلة، كانت إلى المسجد الأقصى في الشريعة السابقة، فتحولت إلى الكعبة، وقد يكون النسخ، هو: بإلغاء الحكم رأساً مثل المحرّمات التي كانت على بني إسرائيل في الأكل فألغيت في الشريعة الإسلامية. والله حين ينسخ شريعة ينسخ قيادة تلك الشريعة أيضاً، فموسى عليه السلام نسخت شرائعها وانتهت فترة قيادتها للناس، والآية بهذا المعنى تشمل الإنسان القائد الذي يجسّد آيات الله عملياً، إذ كلام الله يدلّ على أنّ لكل عصر قادته الذين يستمدون من الدين الأحكام المنصلة بظروفهم، والله قادر على إبداع آيات جديدة، وبعث قادة جدد، وقد جاء في النصوص تفسير هذه الآية -

مورد البحث - بوفاة إمام عادل وقيام إمام آخر مقامه.

وهنا أودّ إلقاء نظر قارئي الكريم إلى هذا السؤال المهم الذي يطرح نفسه في هذا البحث: هل أنّ إبراهيم عليه السلام كان حقاً مكلّفاً بذبح ابنه أم أنه كان مكلّفاً بتنفيذ مقدمات الذبح؟ فإن كان مكلّفاً بالذبح، فكيف ينسخ هذا الحكم الإلهي قبل تنفيذ عملية الذبح، في حين أنّ النسخ قبل العمل غير جائز، وهذا المعنى ثابت في علم أصول الفقه. وإن كان مكلّفاً بتنفيذ مقدمات عملية الذبح، فهذا لا يعتبر فخرًا له، وما قيل من أنّ أهميّة المسألة نشأت من أنّ إبراهيم عليه السلام بعد تنفيذه لهذا الأمر وتهيئة مقدماته كان ينتظر نزول أمر بشأن الذبح وكان هذا هو الامتحان الكبير له، فهو كلام غير جدير بالرد.

باعتقادنا، أن التقوّلات هذه ناشئة من عدم التفريق بين الأوامر الامتحانية وغير الامتحانية، فالأمر الصادر إلى إبراهيم عليه السلام هو أمر امتحاني، وكما هو معروف فإنّ الأوامر الامتحانية لا تتعلق فيها الإرادة الحقيقية بطبعية العمل، وإنما الهدف منها توضيح مقدار الاستعداد الموجود عند الإنسان المتّحد بالنسبة إلى

طاعته للأوامر؟ كما أنّ الشخص المتحن ليس له اطّلاع بخفايا الأمور، وبهذا الشكل فإنّ عملية النسخ لم تحصل هنا حتى تناقض قضية صحتها ووقوعها قبل العمل<sup>(١٩)</sup>.

### قرآننا، وقاعدة قبح العقاب بلا بيان

لا شك ولا ريب أنّ شهادة الله عزّوجلّ أعظم شهادة فهي من رب العالمين ﴿قُل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ أَعْظَمْ شَهَادَةً، وَهُوَ شَهِيدٌ بِإِيمَانِكُمْ﴾ وهل هناك دليل أكبر من هذا القرآن؟ ﴿وَأُوحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنُ﴾ المعجز الذي هو أكبر شاهد على صدق نبوتي، ثم تأتي الإشارة إلى هدف نزول القرآن ويقول: ﴿لَا أَنذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي أنّ القرآن قد نزل عليّ لكي أذركم، وأنذر جميع الذين يصل إليهم إلى يوم القيمة، وأحذرهم عواقب عصيانهم.

بعض العلماء استدلّوا بهذا التعبير وأمثاله على ختم النبوة برسول الله عليه صلوات الله عليه، فهذه الجملة تعني أنّ الرسول عليه صلوات الله قد بعث إلى جميع الذين تصلهم دعوته، وهذا يشمل جميع الذين يردون الحياة حتى نهاية العالم. وتفييد الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهما السلام أنّ مفهوم إبلاغ القرآن لا يعني مجرد وصول نصوصه إلى الأقوام الأخرى فحسب، بل إنّ المفهوم يشمل وصول ترجماته بختلف اللغات إلى تلك الأقوام. جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما سُئل عن هذه الآية قال: « بكل لسان»<sup>(٢٠)</sup>.

كما أنّ من أصول الفقه المسلم بها هو مبدأ (قبح العقاب بلا بيان) وهذا ما تفيده الآية المذكورة. فقد ثبت في أصول الفقه أنّه ما دام الحكم لم يبلغ شخصاً، فإنه لا يتحمل مسؤولية تنفيذه إلا إذا كان مقصراً في استيعاب الحكم، فهذه الآية تقول بأنّ الذين تصلهم الدعوة يتحملون مسؤوليتها، أمّا الذين لم تصلهم الدعوة،

بدون تقصير، فلا مسؤولية عليهم.

في تفسير المنار رواية عن أبي بن كعب قال: أتى رسول الله ﷺ بأسارى فقال لهم: هل دُعِيتم إلى الإسلام؟ قالوا: لا، فخلّى سبيلهم، ثم قرأ ﴿وَأُوحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾، ثم قال: خلوا سبيلهم حتى يأتوا مأنهم من أجل أنهم لم يدعوا<sup>(٢١)</sup>.

### قرآننا، وآية أخرى حول قاعدة قبح العقاب بلا بيان

إنّ الأمم السالفة كذبت أنبياءها واحداً بعد الآخر، وبقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢٢)</sup> الوارد في نهاية تلك القصص إنّ أكثرهم لم يؤمنوا بالرسل، بالرغم من قوّة الحجة وتطافر الآيات وال عبر الكثيرة، فإنّ العيون مغلقة، والقلوب محجوبة، ولكنّ أكثر الناس عندما تمرّ عليهم مثل هذه العبر لا يؤمنون بها، ولا يتعظون بها، ولا يستفيدون من أخطاء الماضين، فعلام يأتي الأنبياء منذرين ومبشرين؟!

فالقرآن يجيب على هذا السؤال بأنّ ذلك سنة الله ﷺ ﴿وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾<sup>(٢٣)</sup> ما أرحم الله بعباده، حتى بعد انحرافهم وفسادهم لا يأخذهم حتى يبعث فيهم رسولاً، ويقيم عليهم الحجة بعد الحجة. وما أعزه من إله مقتدر جبار، يأخذهم إذا ترددوا على رسالته بأشد العذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأخرى. ومع كل تلك الآيات ترى أكثر الناس لا يؤمنون، حتى يجعلّ بهم العذاب مباشرة.

ولو كنّا نأخذهم بدون إقام الحجة، وذلك بإرسال المنذرين والمبشرين -من قبل الله- لكان ظلماً متنّا ﴿ذِكْرَى وَمَا كَئَنَا ظَالِمِينَ﴾<sup>(٢٤)</sup> وما ورد في هذه الآيات هو في الحقيقة بيان للقاعدة المقلية المعروفة بـ (قاعدة قبح العقاب بلا بيان) أجل... إنّ العقاب بدون البيان الكافي قبيح، كما أنه ظلم، والله العادل الحكيم محال

أن يفعل ذلك أبداً، وهذا ما يعبر عنه في علم الأصول بـ(أصل البراءة) ومعناه أن كل حكم لم يقم عليه الدليل، فإنه ينفي بواسطة هذا الأصل.

### قرآننا، وقاعدة أصل البراءة وآية ما كنا معدبين

في علم الأصول، وفي بحث (البراءة) استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَنَا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(٢٥)</sup> على أنّ فهم الآية يوضّح أنّ المسائل التي لا يمكن للعقل إدراها أو القطع بها، لا يُعاقب عليها الإنسان حتى يبعث الله الرسل والأنبياء ليبيّنوا الأحكام والتکاليف والوظائف، وكلمة «الرسول» هنا عامة تشمل كل من حملة رسالة التوحيد بصورة مباشرة كرسول الله عليه وآله أو غير مباشرة مثل الأئمة المعصومين عليهما السلام أو الفقهاء المجتهدين وهذا بحد ذاته دليل على عدم العقاب في الأمور التي لم تُقْمِحْ الحجة عليها، وقاعدة (أصل البراءة) لا تعني شيئاً غير هذا، أي لا عقاب بدون حجة من العقل أو النّقل، إذاً لا بدّ من بيان التکليف وإلقاء الحجة. هناك نقاش بين المفسّرين حول نوع العذاب المقصود هنا، وهل هو نوع من أنواع العذاب الذي يقع في الدنيا أو في الآخرة، أم المقصود به هو عذاب «الاستيصال» الذي يعني العذاب الشامل المدمر كطوفان نوع مثلاً؟ إنّ ظاهر الآية الكريمة يدلّ على الإطلاق، وهو وبالتالي يشمل كلّ أنواع العذاب<sup>(٢٦)</sup>.

### قرآننا، وإثبات (أصل البراءة)

استدلّ بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾<sup>(٢٧)</sup> على إثبات (أصل البراءة) في مباحث علم الأصول، فمن لا يعلم حكماً ليس عليه مسؤولية تجاه ذلك الحكم. ونظراً لأنّ عدم الاطلاع يؤدي أحياناً إلى عدم المقدرة، فمن الممكن أن يكون المقصود هو الجهل الذي يكون مصدراً للعجز. وبناءً على هذا فإنه سيكون للآية مفهوم واسع يشمل عدم القدرة والجهل الذي يؤدي إلى عدم القدرة

على إنجاز التكليف.

وبتعبير آخر في التوضيح نقول: إن تشرع الله تعالى تشرع واقعي عملي، وحاشا له أن يكلف أحداً ما لا يطيق، وهذه الآية لا تقتصر على مسألة النفقة على الزوجة حين العدة، بل هي قاعدة لتنظيم الاقتصاد الفردي، وحل المشاكل المتصلة به في المجتمع والأسرة، فلا غرو أن يوسع الغني على نفسه من المال الحلال لأن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يراها فيه، قال أبو عبد الله عاشور وقد سأله أحد أصحابه عن الرجل الموسر يتخذ الشياب الكثيرة الجياد والطياسسة والقمص الكثيرة يصون بعضها بعضاً يتجمّل بها أيكون مسرفاً؟ قال «لا، لأن الله عزوجل يقول: ﴿يُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعْتِهِ﴾<sup>(٢٨)</sup>، ومن جهة أخرى يجب أن لا ينفق الفقير أكثر من طاقتة تلبية لرغباته الشخصية أو تظاهراً بين الناس أو لكي يوافق المجتمع المحيط في معيشته ومظاهره، فإن ذلك يوقعه في مشاكل اقتصادية تنتهي إلى انحرافات خطيرة بعض الأحيان.

### قرآننا، وأصل الحلية

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾<sup>(٢٩)</sup>.

إن الأصل في كل الأشياء، ومنها الأغذية الموجودة على ظهر الأرض الحلية، حتى يثبت أنها حرام والتعبير بـ ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ تعبر يدل على الإطلاق، من هنا فإن الحرمة تحتاج إلى دليل لا الحلية.

هذا نعرف أن مجتمع الحرية هو مجتمع التقدم والرفا، ويربط القرآن الحكيم بين التحرر من اتباع شياطين الثروة والسلطة والدين، وبين الانتفاع التام بما في الحياة من نعم طيبة. هؤلاء الشياطين يحرّمون على الناس الطيبات من الرزق لجهلهم، أو لأنّهم يريدون أن يستأثروا بها، أو لأنّهم يحاولون إبقاء الناس ضعفاء



مقهورين، ولكن الله خلق الأشياء لنا، وعليها أن نعمل من أجل الحصول عليها ونتجاوز العقبات من أجلها. ففي هذه الآية دعوة للناس بكل صراحة إلى الاستفادة مما في الأرض وهي دعوة ضمنية لكسر حاجز العبودية التي ترتبط في القرآن الكريم بأمر الشيطان الذي يأمر بالسوء والفحشاء.

**﴿وَلَا تَتَّبِعُوا حُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُّبِينٌ﴾**<sup>(٣٠)</sup> إنّه لا يريدكم أن تتぬموا بالحياة فلماذا تتبعوه؟ الذين ينعمون زراعة الأرض بحجّة أنها لفلان هم أعداء الإنسان، والذين ينعمون التجارة ويضعون حاجز في طريق الله هم أعداء الإنسان، والذين ينعمون عمارة الأرض هم أعداء الإنسان، وعلى الإنسان ألا يتبع أعداءه.

ويتلخص لنا مما مضى: أنّ ما خلقه الله لا بدّ أن ينطوي علىفائدة لعباده، من هنا فلا معنى أن يكون الأصل الأوّلي للأطعمة على ظهر الأرض التحرير، فكل غذاء إذن حسب هذه الآية الكريمة حلال ما لم تثبت حرمته بدليل صحيح، وما دام لا يشكل ضرراً على الفرد والمجتمع.

### قرآننا، وجملة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾

إنّ جملة **﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾** أصبحت منبعاً قانونياً واسعاً في المباحث الفقهية حيث استفاد الفقهاء منها أحکاماً كثيرة، فمثلاً: إذ تلفت الوديعة في يد الأمين بدون أيّ إفراط أو تفريط منه، فإنّه لا يكون ضامناً، ومن جملة الأدلة على هذه المسألة هي الآية المذكورة، لأنّه محسن، ولم يرتكب مخالفـة، فإذا اعتبرناه مسؤولاً وضامناً، فإنّ هذا يعني أنّ المحسن مؤاخـذ.

ليس هناك شك في أنّ الآية المذكورة قد وردت في المجاهدين، إلا إنّا نعلم أنّ مورد الآية لا ينقص من عموميتها، وبعبارة أخرى، فإنّ مورد الآية لا يختص الحكم مطلقاً.

## قرآننا، وقاعدة لا حرج

يريد القرآن الكريم للناس اليسر ولا يريد بهم العسر، كما أشار إليها في موضوع الصوم وفوائده وحكم المسافر والمريض، لكن أسلوبها العام يجعلها قاعدة تشمل كل الأحكام الإسلامية، ويصيّر منها سندًا لقاعدة (لا حرج) المعروفة. أحكام الإسلام أحكام سهلة، فالذين لا يصلّون يتصرّرون أن الصلاة صعبة، ولكنّ الذين يؤدون الصلاة بخشوع الله فإنّهم ليسوا فقط يرونها سهلة، بل يجدون فيها اللذة أيضًا، وقد يسّر الإسلام كل العبادات فلم يجعل من الصلاة حركات رياضية صعبة مرهقة كتسلق الجبال إنّما جعلها خفيفة، وكذلك فإنّه لم يجعل الصيام عملية تجويح متعبة، وإنّما هي سويعات صبر وبعدها نعود إلى مأكلنا ومشاربنا، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإنّ الإسلام يخفّف بعض الأحكام في الحرج، حيث لا يستطيع الإنسان أن يؤدي الفرض كاملاً.

جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال: جرح إصبعي فوضعت عليه مرارة حتى يندمل الجرح، فكيف أتوضا؟ فقال الإمام عليه السلام: هذا وأمثاله يعرف من القرآن، إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ امسح عليه. وعن الرسول عليه السلام قال: ﴿بُعِثْتُ عَلَى الشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ﴾.

وقال الله تعالى في آية أخرى حول الحرج: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٣١)</sup> إن أي حكم شرعي يصل في صعوبته إلى درجة الحرج وهي الصعوبة الشديدة التي لا تحتمل فإنه يلغى أو يبدل بما هو أخف منه فالحج والصوم والصلاه و... وإذا كانت تحتوي على صعوبات جسدية لا يحتملها ولا يطيقها الشخص فإنّها تخفّف فيسقط بعض واجبات الحج ويبقى البعض فقط، ونستطيع أن نستأنس بهذه الأمثل التي ساقها القرآن الحكيم في آياته الكريمة، في تفصيلات قاعدة الحرج وعميماتها على الأحكام الجزئية الأخرى.

ولا يخفى على قارئي الفطن أنّ هناك من الأحكام الإلهية ما يظهر فيها الصعوبة والمشقة بذاتها مثل حكم الجهاد، إلا أنّه ولدى مقارنة المصالح التي تتحقق بالجهاد مع الصعوبات والمشاق التي فيه، تترجح كفة المصالح وأهميتها فلا تكون المشاق أمامها شيئاً يذكر، وقد سعى القانون الذي أثبتته الجملة القرآنية المتقدمة بقانون (الخارج) وهو مبدأ أساسى يستخدمه الفقهاء في أبواب مختلفة ويستنبطون منه أحكاماً كثيرة.

### قرآننا وقانون لا ضرر

كما يعلم قارئي الكريم أنّه لدينا في الإسلام قانون مسلم به، وهو قانون (لا ضرر) يمكن من خلاله تحديد أيّ حكم يكون منبعاً ومصدراً للضرر والخسارة في المجتمع، وعن هذا الطريق ترفع كثير من الاحتياجات.

ويمكن أن يطرح هنا، وهو: أنّنا نعلم أنّ مقتضيات الأزمة والأمكنة ومتطلباتها متفاوتة، وبتعبير آخر فإنّ حاجات الإنسان في تغيير مستمرّ، في حين أنّ للشريعة الخاتمة قوانين ثابتة، فهل تقوى هذه القوانين الثابتة على أن تؤمن حاجات الإنسان المتغيرة على مدى الزمان؟ ويمكن الإجابة على هذا السؤال بلاحظة المسألة التالية، وهي: أنّه لو كانت لكل قوانين الإسلام صفة الجزئية، وأنّها قد عيّنت لكل موضوع حكماً جزئياً معيناً لكان هناك مجال لهذا السؤال، أمّا إذا عرفنا بأنّ في تعليمات الإسلام سلسلة من الأصول الكلية الواسعة جداً، والتي تقدر على أن تتطابق الحاجات المتغيرة وتؤمن بها، فلا يبقى مجال لهذا الإشكال<sup>(٣٢)</sup>.

### قرآننا، وجانب من أحكام الطلاق

يتناول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكْحَثُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ إِنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ أي: تدخلوا بهنّ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا

**فَمَتَّعُوهُنَّ** أي: فأعطوهنَّ شيئاً من المال يناسب حاملنَّ يتمتعن به **وَسِرْحُونَ سَرَاحاً جَمِيلاً** <sup>(٣٣)</sup>.

الحديث عن العلاقة الزوجية عند الرسول ﷺ وبعض محدداتها، وقبل الدخول في تفصيل الآية هناك ملاحظتان:

١- أنَّ وجود آيات في القرآن الحكيم تنهى الرسول ﷺ عن بعض الأمور دون الآخرين، أو تفرض عليه واجبات من دونهم، أو تزجره على بعض أفعاله، وتكشف بعض ما أخفاه، كما في زواجه بزینب بنت جحش، كل ذلك يدل على أنَّ القرآن الكريم ليس من عند الرسول نفسه، وإنما هو وحي من الله له، فلحن القرآن، يهدينا إلى أنَّ المتكلِّم غيره، إذ لو كان هو المتحدث لما تكلَّم على نفسه بزجر أو نهي.

٢- توجد في القرآن الكريم كما في الأحاديث بعض الأحكام الخاصة بالرسول ذاته، كوجوب صلاة الليل عليه، وجواز زواجه بأكثر من أربع، وبين تهب نفسها له، وخصائص أخرى رفعها بعض العلماء إلى أكثر من سبعة عشر خصيصة، ومع أنَّ هذه الأمور لا تنسب إلى غير الرسول ﷺ حتى إذا كان من القيادات الإسلامية، إلا أنَّ ذلك يدل على أنَّ بعض الأمور تخص القائد بصورة مجملة، وينبغي للجميع معرفتها ومراعاتها، ومن أهم هذه الأمور هو الوقت الهام عند القيادة.

إنَّ آيات سورة الأحزاب جاءت على شكل مجموعات مختلفة، والخطاب في بعضها موجه إلى النبي ﷺ، وفي بعضها الآخر إلى كل المؤمنين، ولذلك تقول أحياناً: «يا أيها النبي»، وأحياناً أخرى: «يا أيها الذين آمنوا» قد وردت فيها الأوامر الالزمة يوازي بعضها بعضاً، وهذا يعني أنَّ النبي ﷺ كان مراداً بهذه التعليمات، كما أنَّ عموم المؤمنين يردون بها أيضاً.

والآية التي نبحثها من الآيات التي توجه خطابها إلى كل المؤمنين، في حين أن الآيات السابقة خاطبت شخص النبي ﷺ ظاهراً ويتوجه الخطاب إلى النبي ﷺ في الآيات القادمة مرة أخرى. تقول الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعَدُّوْنَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

وفي توضيح هذه الآية نقول: إذا عقد المؤمن على امرأة، ثم طلقها من قبل أن يمسها، فلا تجب عليها العدة، بل يجوز لها أن تتزوج بعد الطلاق مباشرة، وإذا كان فرض لها مهرًا محدداً وجب عليه دفع النصف لها، وعند كون المهر محدداً، فإنّ لها عليه أن يتعهها بأن يدفع لها شيئاً من المたاع ذهباً أو مالاً أو لباساً مما يجبر كسر شأنها عند قرينتها، من دون نزاع أو جدل، أو تهمة يلقيها كل طرف على الآخر، تبريراً للفرقة، أو تشفيأً من صاحبه، وهذا الأمر ينبغي أن ينسحب على جميع العقود والمعاملات الاجتماعية والمالية وغيرهما.

ثم إنّه يستفاد من تعبير «لَكُم» وكذلك جملة «تَعَدُّوْنَهَا» أنّ انتظار عدة المرأة يعتبر حقاً للرجل، ويجب أن يكون هكذا، لأنّ من الممكن أن تكون المرأة حاملاً في الواقع، وتركتها العدة وزواجهها برجل آخر يجعل حال الولد غير معلوم، وبيؤدي إلى ضياع حق الرجل إضافةً إلى أنّ انتظار العدة ينبع الرجل والمرأة فرصة لتجديد النظر والرجوع إلى بعضهما، فقد يقع الطلاق نتيجة افعالات شديدة، ومثل هذه الفرصة والتفكير حق للرجل والمرأة معاً.

وأمّا ما أورده البعض على هذا الحكم، بأنّ العدة إن كانت حقاً للرجل، فبإمكانه أن يسقط حقه، فلا يصح، لأنّ في الفقه حقوقاً كثيرة لا يمكن إسقاطها، كالحق الذي لورثة الميت في أمواله، أو الحق الذي للفقراء في الزكاة، إذ لا يقدر أي أحد على إسقاط هذا الحق الشرعي.

ثم تتطرق الآية إلى حكم آخر من أحكام النساء الالتي يطلقن قبل المباشرة الجنسية فتقول: ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي: أعطوهن هدية مناسبة.

ولا شك أن تقديم هدية مناسبة إلى المرأة يكون واجباً في حالة عدم تعين المهر من قبل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوْهُنَّ﴾ أي: تجتمعوهن ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيشَةً﴾ أي: صداقاً أو مهراً، ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي: أعطوهن هدية يتمنعن بها ﴿عَلَى الْمُؤْسِعِ﴾ أي: الغني، ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾ أي: الفقير ﴿مَتَّاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: يقدم بطريقة لائقة بعيداً عن الإسراف والبخل، ﴿حَقًا﴾ أي: واجباً ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣٤)</sup>.

ولهذه الهدية -كما يعرف قارئي الكريم- أثر كبير في القضاء على الحقد وروح الانتقام، وفي الحيلولة دون إصابة المرأة بعقد نفسية بسبب فسخ عقد الزواج.

وآخر حكم في الآية مورد البحث هو: ﴿وَسَرِحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ السراح الجميل هو: الطلاق المقترن بالمحبة والاحترام، وترك كل خشونة وظلم وجور واحتقار، والخلاصة هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾<sup>(٣٥)</sup> أي: إما زواج صالح ومعشرة معروفة، أو إنهاء العلاقة الزوجية للأخير، وإعطاءها حقوقها وإضافة الإحسان إلى الحقوق.

وعند الطلاق يبقى المهر عند المرأة ولا يحل للرجل أن يسترجع المهر إلا في حالة واحدة هي: تنازل المرأة عن مهرها في مقابل قبول الرجل بطلاقها، إذا هي أرادت الطلاق، وبالطبع في هذه الحالة يجب أن يتدخل الناس ليعرفوا ما إذا كان طلب الطلاق من قبل الزوجة مستنداً إلى تضييع الزوج لحقوق الزوجية، وعدم رعاية حدود الله فيها، أم نابع من شهوة أو غضبة عابرة.

من هنا، فإن الاستمرار في الحياة الزوجية يجب أن يكون قائماً على أساس

المعايير الإنسانية، والطلاق كذلك، فلا يجوز للرجل -إذا صمم على طلاق زوجته- هضم حق الزوجة ومهرها، وبذاءة الكلام والخشونة معها، فإنّ هذا السلوك غير إسلامي قطعاً، ولا ينتمي إلى الإسلام بصلة.

### قرآننا، وعبارة (الإسلام يجبُ ما قبله)

من المعلوم في أسلوب القرآن الكريم هو الجمع بين البشارة والندارة، أي إنّه كما ينذر أعداء الحق بالعقاب والعذاب، فإنه يفتح أمامهم في الوقت نفسه طريق العودة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾<sup>(٣٦)</sup>. فهذه الآية تتبع هذا الأسلوب ذاته حتى أمر النبي ﷺ بها. ويستفاد من الآية المباركة أنّ قبول الإسلام يوجب محى كل سابقة وهو ما ورد في الروايات على أنّه أصل عام، كما في عبارة (الإسلام يجبُ ما قبله) أو ما جاء عن أهل السنة في تعبير آخر عن النبي ﷺ أنّ «الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأنّ الحج يهدم ما كان قبله»<sup>(٣٧)</sup>.

ومقصود هو أنّ كل ما عمله الإنسان من سيئات وحتى تركه للفرائض والواجبات قبل إسلامه فسوف يمحى عنه بقبوله الإسلام، ولا يكون قبوله للإسلام أثراً رجعي لما سبق، لهذا ورد في كتب الفقه عدم وجوب قضاء ما فات من العبادات على من أسلم<sup>(٣٨)</sup>. والحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

- (١) سورة الأحزاب، الآية .٥٣
- (٢) لسان العرب مادة حجب.
- (٣) سورة الإسراء، الآية .٤٥
- (٤) سورة ص، الآية .٣٢



- (٥) سورة الشورى، الآية .٥١.
- (٦) صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٤٩.
- (٧) نفس المصدر.
- (٨) تفسير الأمثل، ج ١٣، ص ٢٣٦.
- (٩) سورة النور، الآية .٦٣.
- (١٠) **﴿دُعَاءُ الرَّسُول﴾**: دعوة الرسول لل المسلمين لأمر من الأمور كدعوتهم للتجمع أو للقتال، وقيل: نداء الرسول.
- (١١) تفسير نور التقلين، ج ٣، ص .٦٢٩.
- (١٢) نفس المصدر، ج ٣، ص .٤٠٢.
- (١٣) تفسير الأمثل، ج ١٠، ص ٦٨، بتصرف.
- (١٤) تفسير نور التقلين، ج ٢، ص ٤١، نقاً عن كتاب علل الشرائع، بتصرف.
- (١٥) تفسير نور التقلين، ج ٥، ص .٣٢٧.
- (١٦) تفسير الأمثل، ج ١٨، ص ٢٤٤، بتصرف.
- (١٧) سورة الأعلى، الآية .٦.
- (١٨) وللمزيد يرجى من قارئي النبيه مراجعة كتاب الميزان للطباطبائي، وكذلك مجمع البيان للطبرسي.
- (١٩) تفسير الأمثل، ج ١٤، ص ٢٧٢، بتصرف.
- (٢٠) تفسير البرهان، للبحرياني، ذيل الآية.
- (٢١) تفسير المنار، ج ٧، ص .٣٤١.
- (٢٢) سورة الشعراء، الآية .٦٧.
- (٢٣) نفس السورة، الآية .٢٠٨.
- (٢٤) نفس السورة، الآية .٢٠٩.
- (٢٥) سورة الإسراء، الآية .١٥.
- (٢٦) تفسير الأمثل، ج ٨، ص ٣١٣.
- (٢٧) سورة الطلاق، الآية .٧.
- (٢٨) تفسير نور التقلين، ج ٥، ص ٣٦٣.

- (٢٩) سورة البقرة، الآية ١٦٨.
- (٣٠) ﴿ خطوات ﴾ الخطوة بعد ما بين القدمين للماش وخطوات الشيطان آثاره.
- (٣١) سورة المائدة، الآية ٦.
- (٣٢) تفسير الأمثل، ج ١٣، ص ٢٠٤، بتصرف.
- (٣٣) سورة الأحزاب، الآية ٤٩.
- (٣٤) سورة البقرة، الآية ٢٣٦.
- (٣٥) نفس السورة، الآية ٢٢٩، والإمساك هو خلاف الإطلاق، كالممسك البخيل.
- (٣٦) سورة الأنفال، الآية ٣٨.
- (٣٧) صحيح مسلم وفقاً لما نقله صاحب المنار في تفسيره، ج ٩، ص ٦٦٥.
- (٣٨) تفسير الأمثل، ج ٥، ص ٢٨٩، بتصرف.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَأْتِيَنِي  
مَا لَمْ يَرَهُ عَيْنُي وَمَا يَعْلَمُ بِهِ سُبُّلُ



## اعتبار الإيمان في بِيْنَةِ الطلاق

علي فاضل الصدري

بسم الله الرحمن الرحيم، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وآلِهِ وَسَلَّمَ.

### توطئة

لا خلاف عندنا معاشر الإمامية في أصل اعتبار الإشهاد في صحة الطلاق، بل هو من ضروريات مذهبنا، ومن الأدلة عليه قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ.. فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيِّ عَدْلٍ مِنْكُمْ..﴾<sup>(١)(٢)</sup>، وروایات الباب العاشر من أبواب مقدمات الطلاق من وسائل الحر العاملی قائلةً،

فمنها موثقة بـ كير بن أعين وغيره عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث - قال: «... وإن طلقها للعدة بغير شاهدي عدل فليس طلاقه بطلاق...»<sup>(٣)</sup>، ومنها صحيحة الفضلاء عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام - في حديث - آنه قال: «إن طلقها في استقبال عدتها ظاهراً من غير جماع ولم يشهد على ذلك رجلاً عدلين فليس طلاقه أيامها بطلاق»<sup>(٤)</sup>، ومنها صدر صحيحة أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبي الحسن عليه السلام عن رجل طلق امرأته بعد ما غشياها بشهادة عدلين، قال: ليس هذا طلاقاً، قلت: فكيف طلاق السنة؟ فقال: يطلقها إذا ظهرت من حيضها قبل أن يغشاها بشاهدين عدلين، كما قال الله تعالى في كتابه، فإن خالف ذلك رد إلى كتاب الله..»<sup>(٥)</sup>، منها معتبرة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن امرأة سمعت أن رجلاً طلقها وجحد ذلك، أتقى معه؟ قال: «نعم، وإن طلاقه بغير شهود ليس بطلاق، والطلاق لغير العدة ليس بطلاق، ولا يحل له أن يفعل فيطلقها بغير شهود ولغير العدة التي أمر الله تعالى بها»<sup>(٦)</sup>. ولا يعيّب سندها اشتتماله على موسى بن بكر؛ فإنه وإن كان وافقياً بشهادة الشيخ الطوسي قتيل<sup>(٧)</sup>، إلا أنه ثقة؛ لوجوه أوضحتها أنه من معاريف الطائفة قبل وفاته، ولم يرد فيه قبح؛ فقد روى عنه أجياله أصحاب الأئمة عليهما السلام، منهم أحمد بن محمد بن أبي نصر وصفوان بن يحيى ومحمد بن أبي عمير وجعفر بن بشير وعبد الله بن المغيرة وعلي بن أسباط وعلي بن الحكم وفضالة بن أيوب والنضر بن سويد ويونس بن عبد الرحمن، ثم إن الذي تسكن إليه النفس أن روایتهم عنه كانت قبل وفاته؛ فإن الطائفة قد اجتنبت الواقفة وحافظتهم. هذا كلّه في تقرير صغرى وثاقه معاريف الطائفة، وأما كبراهما فحال الرواية عندما تكون بهذه الصفة فهي تكشف عن حُسْن ظاهره، وحسن الظاهر كاشف عن الوثاقة بل العدالة عرفاً وشرعاً.

## الأقوال في المسألة

إذا عهد هذا فيقع الكلام في المراد من العدالة في كرية الآية ومستفيض الرواية، فالمشهور اعتبار كون الشاهدين عدلين في صحة الطلاق، وأن العدالة المعتبرة أمرٌ وراء الإسلام، وتتحقق بترك المعاصي والقيام بالواجبات مع الإيمان الخاص، كما اعتبر في شهادات غير الطلاق، وقيل: يكفي الإسلام وإن انتفى كل من الإيمان الخاص والعدالة، قال في المسالك: "والقول بالاكتفاء فيما [يعني الشاهدين] هنا بالإسلام للشيخ في النهاية وجماعة، منهم القطب الرواندي"<sup>(٨)</sup>، قال في الجواهر: "ومقتضاه الاجتزاء بالمسلمين الفاسقين فضلاً عن المؤمنين"<sup>(٩)</sup>، ومن مال إلى تحقق العدالة بالإسلام - الشهيد قىش فى المسالك، قال معلقاً على صحيفة ابن أبي نصر: "وهذه الرواية واضحة الأسناد والدلالة على الاكتفاء بشهادة المسلم في الطلاق - إلى أن قال - وفي الخبر - مع تصدره باشتراط شهادة عدلين، ثم اكتفاءه بما ذكر - تنبية على أن العدالة هي الإسلام، فإذا أضيف إلى ذلك أن لا يظهر الفسق كان أولى"<sup>(١٠)</sup>، وذهب أحد المعاصرين رحمه الله إلى أن العدالة المعتبرة في صحة الطلاق وإن كانت أمراً وراء الإسلام، وهي الاستقامة في جادة الشريعة المقدسة بإتيان الواجبات وترك المحرّمات، إلا أنه لا يعتبر فيها الإيمان الخاص، فيكفي اتفاقها ولو من لا يدين بمذهبنا<sup>(١١)</sup>.

## حجّة المشهور

وقد احتجّ للمشهور بوجهين:

**الأول:** ظاهر آية الطلاق أو صريحها في أن العدالة أمر زائد على الإسلام، فإن اعتبار إسلام الشاهدين مستفاد من قوله سبحانه: ﴿مَنْكُم﴾، وببقى وصفهما بالعدالة زائداً على إسلامهما، فلا بدّ من مراعاته.

الثاني: ظاهر ما تقدّم من الروايات وغيرها اعتبار العدالة في الشاهدين، وإرادة الإسلام منها مفتقرة إلى قرينة مفقودة، سيمما صحّيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليهما السلام في حديث - قال: جاء رجل إلى علي عليهما السلام، فقال: يا أمير المؤمنين إبني طلقـت امرأـتي. قال عليهما السلام: ألك بيـنة؟ قال: لا، قال: أغربـ (اعزـ) (١٢)، (١٣).

فإن ظاهر مفردة البـينة في كلام الأمـير عليهما السلام أمر زائد على العدد والإسلام، بتقريب أنه لما كان سـوق هذه الحادـثة من قبل الـباقـر عليهـما السلامـ، الذي استقرـ في زمانـه ظهـورـ مفرـدةـ البـينةـ فيـ خـصـوصـ شـهـادـةـ الرـجـلـيـنـ المـسـلـمـيـنـ العـادـلـيـنـ؛ لـكـثـرـةـ اـسـتـعـمـالـهاـ فيـ ذـلـكـ، وـالـظـهـورـ الـمـسـتـنـدـ إـلـىـ كـثـرـةـ الـاستـعـمـالـ حـجـةـ وإنـ لمـ يـكـنـ بـنـحوـ النـقلـ المـتـشـرـعـيـ إـلـىـ هـذـاـ المعـنـيـ، وـلـمـ يـنـبـهـ عـلـيـهـ إـلـىـ تـغـيـرـ المـصـطـلـحـيـنـ لـوـ كـانـ قـائـمـاـ، مـاـ يـكـشـفـ عـنـ اـتـحـادـ الـمعـنـيـ الـذـيـ اـسـتـعـمـلـتـ فـيـهـ المـفـرـدةـ مـعـ الـمعـنـيـ الرـائـجـ زـمـنـهـ الـبـاقـرـ عـلـيـهـ. ثـمـ إـنـ أـمـرـ الـأـمـيرـ عـلـيـهـ لـلـسـائـلـ أـنـ يـغـرـبـ كـنـايـةـ عـنـ دـعـمـ وـقـوعـ طـلاقـهـ بلاـ بـيـنةـ، عـلـىـ غـرـارـ ماـ إـذـاـ قـالـ: (لاـ طـلاقـ بلاـ بـيـنةـ)ـ فـيـ اـسـتـفـادـةـ شـرـطـيـةـ الـبـيـنةـ لـصـحـةـ الـطـلاقـ.

إـلـاـ أـنـ يـقـالـ: لـعـلـ مـنـظـورـ الصـحـيـحةـ إـلـىـ أـنـ دـعـوىـ الـطـلاقـ تـحـتـاجـ إـلـىـ الـبـيـنةـ كـسـائـرـ الدـعـاوـيـ فـيـ مـجـالـ الـحـقـوقـ وـالـأـمـوـالـ، وـهـذـاـ لـاـ يـعـنيـ أـصـلـ صـحـةـ الـطـلاقـ - كـمـاـ لـوـ أـحـرـزـ وـقـوعـهـ خـارـجـاـ - تـحـتـاجـ إـلـىـ الـبـيـنةـ. فـتـأـمـلـ. وـكـيـفـ كـانـ فـيـ دـلـالـةـ الـآـيـةـ عـلـىـ الـمـطـلـوبـ بـلـاغـ.

### حجـةـ غـيرـ المشـهـورـ

وـقـدـ يـحـتـاجـ لـغـيرـ المشـهـورـ بـوـجوـهـ:

الأول: الـبـنـاءـ عـلـىـ أـنـ الـأـصـلـ فـيـ الـمـسـلـمـ الـعـدـالـةـ (١٤).

ويـلـاحـظـ عـلـيـهـ بـغـضـ النـظرـ عـنـ دـعـمـ تـامـيـةـ الـكـبـرـيـ (١٥)ـ - أـنـ مـحـلـ الـكـلامـ هوـ

البحث عن حدود الحكم الواقعي، وهو تقيد صحة الطلاق بحضور عدلين مضافاً إلى إسلامهما، فإذا ثبت ذلك وشككنا في صغراه تمسكنا بالأصل المذكور لإثبات التقيد والاشتراط، فالتمسك بالأصل إنما هو في فرض الشك في الحكم الظاهري، ثم إن هذا تسلیم باعتبار العدالة، غایته دعوى أن الإسلام كاشف عنها مع الشك فيها، ومعه فلا يكتفي غير المشهور أيضاً بالإسلام مع ظهور الفسق، بل قد نزه صاحب الجواهر قيئ الأصحاب عن القول بتحقّق العدالة بالإسلام وإن قارن سائر المعاصي<sup>(١٦)</sup>.

**الثاني:** بعض الروايات التي استظرف منها كفاية إسلام الشاهدين في صحة الطلاق، وما ذيل صحيحة أحمد بن محمد بن أبي نصر - قال - قُلْتُ: فَإِنْ أَشْهَدَ رَجُلَيْنِ نَاصِبَيْنِ عَلَى الطَّلاقِ أَيَّكُونُ طَلاقًا؟ فَقَالَ: مَنْ وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ أَجِيزَتْ شَهادَتُهُ عَلَى الطَّلاقِ بَعْدَ أَنْ يُعْرَفَ مِنْهُ خَيْرٌ<sup>(١٧)</sup>. وصحيحة عبد الله بن المغيرة - قال: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ الْمَسْكَنَةُ: رَجُلٌ طَلقَ امْرَأَتَهُ وَأَشْهَدَ شَاهِدَيْنِ نَاصِبَيْنِ؟ قَالَ: كُلُّ مَنْ وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَعُرِفَ بِالصَّالِحِ فِي نَفْسِهِ جَازَتْ شَهادَتُهُ<sup>(١٨)</sup>. بتقريب أن الولادة على الفطرة تساوي الإسلام، والخير في قوله عليه السلام «بَعْدَ أَنْ يُعْرَفَ مِنْهُ خَيْرٌ» نكرة في سياق الإثبات فلا تقتضي العموم، فلا ينافيه - مع معرفة الخير منه - بالذي أظهره من الشهادتين والصلة والصوم وغيرها من أركان الإسلام - أن يعلم منه ما يخالف الاعتقاد الصحيح؛ لصدق معرفة الخير منه معه، فلا يعتبر أزيد من إسلام وصلاح شاهدي الطلاق<sup>(١٩)</sup>.

ويلاحظ عليه أولاً: ما أفاده سيد المدارك قيئ في شرح المختصر النافع من أن المتبادر من قوله: «عُرِفَ مِنْ زِيدِ خَيْرًا» أنه لا يُعرف منه إلا الخير، بأن يظهر منه الخير دون الفسق والعصيان، ومن أعظم أنواع الفسق الخروج عن الإيمان<sup>(٢٠)، (٢١)</sup>. ولا أقل من أنه لا يُعرف الخير والصلاح في من لم يعتقد بالولاية لجهل قصوري،

فالتمسُك بالصحيحتين فيه تمسُك بالعامّ في الشبهة المصداقية.

وثانياً: إن صحيحة ابن المぎرة أخذت معرفة الصلاح من المسلم، ولا يكاد يتحقق ويتصف به من ابتلي بعصية كبيرة أو صغيرة، فكيف بن اختار الخروج عن الإعيان. فهاتان الصحيحتان على مطلوب المشهور أدلّ. وبيؤيد ذلك تفسير ما اشتملتا عليه من الولادة على الفطرة بما في رواية الحارث بن المغيرة النصري عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْبَشَّارَةُ - في حديث - قال: «مَا عَلَى فِطْرَةِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرُنَا وَغَيْرُ شِعْتَنَا»<sup>(٢٢)</sup>. وما في بعض الكلمات من أن الصحيحتين صريحتان في كون الشاهدين العدلين المعتبرين في التلاق من النواصب، ورغم النصب تقبل شهادتهما فيه<sup>(٢٣)</sup> - غير بيّن، بل الواضح عدول الإمام عَلَيْهِ الْبَشَّارَةُ عن جواب السائل إلى ضرب ضابطة كلية يعرف بها حال الجزئية المسئولة عنها. وكما أفاد في الجواهر من أن الإمام عَلَيْهِ الْبَشَّارَةُ جَامِعٌ في جوابه بين التقيّة والحق، وأن هذا النحو من التعبير معهود من الأئمة عَلَيْهِ الْبَشَّارَةُ، حتى قال الكاظم عَلَيْهِ الْبَشَّارَةُ لأحد أصحابه معلماً - و كان قد سأله عن رَجُلٍ طَلَقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثَةً فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ الْبَشَّارَةُ: مَنْ طَلَقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثَةً لِلسَّنَةِ فَقَدْ بَانَتْ مِنْهُ - يا فُلان لا تُخْسِنْ أَنْ تَقُولَ مِثْلَ هَذَا<sup>(٢٤)</sup>، أو فُلان لا يُخْسِنْ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا<sup>(٢٥)</sup>، فيراد حينئذ بمعرفة الخير فيه والصلاح في نفسه - المؤمن العدل الذي قد يقال: إنه مقتضى الفطرة أيضاً، لا الناصب الذي هو كافر إجماعاً، بل ولا مطلق المخالف<sup>(٢٦)</sup>.

وما أجود ما نظر به للمقام أحد الأعلام قيئلاً: "ولعل المقام نظير ما لو استأذن الخادم مخدومه في دخول عدوه عليه، فيقول المخدوم: (ليدخل علينا من يعرف بالصلاح)، فهذا ليس إذناً في دخول هذا العدو، ولكن لم يرد المخدوم التّصریح بالمنع، بل أراد المنع من دخول العدو بنحو آخر"<sup>(٢٧)</sup>.

بل لو سلّمنا بسلامة فهم قبول شهادة الناصب من الصحيحتين فلا تبقيان في

دائرة الحجّية والاعتبار؛ إذ أنّهما ليستا بما أعرض عنّهما المشهور فحسب كما في بعض الكلمات<sup>(٢٨)</sup>، بل هما محلّ هجر للأصحاب طرّاً؛ فإنه لا عامل بهما منهن البُتّة، ودليل حجّية خبر الثقة لا يشمل -على جميع المبني فيه- الخبر الذي هجره رواته ونَقلَته، وهم أرباب المحدثين.

بل قد يقال -وهو الحقّ- : بأنّهما حبنتِ مخالفتان للكتاب الدالّ على اعتبار العدالة في الشاهدين، وهي غير متحقّقة في الناصب الكافر إجماعاً<sup>(٢٩)</sup>، بل نفس عنوان (منكم) في الآية كفيل بإخراجه.

وما قيل في ردّ كلام صاحب الجواهر قيئ من أنّ الحمل على التقيّة فرع وجود المعارض للصحيحتين، وأنّ روایات العدالة لا تصلح للمعارضة؛ لأنّها أعمّ منهما من وجه<sup>(٣٠)</sup> - فیلاحظ على الشقّ الأول منه: أنّ صاحب الجواهر قيئ أنّ حمل الصحيحتين على التقيّة، وأنّ جواب الإمام علیه فيما لا لجهة بيان الحكم الواقعي، كي يقال: إنّ الحمل على التقيّة فرع وجود المعارض، بل مراده قيئ أنّ الإمام علیه اتفق على مستوى اللفظ، فاستعاض عن الإجابة المباشرة عن سؤال الراوي بضرب الكبرى الكللية، بحيث يكتنه التفصي عن تبعه إجابته فيما يرجع إلى الصغرى المسؤول عنها، بل لا يمكن أخذ مستمسك عليه فيها، لأنّ يقال له: كيف ردت شهادة الناصب؟ هذا والذي هو فرع وجود المعارض هو الأول، وأما الثاني فهو من قبيل المعارض ولحن الكلام الذي يعرفه من جاس خلال الديار<sup>(٣١)</sup>، وأسائل الله من فضله.

ويلاحظ على الشقّ الثاني أنه لا تعارض حتى بالعموم من وجه بين روایات العدالة وبين الصحيحتين في ضوء ما فهمناه منهما؛ إذ أنّهما إثباتيان، فروایات العدالة وكذا الآية تأخذ في شاهد الطلاق العدالة، والصحيحتان تأخذان فيه الإسلام والإيمان والعدالة، ولا معارضه بين القبيلين.

وقد يقال: إن ظاهر موثقة سَمَاعَةَ بْنِ مَهْرَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ: قَالَ: مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثُهُمْ فَلَمْ يَكْذِبُهُمْ، وَوَاعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفُهُمْ - كَانَ مِنْ حَرَمَتْ غِيَّثَةً، وَكَمَلَتْ مُرْوَةً، وَظَهَرَ عَدْلُهُ، وَوَجَبَتْ أَخْوَتُهُ (٣٢) - أن قضية العدالة المعتبرة في الشهادة مرتبطة بالإسلام والسلوك العملي الذي يدل على المناعة الأخلاقية فحسب، وأما اعتبار الإيان فيها فـكأنه أمر غير عرف سيمما في القضايا التي لا ترتبط بالجانب المذهبي؛ لأن عالم الشهادة بحسب المفاهيم العرفية عالم يتصل بمسألة صدق الشاهد، وهو عالم إثبات المشهود به، ومسألة الصدق تحتاج إلى قاعدة نفسية من حيث المبدأ، والإسلام يفرض الصدق والأمانة والعفة، وإن اختلف المسلمون في بعض التفاصيل (٣٣).

ويلاحظ على الشق الأول من هذا الكلام أولاً: إن الموثقة إنما تتحدث عن قضية العدالة في ارتباطها بالسلوك العملي خاصة، فلا نظر لها إلى موضوعها، وأنه خصوص المؤمن أو الأعم منه ومن غيره من المسلمين، وبعبارة أخرى: إن الموثقة بقصد اعتبار حسن الظاهر كافحةً عن العدالة، فلا إطلاق لها لتشمل غير المؤمن. وهذا ومقتضى الأصل عدم حجية شهادة غير المؤمن بعد عدم وجود إطلاق في أدلة الشهادة يتناولها.

وثانياً: لو كان نظر الموثقة إلى قضية العدالة في ارتباطها بالإسلام والبعد السلوكي معاً - فهذا لا يمنع من تقييدها بما دل على اعتبار الإيان في شاهدطلاق على ما أوضحتناه، مضافاً إلى ما دل على اعتباره في الشاهد بصورة عامة، مثل ما دل على عدم قبول شهادة ذي مُخْزِيَة في الدين، كموثقة السَّكُونِيَّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ: «إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَا يَقْبَلُ شَهَادَةَ فَحَاشٍ وَلَا ذِي مُخْزِيَةٍ فِي الدِّينِ» (٣٤)، الشامل لطلاق المخالف، ولا يعيب سندها التوفيق؛ فإنه وإن لم يوثق بالخصوص، إلا أنه من معاريف الطائفة الذين لم يرد فيهم قدح، مؤيداً

بالعلوي: في قوله: ﴿مَنْ تَرْضُونَ مِنَ الشَّهَدَاءِ﴾، قال: «مَنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ وَصَالَحَهُ وَعَفْتُهُ وَيَقْظَهُ فِيمَا يَشَهُدُ بِهِ وَتَخْصِيلَهُ وَتَمْيِيزَهُ..»<sup>(٣٥)</sup>، وبدعاوى عدم الخلاف والإجماع والتسليم<sup>(٣٦)</sup>.

ويلاحظ على الشق الثاني: إن مقتضى الارتكاز العرفي فيما يرجع إلى عالم الشهادة وإن كان لا يقتضي أكثر من مسألة صدق الشاهد ووثاقته، إلا أنه لما أخذ الشارع فيه ما هو أضيق دائرة منها، وهي العدالة - فهو مؤشر إلى إلغاء النكتة العرفية فيما نحن فيه.

الثالث من الوجوه التي يمكن أن يحتاج بها لغير المشهور: إطلاق صحية حُمْرَانَ قالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «...وَلَا يَكُونُ ظِهَارٌ إِلَّا فِي طُهْرٍ مِنْ غَيْرِ جُمَاعٍ بِشَهَادَةِ شَاهِدَيْنِ مُسْلِمَيْنِ»<sup>(٣٧)</sup>. فإنها وإن وردت في خصوص باب الظهار، إلا أن الظهار واحد من ضروب الفُرقَة، ولا يختلف فقهياً امتيازه عن سائر الضروب. ولكن هذا الإطلاق مقيد بما دلّ على اعتبار العدالة في شاهدي الطلاق وما دلّ على اعتبار معروفيهما بالخير والصلاح.

فالمتحصل أنه لم ينهض وجه لغير المشهور، بل بعض ما استدلى به له هو  
المذهب المشهور أدلّ، فالمشهور هو المنصور.

المعتر من العدالة

بقي هنا شيءٌ، وهو أنه هل يعتبر عدالة شاهدي الطلاق واقعاً - وإن كشف عنها حسن الظاهر - بحيث ينكشف بطلان الطلاق لو تبيّن فسقهما أو أحدهما، أو أنه يكفي إثراز عدالتهما بالموازين الشرعية في اعتقاد المطلق عند الطلاق، فلا يضر بصحته انكشاف الفسق لدى المطلق، فضلاً عن غيره؟

المعروف هو الأول، واختار الميرزا النائي قيئش الثاني<sup>(٣٨)</sup>، وذهب الشهيد قيئش في المسالك إلى أبعد من ذلك، وهو كفاية ظهور العدالة وإن كان مطلاعاً على

## المواهش:

(١) سورة الطلاق ١-٢.

الفسق، فقال: ”وَهُل يَقْدِحُ فَسْقَهُمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِمَا حَتَّى لا يَصْحَّ  
لِأَحَدِهِمَا أَنْ يَتَزَوَّجَ بِهَا أَمْ لَا، نَظَرًا إِلَى حَصْولِ شَرْطِ الطَّلَاقِ، وَهُوَ الْعَدْلَةُ ظَاهِرًا؟“  
وَجَهَانَ. وَكَذَا لَوْ عَلِمَ الْزَوْجُ فَسْقَهُمَا مَعَ ظَهُورِ عَدَالِهِمَا، فَفِي الْحُكْمِ بِوَقْعِ الطَّلَاقِ  
بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ - حَتَّى تَسَقَّطَ عَنْهُ حُقُوقُ الزَّوْجِيَّةِ، وَيُسْتَبِّعَ أَخْتَهَا وَالْخَامِسَةَ - الْوَجَهَانَ.  
وَالْحُكْمُ بِصَحَّتِهِ فِيهِمَا لَا يَخْلُو مِنْ قُوَّةٍ“<sup>(٣٩)</sup>.

وَالظَّاهِرُ مَا عَلَيْهِ الْمُشَهُورُ؛ فَإِنْ حَسَنَ الظَّاهِرَ الْكَاشِفُ عَنِ الْعَدْلَةِ الْمُعْتَرِبَةِ فِي  
صَحَّةِ الطَّلَاقِ إِنَّا هُوَ أَمَارَةٌ عَلَيْهَا، إِنَّا اتَّفَقْنَا عَلَى الْعِلْمِ بِالْخَلَافِ فَلَا مُوْرَدٌ لِلْأَمَارَةِ آنِذَنِ  
وَلَوْ مِنْ غَيْرِ الْمُطْلَقِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَرْتَبِّبَ آثَارَ الطَّلَاقِ الصَّحِيحِ؛ لِظَّهُورِ الْعَنَاوِينِ -  
وَمِنْهَا الْعَدْلَةُ - فِي مَعْنَيِّهَا الْوَاقِعِيَّةِ.

وَمَا قِيلَ: مِنْ أَنَّ التَّسْهِيلَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَامُ الْبَلْوَى يَقْتَضِي كَفَايَةً إِحْرَازَ  
الْعَدْلَةِ عِنْدَ الْمُتَعَارِفِ حَتَّى لَمْ يَعْتَقِدْ بِالْخَلَافِ تَسْهِيلًا وَتَبْيَسِيرًا وَتَخْطُئَةً لِاعْتِقَادِ  
مِنْ يَعْتَقِدُ بِالْخَلَافِ، لَئِلَا يَتَسَرَّعُ كُلُّ أَحَدٍ إِلَى الْمَنَاقِشَةِ فِي عَدْلَةِ كُلِّ عَادِلٍ<sup>(٤٠)</sup>.

فَيَلْاحِظُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا شَاهِدٌ مِنْ قَبْلِ الشَّارِعِ عَلَى التَّسْهِيلِ فِي أَمْرِ الطَّلَاقِ، بَلْ  
مَقْتَضِي مِبْغَوْضِيَّتِهِ شَرْعًا التَّغْلِيظُ فِي أَمْرِهِ بَاشْتِرَاطِ الْعَدْلَةِ الْوَاقِعِيَّةِ.

وَالْمَعْجِزُ مَا قَوَاهُ الشَّهِيدُ مِنْ كَفَايَةٍ ظَهُورِ عَدْلَةِ الشَّاهِدِيْنَ حَتَّى لَوْ عَلِمَ الْزَوْجُ  
الْمُطْلَقُ بِالْفَسْقِ؛ فَإِنْ خَطَابٌ ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لِلأَزْوَاجِ فَكَيْفَ يَكْتُفِي  
بِظَّهُورِ عَدْلَةِ الشَّاهِدِيْنَ لَدِيْ مِنْ سَوَاهِمِ؟!.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

- المواهش:**
- (١) سورة الطلاق ١-٢.
  - (٢) لاحظ في تقرير وتقرير دلالة الآية على اعتبار الإشهاد في صحة الطلاق ما في هامش صفحة ٢٨٢ من كتاب (أصل الشيعة وأصولها) للإمام الشیخ محمد حسين کاشف الغطاء قیل:

فِإِنَّهُ أَجَادَ فِيمَا أَفَادَ.

- (٣) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٦ ب ١٠ من أبواب مقدمات الطلاق ح ٢.
- (٤) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٦ ب ١٠ من أبواب مقدمات الطلاق ح ٣.
- (٥) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٧ - ٢٦ ب ١٠ من أبواب مقدمات الطلاق ح ٤.
- (٦) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٧ ب ١٠ من أبواب مقدمات الطلاق ح ٥.
- (٧) رجال الطوسي قتيل: ٣٤٣ (٥١٠٨).
- (٨) مسالك الأفهام: ٩: ١١٤.
- (٩) جواهر الكلام: ٣٢: ١٠٩.
- (١٠) مسالك الأفهام: ٩: ١١٥ - ١١٤.
- (١١) فقه الشريعة: ٣: ٥٨١ م ٨٩٦ - الطبعة الثامنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، فقه الطلاق و توابعه: ١: ٢١٤ - ٢١٥ تقرير بحث السيد محمد حسين فضل الله عليه السلام، بقلم الشيخ محمد أديب قببيسي.
- (١٢) كذا في أصول الرواية، الكافي: ٦: ٥٩ - ٥٨ والفقيه: ٣: ٤٩٨ والتهذيب: ٨: ٤٧.
- (١٣) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٥ - ٢٦ ب ١٠ من أبواب مقدمات الطلاق ح ١.
- (١٤) لاحظ مسالك الأفهام: ٩: ١١٤، مفاتيح الشرائع للفيض الكاشاني كتاب: ٣١٧.
- (١٥) لاحظ في الاستدلال لها وردة كتاب (بحوث في فقه الرجال): ٦٦ - ٦٩ تقرير بحث السيد علي الفاني كتاب، بقلم السيد علي حسين مكي العاملی.
- (١٦) جواهر الكلام: ٣٢: ١٠٩.
- (١٧) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٥ - ٢٦ ب ١٠ من أبواب مقدمات الطلاق ح ١.
- (١٨) وسائل الشيعة: ٢٧: ٣٩٣ ب ٤١ من أبواب كتاب الشهادات ح ٥.
- (١٩) مسالك الأفهام: ٩: ١١٤.
- (٢٠) نهاية المرام في شرح مختصر شرائع الإسلام: ٢: ٤٠ - ٤١.
- (٢١) قال في المدائق: ١٠: ٤١ كتاباً: «واقتضاه [مراجع الضمير صاحب المسالك كتاب] في هذه المقالة سبطه السيد السند في شرح النافع، فقال - بعد نقل كلامه المذكور، وذكر الرواية الأولى ما صورته -: وهو جيد، والرواية الأولى مع صحة سندها دالة على ذلك أيضا؛ فإن الظاهر أن التعريف في قوله عليه السلام فيها: "عرف بالصلاح في نفسه" للجنس لا للاستغراف، وهاتان الروايتان - مع صحتهما - سالمتان منعارض، فيتجه العمل بهما. انتهى». أقول: إلا أن ما

نقله صاحب المدائق عن شرح النافع غير موجود فيما بآيدينا من نسخه، بل الموجود بعد حكاية كلام جده ما يلي: « ولا يخلو من نظر؛ إذ المبادر من قولنا: (عرف من هذا الشخص خيرا) أنه عرف منه الخير خاصة، وكذا من قولنا: (عرف منه الصلاح) كونه معروفاً بهذا الوصف ممتازاً به، فيكون في الروايتين دلالة على تحقق العدالة المعتبرة في الشهادة، بأن يظهر من حال الشخص الخير والصلاح دون الفسق والعصيان، ومن أعظم أنواع الفسق الخروج عن الإيمان، كما هو واضح. وهاتان الروايتان مع صحتهما سالمتان من المعارض فيتجه العمل بهما». نهاية المرام: ٤٠ - ٤١.

(٢٢) وسائل الشيعة: ٥٤٩ - ٥٥٠ (ك الخامس) ب٤ من أبواب الأنفال ح ١٤.

(٢٣) فقه الطلاق وتابعه: ٢١٤.

(٢٤) تهذيب الأحكام: ٩١ - ٩٢ (٣١٣).

(٢٥) وسائل الشيعة: ٢٢: ١١٢ ب٣ من أبواب أقسام الطلاق ح ٦.

(٢٦) جواهر الكلام: ٣٢: ١١٠.

(٢٧) جامع المدارك في شرح مختصر النافع: ٤: ٥١٦، بتصرُّف في التركيب، فلا حظ.

(٢٨) تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة(ك الطلاق): ٦٠.

(٢٩) تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة(ك الطلاق): ٦٠.

(٣٠) فقه الطلاق وتابعه: ٢١٤ - ٢١٥.

(٣١) ففي الرواية عن إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا..معاني الأخبار: ٢ ب١ ح ٣، وعنه في البخاري: ٢ ب٢٦ من أبواب العلم ح ٥، وعن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: خبر تدريه خير من عشر(عشرة) ترويه، إن لكل حقيقة، ولكل صواب نورا، ثم قال: إنما والله لا نعد الرجل من شيعتنا فقيهاً حتى يلحن له، فيعرف اللحن..غيبة النعماني: ١٤٤ - ١٤٣، وعنه في البخاري: ٢ ب٢٦ من أبواب العلم ح ١٠١. ولا حظ الجواهر: ١٠: ٢٥٩.

(٣٢) وسائل الشيعة: ٨: ٣١٥ - ٣١٦ ب١١ من أبواب صلاة الجمعة ح ٩.

(٣٣) فقه الطلاق وتابعه: ٢١٤.

(٣٤) وسائل الشيعة: ٢٧ ب٣٢ من أبواب الشهادات ح ١.

- (٣٥) وسائل الشيعة: ٢٧: ٣٩٩ بـ ٤١ من أبواب الشهادات ح ٢٣.
- (٣٦) جواهر الكلام: ٤١: ١٦، الخلاف: ٦: ٣٠١ - ٣٠٠، مسالك الأفهام: ١٤: ١٥٩ - ١٦٠، مجمع الفائدة والبرهان: ١٢: ٢٩٨، جامع المدارك: ٦: ١٠١.
- (٣٧) وسائل الشيعة: ٢٢: ٣٠٧ من أبواب كتاب الظهار ح ١.
- (٣٨) الفتاوي: ٣: ٣٣١ - ٣٢٥ (٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٣).
- (٣٩) مسالك الإفهام: ٩: ١١٥.
- (٤٠) مهذب الأحكام: ٢٦: ٤٩.



# Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

- General Supervisor &  
Executive Manager:  
Abdulla Ali Al daqaq
  - Editor in Chief:  
Aziz Hassan Salman
  - Editor in Director:  
Abdulraoof Hassan Alrabia
  - Chairman of the Editorial Board:  
Ghazi Abdulhassan
- Editorial Board:
- husain ali abu rwais  
husain fuad Almarzooq  
mohammed ali khatam  
m.bager khalil Alshaikh



A Periodical Magazine Issued by the  
Bahraini Students  
of the Educational Hawza the  
Holy City of Qom

